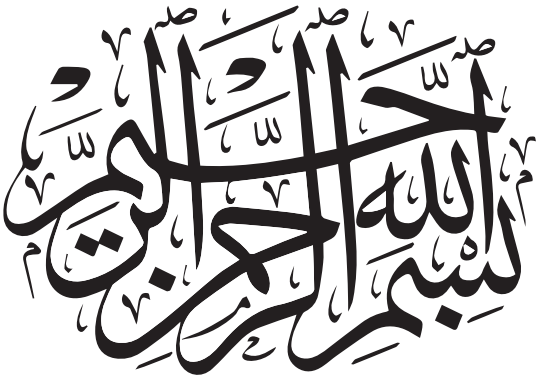
بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(د/٢٢٦/٢٠١٦)
يتحمّل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنّفه ولا يعبّر
هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى

المواد المنشورة في هذا المصنف تعبّر عن آراء أصحابها ،
ولا تعبّر بالضرورة عن رأي هيئة التحرير أو المجمع.

مجلة

مجمع اللغة العربية الأردني

مجلّةٌ علميّةٌ محكّمةٌ تُعنى بنشر البُحوث والدّراسات في اللُّغةِ العربيّة

السنة الثامنة والأربعون

العدد ١١١

محرم - جمادى الآخرة ١٤٤٦هـ

تموز - كانون الأول ٢٠٢٥م

ISSN 0258 – 1094

الهيئة الاستشارية للمجلة

الأستاذ إبراهيم شبّوح	الجمهورية التونسية
الأستاذ الدكتور رشدي راشد	جمهورية مصر العربية
الأستاذ الدكتور رمزي بعلبكي	الجمهورية اللبنانية
الأستاذ الدكتور عبد العزيز المانع	المملكة العربية السعودية
الأستاذ الدكتور سامي شلهوب	الجمهورية العربية السورية
الأستاذ الدكتور عبد السّلام المسدّي	الجمهورية التونسية
الأستاذ الدكتور هاني هيا جنة	المملكة الأردنية الهاشمية
الأستاذ الدكتور عبد الفتاح الحجمري	المملكة المغربية
الأستاذ الدكتور عبد المجيد حنّون	الجمهورية الجزائرية
الأستاذ الدكتور محمد باقري	الجمهورية الإسلامية الإيرانية
الأستاذ الدكتور محمود السيّد	الجمهورية العربية السورية
الأستاذ الدكتور عبد الحميد مدكور	جمهورية مصر العربية
الأستاذ الدكتور رسول بلاوي	الجمهورية الإسلامية الإيرانية

هيئة التحرير

الأستاذ الدُّكتور

محمد عدنان البخيت

رئيس التحرير

الأستاذ الدُّكتور

يوسف بكّار

الأستاذ الدُّكتور

سمير استيتية

الأستاذ الدُّكتور

محمد حوّر

الأستاذ الدُّكتور

علي محافظة

الأستاذ الدُّكتور

إبراهيم السعافين

تحرير الملخصات العربية: الدكتور جعفر عبابنة

التحرير اللغوي باللغة الإنجليزية: الأستاذ الدكتور محمد عصفور

الفهرس

الموضوع			رقم الصفحة
البحوث			٩
منهج ابن الأبّار الأندلسي في كتابه: تحفة القادم		عمر الرواجفة	١١
اللغة العربية والمعجم الإلكتروني: الشكل النظري والبنية الدلالية		ليلى العبيدي	٤١
التّرابط النّصّيّ في خطبة البيعة للخليفة عمر بن عبدالعزيز		نبيل احريز	٧٥
استخدام الاختبار التائي (T-Test) في برنامج الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS) في بحوث تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها		عاصم علي فائزة بنت مجاهر	١٢١
سيمائية الفضاء المائي: ماء مَدْيَن في السياق القرآني		سماح السميرات	١٥٥
الرواية الفلسطينية والخاصية المونولوجية: قراءة تطبيقية في روايتين صدرتا قبل النكبة		موسى خوري	١٨٩
المصدر المؤول بين الأصالة والفرعية في النظرية والتطبيق		محمد محاسنة	٢٢٣
التّكثيف النّعتيّ في شعر المُرقِّش الأكبر: دراسة نحويّة دلاليّة		رائد طافش	٢٤٩

البحوث

منهج ابن الأبّار الأندلسي في كتابه: تُحفة القادم

عمر الرواجفة(*)

الملخّص

يسعى البحثُ إلى الوقوف على منهج ابن الأبّار الأندلسي في كتابه تحفة القادم وإبرازِ قيمته الأدبية، والأسسِ المنهجية التي بنى عليها اختياراتِهِ الشعريةَ ذاتَ الجودةِ الرفيعة، لكثير من الشعراء المغمورين من أبناء عصره، والشروطِ التي وضعها وانتقاهم وفقها، وبعضِ تفرداته على غيره من التصانيف السابقة، فيما يخصّ التراجمَ والأخبارَ المنقولةَ والشعر.

وقد تتبع البحثُ اسمَ المؤلف ولقبَه وكتبَه وأهمَّ أحداثِ حياته، ثم قيمةَ الكتاب التاريخيةَ بعد عرضه عرضًا موجزاً، ثم بيَّنَ منهجَهُ في ترجمته لكلّ شاعر من الشعراء، ومصادرَهُ التي استقى منها، ومنهجَهُ في الأشعار التي يوردها وفي اختياره الشعراء، ثم أوردَ أسماءَ الأماكنِ والشعراءِ الذين نُسبوا لها، مما جاء في الكتاب ومما ألحقه المحقق، وذلك كله في ستة مباحث، إذ سار البحث على المنهج الوصفي الإحصائي. وانتهى البحث بخاتمة موجزة.

الكلمات المفتاحية: منهج، ابن الأبّار، تحفة القادم، الأندلسي، البلنسي، تراجم، القيمة التاريخية.

(*) أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة فيلادلفيا، المملكة الأردنية الهاشمية. تاريخ تسلّم البحث ٢٠/ ٤/ ٢٠٢١م وتاريخ قبوله للنشر ١٤/ ٩/ ٢٠٢١م.

Ibn al-Abbār al-Andalusī's Approach in Tuḥfat al-Qādim

By Omar Rawajfa

Abstract

This article seeks to identify Ibn al-Abbār al-Andalusī's approach in his Tuḥfat al-Qādim and to highlight its literary value and the principles guiding his selections of first-rate poems written by some obscure poets of his age. The author traces the origins of the poet's name, his sobriquet, his books, and the most significant events in his life, and then concentrates on the historical value of the book, the way he gives biographical information of his selected poets, and the sources he used. The article consists of six related topics and utilizes the descriptive-statistical approach, ending with a brief conclusion.

Key terms: Approach, Ibn al-Abbār, Tuḥfat al-Qādim, Andalusian, Al-Balansi, Translations, Historical value.

تحفل مصادر التراث الأندلسي الإسلامي بعلوم ومعارف وآداب وأشعار تركها السابقون، ولا بدّ أن تُولى هذه المصادر العناية والاهتمام بالتقصّي والدراسة، للإفادة منها على خير وجه.

ومن تلك المصادر الأندلسية كتاب تحفة القادم للعلامة ابن الأبّار البلنسي (ت٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م)، فعلى الرغم من أسلوبه المختصر والموجز في الترجمة وقلة ما ينقله من أخبار، واختيار الأشعار القائم على الانتقاء، إلا أنه ذو قيمة تراثية مهمة؛ فهو يعرفنا على أسماء كثيرٍ من شعراء الأندلس المغمورين ممن برعوا وأجادوا في نظم الأشعار في مختلف المضامين، فقدم ابن الأبّار لنا مختارات شعرية ذات جودة عالية، بل إن من يبحث في كتب التراجم القديمة لا يكاد يجد مصدراً منها إلا وقد ذُكر فيه خبر نقله صاحبه عن ابن الأبّار.

ولم يكن هذا البحث أول من تناول ابن الأبار أو أحد كتبه أو منهجه، فهناك دراسات سابقة تناولت جانباً من حياته أو بعضاً من كتبه ومنهجه فيها، منها: (ابن الأبّار: حياته، ومنهجه وجهوده التاريخية كتابه الحلة السيراء) لساجد مخلف حسن، و(ابن الأبّار ومنهجه في كتاب التكملة لكتاب الصلة) لسبع منال، لكنّ بحثي هذا تميز بتخصصه في تناول منهج المؤلف في كتابه تحفة القادم، إذ لم يقع الباحث –حسب اطلاعه– على دراسة سابقة في هذا الجانب.

لذا، سيقوم البحث بدراسة كتابه هذا، بدءًا بتعريف ابن الأبّار بإيجاز من حيث اسمه ولقبه وشيوخه وكتبه وما جرى معه من أحداث في حياته، ثم قصة وفاته. ثم عرض كتابه (التحفة)، ثم بين القيمة التاريخية والأدبية للكتاب، وذلك وفق ستة مباحث:

الأول: منهج ابن الأبّار في ترجمته للشعراء عند كل شاعر. والثاني: مصادر ابن الأبّار. والثالث: منهج ابن الأبّار في الأشعار التي يوردها. والرابع: أسلوب ابن الأبّار ومنهجه العام. والخامس: منهج ابن الأبّار في اختيار الشعراء. والسادس: أسماء الأماكن وشعراؤها. وقد اعتمد البحثُ المنهجَ الوصفي والإحصائي بما يعين الباحث على دراسة هذا المصدر القيم، سائلاً المولى تعالى التوفيق والرشاد.

التعريف بابن الأبّار:

هو أبو عبدالله، محمدُ بن عبدالله بن أبي بكر بن عبدالله بن عبدالرّحمن بن أحمدَ ابن أبي بكرٍ القُضَاعيُّ، بَلَنْسِيٌّ أُنْدِيٌّ أصلِ السَّلَف، عرف بابن الأبّار وبالأبّار[١]. وذكر إبراهيم الأبياري محقق كتاب (المقتضب من تحفة القادم لابن الأبّار) أن هذا اللقب أطلق على أبي عبدالله نفسه، لخبث لسانه في الهجاء[٢]، والكيد لأعدائه في الخفاء، إضافةً لدمامة منظره ورثاثة هيئته، وأن لقبه (ابن الأبّار) صفة له نسبت لأبيه دلالة على تأصل الصفة في الابن لا في الأب، بحجة أن ابن الأبّار حينما ترجم لوالده أغفل هذا اللقب عنه[٣]. ويردّ عليه محقق ديوانه عبدالسلام الهرّاس قائلاً: "وهو لقب أصيل كان

(١) صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م)، **الوافي بالوفيات**، ٢٩ج، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٠م، ج٣، ص٢٨٣.

(٢) جاء في لسان العرب: "أَبَرَ إِذا آذَى وأَبَرَ إِذا اغْتَابَ"، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي، ابن منظور (ت٧١١هـ/ ١٣١١م)، **لسان العرب**، ١٥ج، دار صادر، ط٣، بيروت، ١٩٩٣م، مادة (أبر).

(٣) أبو إسحاق إبراهيم بن محمد البلفيقي (ت ق٨هـ/ ١٣م)، **المقتضب من كتاب تحفة القادم لابن الأبّار**، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط٣، ١٩٨٩م، ص١٤.

أجداده يحملونه ويعرفون به، وكان هو يوقّع بعض رسائله به، ومن الخطأ القول بأن اللقب جديد أطلق أول ما أطلق عليه، كما أنه لم يكن -كما قيل- سبَّةً له لبذاءة لسانه ورثاثة هيأته"(٤).

كما أن صلاح الدين خليل الصفدي (ت٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م)، حينما ترجم له قال: "ومن شيوخه أبوه الأبَّار"، وهذا ردٌّ آخر على الأبياري بأن اللقب ليس مختصّاً بالابن بل هو متوارث، فضلاً عن هذا اللقب ليس مختصّاً به وحده دون غيره بل سبقه إليه ابن الأبَّار الخَوْلاني(٥)، وكان من شعراء المعتضد عباد صاحب إشبيلية، ولم يعرف عنه أنه بذيء اللسان، بل إننا أثناء تصفح ديوانه لم نجد سوى ثلاث قصائد قالها في الهجاء(٦)،

---

(٤) وقد نقل عنه حميد طريفة في رسالته (ابن الأبَّار القضاعي ومدائحه في البلاط الحفصي)، عن طبعة ١٩٦٦م، ولم أجد ما تحدث عنه في طبعة ١٩٩٩م، إذ يذكر الهراس أنه اختصر المقدمة. انظر: حميد طريفة، **ابن الأبَّار القضاعي ومدائحه في البلاط الحفصي: دراسة موضوعية فنية**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الحاج خضر، الجمهورية الجزائرية، ٢٠١٠م، ص ص٥٣-٥٤. أبو عبدالله محمد القضاعي، ابن الأبَّار (ت٦٥٨هـ/ ١٢٥٩م)، **ديوان ابن الأبَّار**، تحقيق: عبدالسلام الهراس، وزارة الأوقاف المغربية، ١٩٩٩م، ص١١ (هامش الصفحة).

(٥) "ابن الأبَّار الخَوْلاني، أبو جعفر أحمد بن محمد الخولاني الأندلسي الإشبيلي المعروف بابن الأبَّار الشاعر المشهور؛ كان من شعراء المعتضد عباد بن محمد اللخمي صاحب إشبيلية، المجيدين في فنونه، وكان عالمًا فجمع وصنف، وله في صناعة النظم فضل لا يرد، وإحسان لا يعد"، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان (ت٦٨١هـ/ ١٢٨٢م)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، ٧ج، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٨م، ج١، ص ص١٤١-١٤٢. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٨، ص٩٠.

(٦) ابن الأبَّار، ديوان ابن الأبَّار، ص٥٢٩.

وقيل: مأخوذ من صناعة الإبر واحترافها، أو من تأبير النخل[٧]، ونقل ابن منظور (ت٧١١هـ/ ١٣١١م) عن ابن الأعرابي هذه المعاني فقال: "أَبَرَ إذا آذَى وأَبَرَ إذا اغْتَابَ وأَبَرَ إذا لَقَّحَ النَّخْلَ وأَبَرَ أَصْلَح"[٨].

وُلِدَ في بلنسية سنة (٥٩٥هـ/ ١١٩٨م)[٩]، يقول عنه أبو عبدالله محمد بن محمد المراكشي (ت٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م): "كان آخِرَ رجالِ الأندَلُس بَراعةً وإتقانًا، وتوسُّعًا في المعارف وافتنانًا، محدِّثًا مُكثِرًا، ضابِطًا عَدْلًا ثقةً، ناقدًا يَقِظًا، ذاكرًا للتواريخ على تبايُن أغراضِها، مستبحِرًا في علوم اللِّسان نَحْوًا ولُغةً وأدبًا، كاتبًا بليغًا، شاعرًا مُفْلِقًا مُجِيدًا. عُنِيَ بالتأليف وبَخَتَ فيه، وأُعِين عليه بوفور مادّتِه وحُسن التهَدِّي إلى سُلوكِ جادّتِه، فصنَّفَ فيما كان يَنتحلُه مصنَّفاتٍ برَّزَ في إجادتِها، وأعجَزَ عن الوفاءِ بشُكرِ إفادتِها"[١٠]. ويقول ابن سعيد المغربي (ت٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م): "اجْتمعتُ بِهِ ورأيته فَاضلاً فِي النّظم والنثر والتاريخ ومُلَح الْآدَاب"[١١].

---

(٧) انظر مقدمة المحقق الأبياري من كتاب المقتضب من كتاب تحفة القادم، ص ص١٥-١٦.

(٨) ابن منظور، لسان العرب، مادة (أبر).

(٩) شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت١٠٤١هـ/ ١٦٣١م)، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**، ٨ج، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٦٨م، ج٢، ص٥٩١.

(١٠) أبو عبدالله محمد بن محمد بن عبدالملك الأنصاري الأوسي المراكشي (ت٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م)، **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**، ٥ج، تحقيق: إحسان عباس ومحمد بن شريفة وبشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط١، ٢٠١٢م، ج٤، ص٢٨١.

(١١) أبو الحسن علي بن موسى المغربي الأندلسي المعروف بابن سعيد المغربي (ت٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م)، **المغرب في حلى المغرب**، ٢ج، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٣، ١٩٥٥م، ج٢، ص٣٠٩.

ومن شيوخه: أَبوه الأبَّار[١٢] وأبو بكر بن محمد بن مُحرِز وأبو جعفر ابن عليّ الحَصّار وأبو جعفر ابن يوسُفَ ابن الدَّلّال وأبو حامدٍ محمد بن محمد بن أبي زاهر وأبو الحَجّاج بن محمدٍ القُضَاعيّ وأبو الحسن أحمد بن محمد بن واجب، وأبو الحسن ابن أحمدَ بن خِيَرة وأبو الحسن ابن عبدالله بن قُطْرال وأبو الحسن ابن أبي نَصر البِجَائيّ وأبو الحُسَين أحمد بن محمد ابن السَّرَّاج وأبو الخَطّاب أحمد بن محمد بن واجِب وأبو الرَّبيع ابن سالم واحتَذَى به ولازَمَه أزيَدَ من عشرينَ سنةً[١٣]، وأبو عبدالله مُحَمَّد بن نوح الغافقي[١٤]، وغيرهم ممن سيُذكَرون في البحث عند الحديث عمن يروي عنهم في التحفة.

وممّن روى عنه: أحمدُ بن يحيى ابن الشَّيخ، وعبدالرحمن بن محمد بن زَيْن، وغيرُهم[١٥].

له كتب كثيرة، يذكر منها المراكشي ما يقارب أربعين كتاباً تناولت موضوعات شتى كالحديث وتراجم رجاله، والمعاجم، وكتب تراجم عامة، وأخرى خاصة، ومؤلفات أدبية، منها: "المَوْرِدُ السَّلْسَل في حديث الرحمة المُسَلسَل"، و"المأخَذُ الصّالح في حديث مُعاويةَ بن صالح"، و"الاستدراك على أبي محمدٍ ابن القُرْطُبيِّ ما أغفَلَه من طُرُقِ رواياتِ الموطَّأ"، و"مختصرُ أحكام ابن أبي زَمَنِين في الفقه"، و"قَصدُ

(١٢) هكذا جاء عند الصفدي بخلاف من قال بأن الأبَّار صفة له نسبت لأبيه دلالة على تأصل الصفة في الابن لا في الأب، بحجة أن ابن الأبَّار حينما ترجم لوالده أغفل هذا اللقب عنه. انظر البلفيقي، المقتضب من كتاب تحفة القادم لابن الأبَّار، ص١٤.

(١٣) المراكشي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، ج٤، ص٢٧٦.

(١٤) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٣، ص٢٨٣.

(١٥) المراكشي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، ج٤، ص٢٨١.

السَّبيل ووِرْدُ السَّلسَبِيل في المواعظِ والزّهد"، و"التكمِلة لكتابِ الصِّلة"، و"الإيماء إلى المُنجِبينَ من العلماء"، و"الشّفاء في تمييزِ الثِّقاتِ من الضُّعفاء"، و"هِدايةُ المعتسِف في المؤتلِف والمختلف" و"الحُلّة السِّيَراء في شُعراءِ الأُمراء"، و"خَضْراءُ السُّندس في شُعراءِ الأندَلُس" من أوّل فَتْحِها إلى آخرِ عُمُرِه، و"إيماضُ البَرْق في شُعراءِ الشَّرق"، و"تُحفةُ القادم" وغيرها[١٦].

رحل ابن الأبّار عن بلنسية لمّا احتلها الإفرنج سنة (٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م)، واستقر بتونس فقرّبه صاحبها السلطان أبو زكرياء، وولّاه كتابة (علامته) في صدور الرسائل مدة، ثم صرفه عنها لأبي العباس الغساني لأنه يحسن كتابتها بالخط المشرقي، فسخط أنفةً من إيثار غيره عليه، فجاهر بالرد، وعوتب على ذلك، فاستشاط غضبًا، ورمى بالقلم، وأنشد متمثلاً قول المتنبي (الخفيف):

فاطلب العزّ في لظىً وذر الذّ لّ ولو كان في جنان الخلود[١٧]

ووصل ذلك إلى السلطان، فأمر بلزومه بيته، ثم استعتب السلطان بتأليفٍ رفعه إليه عَدَّ فيه من عوتب من الكتّاب وأعتبه، وسماه (إعتاب الكتّاب)[١٨]، واستشفع فيه بابنه المستنصر، فغفر السلطان له وأقال عثرته وأعاده إلى الكتابة، ولمّا مات أبو زكرياء وخلفه ابنه المستنصر، رفع مكانته، ثم حصلت له أمور معه، ولما علم المستنصر أن ابن الأبّار كان يزري عليه في مجالسه، وعزيت إليه أبيات في هجائه، أمر به فقتل، وكانت

(١٦) المراكشي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، ج٤، ص٢٨١.

(١٧) أبو الطيب أحمد بن الحسين المتنبي (ت٣٥٤هـ/ ٩٦٥م)، **ديوان المتنبي**، ٢ج، تحقيق: درويش الجويدي، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠١٤م، ج١، ص١٩٦.

(١٨) وقد طبع في مجمع اللغة العربية بدمشق. انظر: أبو عبدالله محمد القضاعي، ابن الأبّار (ت٦٥٨هـ/ ١٢٥٩م)، **إعتاب الكتاب**، تحقيق: صالح الأشتر، مجمع اللغة العربية بدمشق، ط١، ١٩٦١م.

وفاته كما ينقل صاحب النفح: "قُتل قعصاً بالرماح وسط محرّم سنة ٦٥٨هـ، ثمّ أحرق شلوه، وسيقت مجلدات كتبه وأوراق سماعه ودواوينه فأحرقت معه"[١٩].

عرض موجز لكتاب تحفة القادم:

كتاب تحفة القادم من كتب التراجم المهمة لشعراء الأندلس، ممن عاصروا ابن الأبّار، أو ممن توفوا قبل ولادته بسنوات، اقتطف من أشعارهم ما ارتأت ذائقته الفذة، ورضيته سجيته النقدية، بنحوٍ موجز بعيداً عما عرف به ذلك العصر من سجع متكلف قد ينأى بالموضوع عن منهجه العلمي بما قد يحوي من مبالغات أو صور بيانية.

تكفل بتحقيق هذا الكتاب إحسان عباس، ولم يشر إلى نسخ المخطوطة أو وصفها، وجاء هذا الكتاب في مئتين وأربع وتسعين صفحة من المقطع المتوسط، ابتدأه بمقدمة ترجم فيها للمؤلف من حيث شيوخه وكتبه وبعض ملامح منهجه، وما اعتمده من مصادر أعانته على تحقيق هذه النسخة، وختم الكتاب بفهارس للأعلام والأماكن والطوائف والأمم والكتب والقوافي ومصادر التحقيق. وطبع الكتاب بدار الغرب الإسلامي الطبعة الأولى سنة ١٩٨٦م.

جاء كتاب تحفة القادم في مقدمة تحدث فيها ابن الأبّار عن سبب تأليفه كتابه وهو مضارعته لـ(زاد المسافر) لابن إدريس، وعلى منوال (الأنموذج) لابن رشيق القيرواني في اختيار الشعر والشعراء وترتيبهم، فقد جمع ابن إدريس في كتابه أشعار المولدين من دولة ملوك الطوائف الثانية إلى أواسط العصر الموحدي، ممن أدركه بعمره أو لحقه من

(١٩) المقري، نفح الطيب، ج٢، ص٥٩١، انظر: محمد بن شاكر الكتبي (ت٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م)، **فوات الوفيات**، ٤ج، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٧٤م، ج٣، ص٤٠٥، خير الدين الزركلي (ت١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م)، **الأعلام**، ٨ج، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥، ٢٠٠٢م، ج٦، ص٢٣٣.

أهل عصره، فهو يجلي الأدب الموحدي والمجتمع الموحدي بكافة سماته وما فيه من انحطاط في الأدب والأخلاق، وما اشتمل عليه من الهزل والمجون والدعابة وألعاب عقلية، وهجاء تجاوز فيه حدود الأخلاق، وأما ترتيبه فكان وفق ما يصف: "ولم أتوخّ بالتقديم فيهم ولا التأخير إشعاراً بمزيةٍ أو تَنَقُّصِ تعصُّبٍ بل ذكرتهم حسب ما يُسِّر لي"[٢٠]، أما ابن رشيق القيرواني فقد قصر كتابه على شعراء بلده وزمانه وهو أغزر من (التحفة) أخباراً وأوفر[٢١].

تناول ابن الأبّار مئةَ شاعر ابتدأهم بابن خَلَصَة (ت٥٢١هـ/ ١١٢٧م) وأنهاهم بابن الصابوني (ت٦٤٣هـ/ ١٢٤٦م)، وأردفهم بأربع شواعر هنَّ: حمدة العوفي، ونزهون بنت القليعي، وهندُ جاريةُ أبي محمد الشاطبي، وبنت الحاج. ثم ألحق المحقق سبعة شعراء ذكروا في غير كتاب منسوبين للتحفة ممن لم يرد ذكرهم في النسخة المحققة.

قيمة الكتاب الأدبية:

للكتاب قيمته الأدبية بما يحويه من أخبار الشعراء وروائع الشعر، إذ هو باقة يانعة من الشعر الأندلسي أبدع المؤلف انتقاءه، وأحسن في اختياره، بذائقة تختار من الثمر أطيبه، ومن الشهد أحلاه، من نوادر حسان، برقة طبع العصر والمكان، وتنأى عما فيه من كل ساقط مبتذل. فهو يعد وثيقة أدبية تتناول الوجود العربي في البلاد

(٢٠) أبو بحر صفوان بن إدريس التجيبي المرسي (ت٥٩٨هـ/ ١٢٠١م)، **زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر**، تحقيق: عبدالقادر محداد، د.ن، بيروت، ١٩٣٩م، ص١.

(٢١) أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني (ت٤٥٦هـ/ ١٠٦٤م)، **أنموذج الزمان في شعراء القيروان**، تحقيق: محمد العروسي وبشير البكوش، الدار التونسية للنشر، تونس، والمؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٦م، ص ص٢٥-٢٧. أبو عبدالله محمد القضاعي ابن الأبار (ت٦٥٨هـ/ ١٢٥٩م)، **تحفة القادم**، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٨٦م، ص (هـ).

الأندلسية في القرنين السادس والسابع الهجريين، واهتمت بالشعراء الأندلسيين والترجمة لأعلامهم ممن برع في الشعر وأجاد. ومما زاد من أهميته تناوله شعراءَ مغمورين طواهم الزمن عنا في ثناياه، باح بهم الكتاب وكشف لنا الزمن عن خباياه.

وهو من المصنفات الأندلسية التي أخذت من الزمن منهجاً لها في ترتيب أسماء الشعراء، عارض فيه الأبّار (زادَ المسافر)[٢٢] لصفوان بن إدريس المرسي؛ فإن كان الزاد مما يعين المسافر في سفره، فإنَّ التحفة تزيل ما بالقادم من تعب السفر ووصبه[٢٣]. ترجم فيه المؤلف لمن عاصرهم من الشعراء إلى زمن تأليف كتابه، ولمن ماتوا قبل ولادته بسنوات، أي شعراء الفترة الزمنية الممتدة من (٥١٩هـ-٦٣٧هـ/ ١١٢٥م-١٢٣٩م)، وانفرد باشتراطه فيه ألا يترجم لمن تضمنته تصانيف السابقين من الأدباء[٢٤]، قاصراً ترجمته على أبناء بلده الأندلس، فجاء بترجمةٍ لمئة شاعر وأربع شواعر مع ذكر أشعارهم[٢٥] وما تيسر له من أخبارهم، بإيجازٍ مفيد، جاءت كلها مما أخذه روايةً عن شيوخه، إلا ما أخذه عن (الأنوار الجلية).

وتتجلى القيمة الأدبية للكتاب أيضاً من خلال اشتماله على قصائد لا تكاد توجد إلا فيه، حتى إن بعض كتب التراجم تنقلها عنه، وجل هذه القصائد لشعراء مغمورين من أبناء عصره في البلاد الأندلسية، فضلاً عما يحويه من آراء نقديةٍ وأحكامٍ -وإن كانت عامة- تكشف عن الذوق العام عند شعراء الأندلس ونقّادهم.

---

(٢٢) "الزَّوْد: تأْسيس الزَّاد، وَهُوَ طَعَامُ السَّفَرِ وَالْحَضَرِ جَمِيعًا، وَالْجَمْعُ أَزواد". ابن منظور، لسان العرب، مادة (زود).

(٢٣) "وَفِي الْحَدِيث: تُحْفَةُ الصائِم الدُّهْنُ والمِجْمَر. يَعْنِي أَنه يُذْهِب عَنْهُ مَشَقَّةَ الصوْمِ وشِدَّتَه. وَفِي حَدِيثِ أَبي عَمْرةَ فِي صِفَةِ التَّمْر: تُحْفَةُ الكَبير وصُمْتةُ الصَّغير". ابن منظور، لسان العرب، مادة (تحف). وقال ابن طولون: "وليمة التحفة: وهي الإطعام لمن يزورك". شمس الدين محمد بن علي ابن طولون (ت٩٥٣هـ/ ١٥٤٦م)، **فص الخواتم فيما قيل في الولائم**، تحقيق: نزار أباظة، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٨٣م، ص٦٧.

(٢٤) انظر مقدمة المحقق ومقدمة المؤلف، ابن الأبّار، تحفة القادم، ص (هـ)، وص ص٥-٦.

(٢٥) إلا ما سنورده فيما بعد مما استدركه المحقق على الكتاب.

المبحث الأول: منهج ابن الأبّار في ترجمته للشعراء عند كل شاعر

يعتمد ابن الأبّار منهجاً واضحاً في كل باب يترجم فيه لكل شاعر، حيث يبدأ بكنية الشاعر أو لقبه ثم اسمه كاملاً، وربما ظن أن جزءاً من الاسم أو اللقب بحاجة للضبط، فيقوم بضبطه بالحروف بين شرطتين، ومن ذلك أنه حين ترجم لابن خَلَصة يقول: "أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن بن فتح بن قاسم بن سليمان بن سويد بن خَلصة -بفتح الخاء المعجمة واللام والصاد-"[٢٦]، وحين ترجم لابن الطراوة يقول: "سليمان بن محمد بن عبدالله أبو الحسين السبائي -بالسين المهملة وبالباء الموحدة-"[٢٧].

ثم يذكر مباشرة البلد الذي ينتمي إليه الشاعر، بعبارة (من أهل) بعد الاسم مباشرة، وهذا المنهج متبع عند جميع من ترجم لهم من الشعراء إلا ثلاثة شعراء، وستة ألحقهم المحقق بهذه النسخة من كتابه سترد أسماؤهم لاحقاً. ثم يذكر منزلته العلمية وما برع فيه من الآداب والعلوم حيث يقول عن ابن أبي الصلت: "وله تواليف مُفيدة في الطبّ، وهو كان الغالب عليه، وفي الأدب والعروض والتاريخ"[٢٨].

وربما ذكر أسماء الكتب التي ألّفها الشاعر، ففي حديثه عن أبي الربيع ابن سالم يقول: "وله تصانيف مفيدة في عدّة فنون: ألّف "الاكتفاء في مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلّم والثلاثة الخلفاء" في أربعة مجلّدات، وله كتاب حافل في معرفة الصحابة والتابعين لم يكمله، وكتاب "مصباح الظلم" يشبه "الشهاب" و"كتاب في أخبار البخاري وسيرته" و"كتاب الأربعين" سوى ما صنّف في الحديث والأدب والخطب"[٢٩].

وقد يأتي ذكر مكانة الشاعر السياسية، فعند ترجمته لابن أبي الصلت يقول: "اتصل بأميرها يحيى بن تميم المُعزّ الصِّنهاجي، ثمَّ بابنه عليّ بن يحيى، وبعده بالحسن بن علي،

(٢٦) ابن الأبّار، تحفة القادم، ص٧.
(٢٧) المصدر السابق، ص١٨، وانظر أيضاً الصفحات: ٢٦، ٤٣، ٨٨، ٩٤.
(٢٨) المصدر السابق، ص١٠.
(٢٩) المصدر السابق، ص ص٢٠١-٢٠٢.

آخر ملوكِ الصّنهاجيين بها"[٣٠]، وفي ترجمته لابن أبي البراء التُّجيبي يقول: "فارق وطنه وهو صغير منتزحاً إلى بلاد الصحراء، وممتدحاً من كان بها من الأمراء"[٣١]. ثم يذكر شيوخ الشاعر الذين تتلمذ على أيديهم وأخذ عنهم، فابن الطراوة مثلاً أخذ عن أبي الحجاج الأعلم، والأديب أبي بكر المرشاني، وأبي مروان ابن سراج، حمل عنهم كتاب سيبويه[٣٢].

وقد يورد بعض أخبار الشعراء فيقول مثلاً في ترجمة ابن أبي الصلت: "ومِن خَبره أنَّه خرج من إشبيلية ابن عشرين سنة، ولزم التعلُّم بمصر عشرين سنة، ثمَّ أوطن المَهديَّة عشرين سنة"[٣٣]. ومنها أيضاً ما نقله عن شيخه أبي الربيع ابن سالم في ترجمته لابن أبي رُكَب أنهما مرّا برجل في يده محبرة وقلم نحاس وطلب من ابن أبي الركب شعراً فيهما؛ إذ كان يريد إهداءهما لأحد الكبراء، فلم يتوان الشاعر عن ذلك[٣٤]. كما أن

(٣٠) ابن الأبّار، تحفة القادم، ص٩.

(٣١) المصدر السابق، ص١٤.

(٣٢) المصدر السابق، ص١٨.

(٣٣) المصدر السابق، ص ص٩-١٠.

(٣٤) يقول: "مرَّ بنا رجل صَنَع، وفي يده مِحبرة أبنوس، وقد احتفل في عملها وتأنق في حِليتها، فأراناها وقال: إن هذه المحبرة أريد أن أقصد بها بعض الكُبراء وأرغب أن تُتِمُّوا لي احتفالي فيها، بأن تصنعوا لي بينكم أبياتَ شعرٍ أدفعها معها، رجاءَ أن يكون ذلك أنجحَ لغرضي منها. قال أبي: فأطرقنا نفكِّرُ في مَطلبه، وبَدَرَنا أبو الطاهر، فقال (الكامل):

وافْتك من عُددِ العُلا زِنجيَّةٌ ... في حُلّةٍ من حِليةٍ تتبخترُ

سوداءُ صفراءُ الحليِّ كأنَّها ... ليلٌ تُطرِّزُهُ نجومٌ تَزْهر

فسُرَّ الرَّجُل بها وسأل كَتْبَها، فكُتبت له. وانفصل عنَّا شاكراً ما كان من إسعافه. فلم يغبْ عنَّا إلا يسيراً، وإذا به قد عاد إلينا وفي يده قلم نُحاس مُذهَّبٌ، فقال لنا: وهذا مما أعددته للدفع مع هذه المِحبرة، وأُنسيت قبلُ ذِكرَهُ لكم، فتفضَّلوا بإكمال الصنيعة، فبَدَرَ أيضاً أبو الطاهر وقال (الكامل):

حَملتْ بأصفرَ من نِجَارِ حُلِيِّها ... تُخفيهِ أحياناً وحيناً يظهرُ

خَرسانُ إلا حين يرضعُ ثَديها ... فتراه يَنْطِقُ ما يشاءُ ويَذْكر".

المصدر السابق، ص ص٣٤-٣٥.

المؤلف قد يورد شعراءَ تشابهت أسماؤهم مع اسم الشاعر المترجم له، ويعرِّفُ بهم ويذكر السبب الذي دفعه إلى عدم ذكره لهم أو دراسة شعرهم وأنه جاء بذكرهم خشية الالتباس؛ حيث يذكر في ترجمة ابن خَلَصَة أنه ينسب إلى خلصة شاعران هما: أبو عبدالله الضرير الداني، فيقول "وليس من شرطنا لتقدم وفاته في آخر المائة الخامسة، ولأنه أيضاً مذكور في كتاب الذخيرة لابن بسام"(٣٥)، وأبو عبدالله محمد بن يوسف بن خلصة المعافري الشاطبي أحد الرواة عن أبي عمر ابن عبدالبر، إذ يبين السبب ويقول: "وليس بمعدود في الأدباء. وأردت بهذا الإنباء والإنباه، التفرقةَ بينهم خيفةَ الاشتباه"(٣٦).

ومنها أيضاً ما ذكره عند ترجمته لأبي العباس الجُراوي وتوضيحه للغلط الذي وقع فيه ابن إدريس التجيبي في (زاد المسافر) فيقول: "هو من أهل مالقة وليس باللص وإنَّما توافقاً في الاسم والكنية والنسب، ذاك من أهل إشبيلية وهو كنانيّ النسب، وكلاهما أقرأ الأدب والعربية، تقدمت وفاة المالقي منهما، وغلط أبو بحر صفوان بن إدريس في كنية الإشبيلي منهما عند ذكره في كتاب (زاد المسافر) وقد ذكرتُهما جميعاً في كتاب "التكملة"(٣٧). ثم يذكر بعد ذلك مكان وفاة الشاعر والسنة التي توفي بها إن توفر له ذلك؛ فأبو الفضل الجلياني مثلاً توفي بدمشق سنة اثنتين وستمائة(٣٨)، وابن فرتون توفي بقُرْطُبَة سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة(٣٩).

وربما ذكر زمن الوفاة بدقة؛ إذ كانت وفاة أبي عمران المِيرتُلي ليلة السبت مستهل جمادى الأولى سنة أربع وستمائة(٤٠)، أو قد يذكر الخلاف في سنة وفاته ثم يورد

(٣٥) ابن الأبَّار، تحفة القادم، ص٨.

(٣٦) المصدر السابق، ص٨.

(٣٧) المصدر السابق، ص٥٩.

(٣٨) المصدر السابق، ص١٢٨.

(٣٩) المصدر السابق، ص٢٢.

(٤٠) المصدر السابق، ص١٣٢.

ترجيحه للخلاف؛ فيذكر أن ابن أبي الصلت قد تُوفي سنة عشرين وخمسمائة، أو بعدها بيسير، وقيل: توفي في سنة ست وثلاثين، والأول أصحّ[٤١]. أو قد لا يرجّح كما ذكر عند ابن كسرى المالقي أنه توفي سنة ثلاث أو أربع وستمائة[٤٢]. أو ربما لا يذكر سنة الوفاة كما فعل عند أربعٍ وأربعين شاعراً سيأتي ذكرهم فيما بعد[٤٣] حيث يعلل ذلك فيقول في ترجمة ابن صبرة: "ولم أقف على تاريخ وفاته، ولا على وفاة المذكورين قبله إلى أبي القاسم ابن ورد، فإن قدّمتُ وأخرتُ فعن غير قصد"[٤٤]. كما أنه قد يورد سبب الوفاة إن كانت غير طبيعية أو لافتة للانتباه، كما هو الحال عند ابن العريف إذ قيل إنَّه سُمّ[٤٥]. أو قد يذكر أن الشاعر توفي مُعتَبطًا (شابًّا صحيحًا) مثل ابن إدريس التجيبي[٤٦]، وابن شَكيل الصَّدفي[٤٧].

وهكذا فإنَّ تحري الدقة في نقله معلوماته عن الشعراء كان ملمحًا واضحًا جليّـًا، حاول المؤلف أن يلتزم فيه ما أمكنته إليها المعلومات.

المبحث الثاني: مصادر ابن الأبَّار

من المصادر المكتوبة التي اعتمدها ابن الأبَّار كتاب (الأنوار الجلية في تاريخ الدولة المرابطية) لابن الصيرفي، إذ أخذ عنه في موضعين[٤٨]، وهو قد يسمع من الشاعر

(٤١) ابن الأبَّار، تحفة القادم، ص٩.
(٤٢) المصدر السابق، ص١٣٠.
(٤٣) أوردتهم في المبحث الأخير دون الإشارة لتاريخ الوفاة.
(٤٤) ابن الأبَّار، تحفة القادم، ص٥١.
(٤٥) المصدر السابق، ص٢٦.
(٤٦) المصدر السابق، ص١١٩.
(٤٧) المصدر السابق، ص١٤٠.
(٤٨) المصدر السابق، ص٧، وص١١٤.

نفسه بعد أن يلتقي به فيروي الشعر مباشرة عنه؛ إذ نجده روى عن الغزّال[٤٩] وابن عميرة المخزومي[٥٠]. أما باقي معلوماته فقد أخذها روايةً عن اثنين وعشرين من شيوخه، وأكثرُ نقله كان عن شيخه أبي الربيع ابن سالم، إذ أخذ عنه في تسعةَ عشرَ موضعًا، بعبارات: أنشدنا أبو الربيع ابن سالم، أو سمعتُ أو حدثني أو قال[٥١]، ثم عن أبي الحسن علي بن محمد بن حريق في ثلاثة مواضع[٥٢]، ثم في موضعين عن كلٍّ من أبي عمر ابن عياد[٥٣] والقاضي أبي سليمان ابن حوط الله[٥٤] والقاضي أبي الخطّاب[٥٥] وأبي القاسم عامر بن هشام القرطبي[٥٦] وأبي عبدالله ابن عيّاد[٥٧]، وفي موضع واحد عن كلٍّ من أبي الحسن عليّ بن أحمد المكناسي[٥٨] وأبي الحسن ابن أبي الفتح[٥٩] وأبي عبدالله محمد بن محمد بن عبدالعزيز الشاطبي[٦٠] وأبي القاسم ابن حسَّان الكَلبي[٦١] وأبي عبدالله ابن هشام[٦٢]، وأبي محمد عبدالله بن علي الغافقي[٦٣] وأبي بكر محمد بن

(٤٩) ابن الأبّار، تحفة القادم، ص٢١٨.
(٥٠) المصدر السابق، ص٢١٠.
(٥١) المصدر السابق، الصفحات: ٢٢، ٢٥، ٢٨، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٦، ٤٣، ٥٠، ٥١، ٨٣، ١٠٩، ١١٨، ١٢٠، ١٥٣، ١٦٧، ١٩٥، ٢٠٧، ٢٤٦.
(٥٢) المصدر السابق، الصفحات: ٢٣، ٦١، ١٧٠.
(٥٣) المصدر السابق، ص٥٥، وص٨٣.
(٥٤) المصدر السابق، ص٤٩، وص١٣٢.
(٥٥) المصدر السابق، ص٧١، وص١٥٠.
(٥٦) المصدر السابق، ص٨١، وص١٧٦.
(٥٧) المصدر السابق، ص٨٣، ٨٥.
(٥٨) المصدر السابق، ص١٧٢.
(٥٩) المصدر السابق، ص٧٠.
(٦٠) المصدر السابق، ص٤٥.
(٦١) المصدر السابق، ص٥٠.
(٦٢) المصدر السابق، ص٦٨.
(٦٣) المصدر السابق، ص١١٩.

الحاج أبي عامر محمد بن حسن الفهري[٦٤] وأبي الحسين ابن سراج[٦٥] وأبي القاسم عبدالرحمن بن أبي الحكم[٦٦] وأبي محمد عبدالله بن عبدالرحمن الأزدي[٦٧] وأبي القاسم ابن عُلَيم[٦٨] وأبي جعفر ابن عبيد الأركشي وأبي إسحاق ابن الفقيه الجياني[٦٩] وأبي محمد ابن أبي بكر الداني الطبيب[٧٠].

وهو دقيق في تثبته من الأشعار إذ يقول: "وهذه الأبيات قد أنشدنيها بعض الأعلام لأبي القاسم عامر بن هشام، وإنَّما هي لأبي جعفر هذا، أنشدنيها صاحبنا أبو الحسن حازم بن محمد الأديب"[٧١]. وقد وجدناه في موضع واحد لم يصرح بمصدر معلوماته فاستخدم فيها عبارة "حُكي لي"[٧٢]، وربما لم ينسب ذلك لأن المسألة متعلقة برؤيا منامية؛ فخشي أن يتهم من روى له بالكذب[٧٣]، أو أنه نسي، أو لسببٍ نجهله، إذ إننا نراه قد أورد رؤيا في موضع آخر فذكر الراوي[٧٤].

---

(٦٤) ابن الأبّار، تحفة القادم، ص١٢٥.
(٦٥) المصدر السابق، ص١٣١، وص١٤٤.
(٦٦) المصدر السابق، ص١٤٦.
(٦٧) المصدر السابق، ص١٥٣.
(٦٨) المصدر السابق، ص١٥٧.
(٦٩) المصدر السابق، ص٢٣٥.
(٧٠) المصدر السابق، ص٢٣٩.
(٧١) المصدر السابق، ص١٧٦.
(٧٢) المصدر السابق، ص٢١٨.
(٧٣) يقول: "والَّذي حُكي لي -وهو الصحيح- أن المنصور أبا يوسف رأى أباه في النوم يقول له: ببابك رجلٌ يُعرف بابن إدريس فاقضِ حاجته -أو ما هذا معناه-، فلما أصبح، وذلك يوم الثامن عشر لذي الحجة عام تسعين وخمسمائة، أخبر بالرؤيا فوجَّه فيه قاضي الجماعة أبو القاسم ابن بقيّ والكاتب أبو الفضل ابن طاهر المعروف بابن محشوّة وبشَّراه، ويوم الاثنين بعده سئل عن مطالبه فقُضيت وزُوّد بأربعمائة دينار". المصدر السابق، ص٢١٨.
(٧٤) يقول: "وحكى ابن صاحب الصلاة عن بعض الصالحين أنَّه رآه في النَّوم فقال له: كيف حالك وما لقيت من ربك؟ فأنشده بيتين لم يُسمعا قبلُ". المصدر السابق، ص١٠٧.

المبحث الثالث: منهج ابن الأبَّار في الأشعار التي يوردها

اتخذ المؤلف معيارين في اختياره الشعر وهما: روعة التشبيه، وجمال التشبيب[٧٥]، يقول: "وآتيًا من روائع البديع ما يهتزّ له مُبصره وسامعه، كتشبيهٍ لابن المُعتز فاضح، وتَشبيب إزرائه بالرَّضِيّ واضح، أعيا الأول وله السبقُ يوم الرِّهان، وأنسى الثاني ليلةَ السَّفح وظَبية البان؛ إلى فنونٍ ذواتِ فُتون من الآداب، ساحرةٍ للألباب، وساخرةٍ من الكَلِمِ اللُّباب"[٧٦]، وهذا كله خاضع لذوق المؤلف نفسه والذوق العام في عصره وما تيسر له من شعر عند تأليفه الكتاب[٧٧].

بعد ترجمة المؤلف للشعراء يورد مجموعة من الأبيات لكل شاعر، فقد تكون الأبيات المنقولة كثيرة كما فعل عند ترجمة أبي الربيع ابن سالم؛ فقد أورد له ثلاث عشرة مقطوعة[٧٨]، أو ينقل عن الشاعر بيتين فقط كما فعل في ترجمة ابن الجائزة[٧٩]. وأحيانًا نراه يأتي بذكر مناسبة القصيدة أو قصتها[٨٠]، أو يشك في نسبة الأبيات لصاحبها؛ ففي ترجمة ابن فرتون يقول: "ولابن الأبرش يرثي غلامًا وسيمًا غرق، قاله أو تمثل به"[٨١]، وقد يورد الأبيات ويذكر أنها نسبت غلطًا للشاعر ويصوب ذلك، كما فعل عند نقله أبيات ابن جُرْج الكاتب قال: "وتُنسب هذه القطعة غلطًا إلى أبي القاسم أخيل بن إدريس الرُّنْدي، كاتب ابن حمدين ولم يصحّ، وأنشدها أبو القاسم عامر بن هشام القرطبي في مجموع له لأبي جعفر ابن جُرْج هذا وهو بَلَديُّهُ ولعلَّه سمعها منه"[٨٢].

---

(٧٥) ابن الأبَّار، تحفة القادم، مقدمة المؤلف، ص (ز).
(٧٦) المصدر السابق، ، ص٦.
(٧٧) المصدر السابق، ص (ز).
(٧٨) المصدر السابق، ص٢٠١ وما بعدها.
(٧٩) المصدر السابق، ص٤٨.
(٨٠) كما هو الحال في قصة المحبرة والقلم، المصدر السابق، ص٣٥.
(٨١) المصدر السابق، ص٢٣.
(٨٢) المصدر السابق، ص٨١، وص٨٢. انظر أيضًا ص١٩.

والذي يُلاحَظ أنّ الشعر الذي ينقله عند ترجمة الشاعر ليس كله لذلك الشاعر، وإنما قد يتشابه قول الشاعر مع شاعر آخر في موضوعه فيورده، ومن ذلك أنه لما ذكر موضوع رثاء الغريق في ترجمة ابن فرتون ذكر المؤلف أن الشعراء قد أكثروا "في رثاء الغريق فأجادوا، من ذلك قول أبي القاسم ابن العطار الإشبيلي في بعض الهَوزَنيين ومات غريقًا في نهر طلبيرة عند فتحها"[٨٣]. أو قد يذكر أن معاني أبيات الشاعر أخذها أو تأثر بها من شاعر آخر؛ إذ تأثر ابن نِنَّة بأبي العلاء المعري في قصيدةٍ يصف بها الديك[٨٤] أو قد سبقها إليه شاعر[٨٥].

وربما أبدى بعض الآراء والأحكام النقدية عن بعض الأشعار فيقول مثلاً: "وهذا من مليح التضمين ونبيل التذييل، وقد كان عند أبي بحر منه ما يستحسن"[٨٦]، وقوله: "وقد أكثر الشعراء في رثاء الغريق فأجادوا"[٨٧]، وأيضًا قوله: "وما أحسن قول شيخنا أبي الحسن ابن حريق في هذا المعنى"[٨٨]، ويذكر في موضع أنّ "أبا بكر يحيى بن بقي كان أظرف معنًى وألطف ذهنًا، حيث يقول (الكامل):

باعدتُــهُ عــن أضــلعٍ تشــتاقُهُ كــي لا ينــامَ علــى وســادٍ خــافقِ"[٨٩].

المبحث الرابع: أسلوب ابن الأبّار ومنهجه العام

اتسم أسلوب المؤلف بالوضوح والإيجاز، وهذا ما اتبعه في ترجمته للشعراء واختياره للأبيات إذ يقول في مقدمته: "هذا اقتضاب من بارع الأشعار، بل يانع

(٨٣) ابن الأبّار، تحفة القادم، ص٢٣، وص٨٤.
(٨٤) حيث يقول ابن الأبّار: "معاني هذه الأبيات من قول أبي العلاء المعرّي". المصدر السابق، ص٨٨، وانظر ص١٤٣.
(٨٥) المصدر السابق، الصفحات: ١٢١، ١٣٦، ١٩.
(٨٦) المصدر السابق، ص١٦٧.
(٨٧) المصدر السابق، ص٢٣.
(٨٨) المصدر السابق، ص٢٣.
(٨٩) المصدر السابق، ص٢٨.

الأزهار"[٩٠]، بل إنه في أحد المواضع يصرح بأن القصيدة طويلة ولا يذكر منها سوى بيت واحد كما هو الحال عند ابن عذرة[٩١] أو اثني عشر بيتًا كما فعل عند أبي الربيع ابن سالم[٩٢] وغيره[٩٣].

ويذكر ابن الأبَّار في مقدمة كتابه أنه تجنب السجع في كتابه فيقول: "حميتُه أسجاع الناثر، اكتفاء بقوافي الناظم"[٩٤] ولعله رأى في السجع ما يبعد الكتابة العلمية عن موضوعها، إلا أننا نراه قد خالف منهجه هذا عند ترجمته لشيخه أبي الربيع ابن سالم فقال: "علم الأعلام، واللعوب في جدّه بأطراف الكلام، الَّذي فاز بالجنّة يوم فاد[٩٥] [مات]، وأفاد علوم السنة في ما أفاد"[٩٦]، وعند ترجمته لصديقه[٩٧] ابن عميرة المخزومي يقول: "فائدة هذه المائة، والواحد يفي بالفئة، الَّذي اعترف بأمجاده الجميع، واتصف بالإبداع فماذا يوصف به البديع، ومعاذ الله أن أُحابيه بالتقديم، لما له من حق التعليم، كيف وسَبْقُهُ الأشهر، ونُطْقُه الياقوت والجوهر، تحلَّت به الصحائف والمهارق، وما تخلَّت عنه المغارب والمشارق"[٩٨]، ولعله ترجم لهما بهذا السجع لمكانتهما في نفسه أو لمكانتهما العلمية.

---

(٩٠) ابن الأبَّار، تحفة القادم، ص٥.

(٩١) المصدر السابق، ص١٤٦.

(٩٢) المصدر السابق، ص١٥٢.

(٩٣) المصدر السابق، ص١٧١، وص٢١٦.

(٩٤) المصدر السابق، ص٦.

(٩٥) لأن الكلاعي مات شهيداً في معركة أنيشة مستبسلاً وهو يحرّض المسلمين على الجهاد، فهو يقول: فاز بالجنة يوم مات في تلك الواقعة.

(٩٦) ابن الأبَّار ، ص٢٠١.

(٩٧) المصدر السابق، ص (ز).

(٩٨) المصدر السابق، ص٢٠٩. يقول المؤلف: "قال من قصيدة أنشدنيها بإشبيلية، إثر نُزهة جمعتنا بخارجها، صدر سنة سبع عشرة وستمائة، وأنا اقترحت وصفها عليه". المصدر السابق، ص٢١٠.

أما ما وجدناه مِن رجوعه للسجع عند ترجمته مَن استهجنهم من الشعراء، وعدهم في العامة، مثل ترجمته لعياش بن حوافر، فيما ألحقه المحقق من تراجم نقلها مِن كتبٍ نسبت تلك الترجمة لتحفة القادم: "كان أخبثهم لسانًا وأكثرهم افتنانًا، وإنَّما أخرته لعداده في العامة، حتَّى يهجو فيجيء بالطامة، وما أنسى تعجب أبي الرَّبيع شيخنا منه، واستغرابه لما يصدر عنه"[٩٩]، فلعل ذلك السجع من صنع النقلة لا من صنع المؤلف لتميز ذلك العصر به، وإلا لمَ خَصَّصَ شيخه وصديقه بالسجع دون غيرهم.

ونراه في التحفة يبتعد كثيراً عن الهجاء حتى إنه اكتفى بذكر أسماء شعراء -أثناء ترجمته للغزّال- متناسيًا شعرهم ومعللاً ذلك بأن مثل هؤلاء ليس لديهم سوى الهجاء، ولم نر في التحفة سوى أربعة أبيات في موضوع الهجاء (لأبي بحر بن صفوان بن إدريس)، ويعقّب بعدها فيقول: "هذا النوع من الهجاء لا يسمج [لا يقبح] عند أكثر الأدباء، وتركتُ لأجل الهجاء من لم أجد له سواه، ومنهم: أبو محمد عبدالله بن عبدالرحمن الفريّاني؛ وأبو بكر محمد بن عبدالله بن سدية؛ وأبو عبدالله محمد الواعظ الكفيف المعروف بالمورووري" وغيرهم[١٠٠].

المبحث الخامس: منهج ابن الأبَّار في اختيار الشعراء

صرّح المؤلف في مقدمة التحفة بأنه يحاكي ابن رشيق القيرواني في تأليفه الأنموذج، وهذه المحاكاة إنما تتمثل في اقتصار كل مؤلف منهما على شعراء بلده وأهل زمانه[١٠١]. وقد اشترط المؤلف ثلاثة شروط في اختياره الشعراء:

- شرطًا زمانيًا: إذ يترجم للشعراء الذين ماتوا قبل ولادة ابن الأبَّار، وأقدم هؤلاء وفاةً حوالي ٥١٩هـ/ ١١٢٥م، أو ٥٢٠هـ/ ١١٢٦م، والشعراء المعاصرين الذين ماتوا

(٩٩) ابن الأبَّار، تحفة القادم، ص٢٤٦.

(١٠٠) المصدر السابق، ص ص٢١٩-٢٢٠.

(١٠١) المصدر السابق، ص (ز)، القيرواني، أنموذج الزمان، ص ص٢٥-٢٧.

بعد ولادة ابن الأبّار (أي بعد سنة ٥٩٥هـ/ ١١٩٨م) إلى تاريخ الانتهاء من تأليف الكتاب، فالذين ترجم لهم كانت وفاتهم بين ستي (٥١٩هـ- ٦٣٧هـ/ ١١٢٥م-١٢٣٩م).

- وشرطًا مكانيًا: وهو اقتصاره على شعراء الأندلس، وزاد عليه بأن ترجم للطارئين عليها من الغرباء مثل (الكانمي) و(ابن حمادو)، أما باقي الشعراء فهم أندلسيون ثلاثة لم تذكر نسبتهم لبلد معين، سيأتي تفصيلهم لاحقًا.
- وشرطًا ثالثًا: ألّا يترجم لشاعر تضمنته تصانيف السابقين من الأدباء، وخاصة (زاد المسافر) لأبي البحر صفوان، لكنه خالف ذلك الشرط حينما ترجم لابن سعد الخير البلنسي، وهو من شعراء (زاد المسافر)[١٠٢]، ولعله غفل عن ذلك أو نسي.

إذ يقول: "قصرتُه على أهل الأندلس بلدي، وحصرتُه إلى من سبق وفاتَه منهم مولدي، ثمَّ ألحقتُ بهم أفراداً لحقهم شيوخُ ذلك الأوان، لأُضاهي "أنموذج" أبي عليّ ابن رَشيق، في شُعراء القيروان؛ وأضفت إلى هؤلاء، الطارئين على الجزيرة من الغُرباء، وربأتُ به عمَّا تضمنتْه تصانيف السابقين من الأُدباء"[١٠٣].

اعتمد المؤلف تاريخ الوفاة معياراً لترتيب الشعراء عنده، وقد يتجاوز هذا الضابط في القليل النادر، فقدم مثلاً ترجمة ابن شلبون (ت٦٣٩هـ/ ١٢٤٢م)[١٠٤] على ترجمة الغزّال (ت٦٣١هـ/ ١٢٣٤م)[١٠٥]، ولا غرابة في ذلك؛ إذ ذكر المؤلف هذه الجزئية في المقدمة، يقول: "وهذا أوانُ الشُّروع في المُراد، بهذا المجموع أبدأ: فالأول في الزمان، وربما قدّمت الأكبر بالمكان، إلا أن يعرض من النِّسيان، ما هو مُوكَّل بالإنسان"[١٠٦]، ومن باب أولى أن يعذر في ترتيب الشعراء مما جهل سنة وفاتهم.

(١٠٢) ابن إدريس، زاد المسافر، ص١٠٣.

(١٠٣) ابن الأبّار، تحفة القادم، ص٥.

(١٠٤) المصدر السابق، ص٢١٣.

(١٠٥) المصدر السابق، ص٢١٨.

(١٠٦) المصدر السابق، ص٦.

المبحث السادس: أسماء الأماكن وشعراؤها

تناول المؤلف مئةً وأربعةَ شعراءَ من ثلاثةٍ وعشرينَ مكانـًا من الأندلس، تتبعهم الباحث باستقصاءٍ تامّ، وقام بترتيبهم حسب أماكنهم في جدول خلافـًا لترتيب المؤلف لهم، واضعـًا سنة الوفاة لهم حسب ما أسعفه الكتاب إليه، وإنما قام الباحثُ بذلك للكشف عن منهج المؤلفِ في اختيار الشعراء وبيان ما خالف فيه منهجَه، لأن منهجَه الرئيس في اختياره الشعراء كان وفق المكان.

وأكثر الأماكنِ ذكراً بلنسية، فكان لها الحظ الأوفر من الشعراء، ولعل ذلك لأنهم من بلدته نفسها، إذ كان عددهم منها ستة عشر، وأحد عشر من إشبيلية، وتسعة من قرطبة، وسبعة من غرناطة والمرية، وستة من مالقة ومرسية، وخمسة من شلب ووادي آش، وأربعة من جيان ودانية وشريش، وثلاثة من الجزيرة الخضراء وجزيرة شقر، وواحد من أُبَّذة وإستجَّة وحصن وسرقسطة وشاطبة وشلطيش وشنترين وميرتلة ورُوقة، ودخيلان على الأندلس، وثلاثة لم ترد نسبتهم لمكان، وسبعة ألحقهم المحقق ممن ذكروا منسوبين للتحفة في غيره من الكتب، وهم على النحو الآتي:

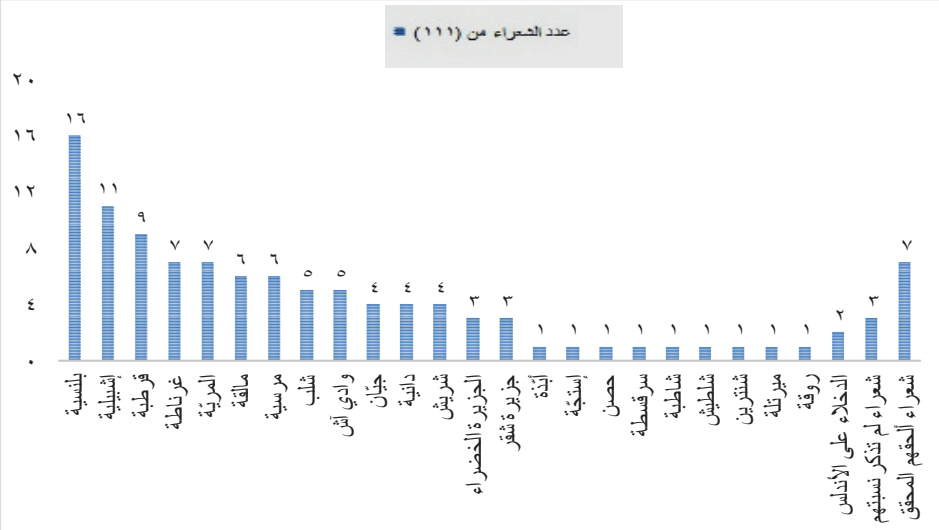

(جدول بأسماء الشعراء وأماكنهم)

• **بلنسية:** ١- ابن خَلَصَة (٥٢١هـ/ ١١٢٧م). ٢- ابن عمرو الأندي. ٣- ابن علقمة البلنسي (٥٠٩هـ/ ١١٥٦م). ٤- ابن عطية الكاتب. ٥- ابن جحاف المعافري (٥٥١هـ/ ١١٥٦م). ٦- ابن سعد الخير (٥٧١هـ/ ١١٧٦م). ٧- الرفّاء الرصافي (٥٧٢هـ/ ١١٧٧م). ٨- ابن الشوَّاش الجُميمي (قبل المئة السابعة). ٩- ابن محفوظ (ت٦٠٣هـ/ ١٢٠٦م). ١٠- ابن أبي البقاء (٦١٠هـ/ ١٢١٤م). ١١- ابن نوح الغافقي (٦١٤هـ/ ١٢١٨م). ١٢- غالب الأنصاري (٦٢٩هـ/ ١٢٣٢م). ١٣- أبو الربيع ابن سالم (٦٣٤هـ/ ١٢٣٧م). ١٤- ابن محرز الزهري (٦٥٥هـ/ ١٢٥٧م). ١٥- ابن شلبون (٦٣٩هـ/ ١٢٤٢م). ١٦- ابن مطروح (٦٣٥هـ/ ١٢٣٨م) (خالف الترتيب).	• **إشبيلية:** ١- أبو الصَّلت (٥٢٦هـ/ ١١٣١م أو بعدها بيسير). ٢- التطيلي الأصغر. ٣- خزرون البربري. ٤- النجَّار الكلبي (٥٧٢هـ/ ١١٧٦م). ٥- ابن مسلمة (٥٨٥هـ/ ١١٨٩م). ٦- أبو محمد البكري الإشبيلي. ٧- ابن جعفر السكوني. ٨- ابن أبي خالد الكاتب (٦١٢هـ/ ١٢١٥م). ٩- ابن المرخي (٦١٦هـ/ ١٢١٩م). ١٠- أبو المطرف الزهري. ١١- ابن الصابوني (٦٣٤هـ/ ١٢٣٦م). • **قرطبة:** ١- ميمون الهواري. ٢- ابن الأصبغ. ٣- ابن قزمان (ت٥٥٤هـ/ ١١٥٩م). ٤- ابن جُرْج الكاتب (٥٧٥هـ/ ١١٧٩م). ٥- ابن شَطْرِيَه. ٦- أبو جعفر الربضي القرطبي (٦١٦هـ/ ١٢١٩م). ٧- ابن أصبغ الأزدي (٦٢٧هـ/ ١٢٢٩م). ٨- ابن يخلفتن (٦٢٧هـ/ ١٢٢٩م). ٩- ابن هشام الأزدي (٦٣٥هـ/ ١٢٣٧م).

- **غرناطة:**

١- أبو عبدالله الإقليمي.
٢- ابن الفرس (٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م).
٣- ابن مسعدة العامري (٦٠٠هـ/ ١٢٠٣م).
٤- ابن مطرف (ت٦٠٩هـ/ ١٢١٢م).
٥- ابن ثعلبة.
٦- حفصة بنت الحاج.
٧- نزهون بنت القليعي.

- **المريّة:**

١- ابن العريف (٥٣٦هـ/ ١١٤١م).
٢- ابن ورد (٥٤٠هـ/ ١١٤٥م).
٣- ابن الصقر (٥٦٩هـ/ ١١٧٣م).
٤- أبو الأصبغ العبدري.
٥- ابن سَفَر الأديب.
٦- ابن طفيل (٥٨١هـ/ ١١٨٥م).
٧- صقلاب (٦١٩هـ/ ١٢٢٢م)

- **مالقة:**

١- ابن الطراوة (٥٢٨هـ/ ١١٣٣م).
٢- ابن سيد الجراوي (ت بعد ٥٦٠هـ/ ١١٦٤م).
٣- أبو عمرو بن رضا (ت بعد ٥٩٠هـ/ ١١٩٤م).
٤- ابن كسرى المالقي (٦٠٣هـ/ ١٢٠٦م) أو (٦٠٤هـ/ ١٢٠٧م).
٥- ابن عبد ربه.
٦- ابن طالب.

- **مرسية:**

١- ابن ذِمَام.
٢- ابن إدريس التُّجيبي (٥٩٨هـ/ ١٢٠١م) (أبو بحر صفوان بن إدريس).
٣- ابن جهور.
٤- ابن إدريس التُّجيبي (أول ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م) (أبو عمرو إبراهيم بن إدريس).
٥- أبو جعفر الغزَّال (٦٣١هـ/ ١٢٣٣م).
٦- الرفَّاء المرسي (٦٣٣هـ/ ١٢٣٥م).

- **شلب:**

١- العامري النحوي.
٢- ابن سكن.
٣- ابن الشوَّاش المغربيّ.
٤- ابن المنخل (ت بعد ٥٦٠هـ/ ١١٦٤م).
٥- ابن بدرون.

- **وادي آش:**

١- ابن محارب.
٢- ابن البراق (٥٩٦هـ/ ١١٩٩م).
٣- أبو الفضل الجلياني (٦٠٢هـ/ ١٢٠٥م).
٤- ابن فرسان الغساني (٦١١هـ/ ١٢١٤م).
٥- حمدة العوفي.

- **جيان:**

١- ابن أبي رُكَب.

٢- ابن نِنَّة.

٣- ابن الجنان.

٤- ابن نصير (٦٠٢هـ/ ١٢٠٥م).

- **دانية:**

١- ابن غتال (ت٥٣٩هـ/ ١١٤٤م).

٢- ابن أيوب (٥٩٢هـ/ ١١٩٥م).

٣- ابن أبي قوّة (٦٠٨هـ/ ١٢١١م).

٤- أبو الربيع العبدري (٥٨٤هـ/ ١١٨٨م).

- **شريش:**

١- ابن لبال (٥٨٣هـ/ ١١٨٧م).

٢- ابن شكيل الصدفي (٦٠٥هـ/ ١٢٠٨م).

٣- ابن غياث (٦١٩هـ/ ١٢٢٢م).

٤- ابن الجائزة.

- **الجزيرة الخضراء:**

١- ابن البراء التُّجِيبي.

٢- ابن أبي رَوْح.

٣- ابن عذرة (٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م).

- **جزيرة شقر:**

١- ابن طملوس (٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م).

٢- ابن عميرة المخزومي (٦٥٨هـ/ ١٢٥٩م).

٣- ابن طلحة الأنصاري (٦٣٢هـ/ ١٢٣٤م).

- **أَبَّذة:**

١- أبو بكر اليعمري.

- **إستجَّة:**

١- أبو زيد السالمي.

- **حصن:**

١-ابن هَرَوْدَس (٥٧٢هـ/ ١١٧٦م).

- **سرقسطة:**

١-ابن غلندة (٥٨١هـ/ ١١٨٥م).

- **شاطبة:**

١- ابن سلام المعافري (٥٥٠هـ/ ١١٥٥م).

- **شَلْطيش:**

١-ابن ولَّاد.

- **شنترين:**

ابن فرتون (٥٣٢هـ/ ١١٣٧م).

- **ميرتلة:**

١- أبو عمران الميرتلي (٦٠٤هـ/ ١٢٠٧م).

- **رُوقة:**

١- ابن صبرة.

• **الدخلاء على الأندلس:** ١- أبو إسحاق الكانمي (٦٠٨هـ/ ١٢١١م أو ٦٠٩هـ/ ١٢١٢م) (من قرية بالسودان بكانم تسمى بلمة، وكانم بلد مما يلي صعيد مصر). ٢- ابن حمادو (٦٢٧هـ/ ١٢٢٩م) من أهل قلعة حماد. • **شعراء لم تذكر نسبتهم لبلد معين:** ١- ابن صاحب الصلاة (٥٧٨هـ/ ١١٨٢م). ٢- أبو زيد النجاري (لم يكتب عنه المؤلف سوى اسمه). ٣- هند جارية أبي محمد الشاطبي.	• **أما ما ألحقه المحقق من شعراء فـــ:** ١- ابن سهل الإسرائيلي (قبل ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م)، لم يَذْكُر المحققُ من شعره شيئًا و(لم تذكر نسبته لمكان). ٢- الفُرَيَّاني (لم تذكر نسبته لمكان). ٣- ابن خيارة (٦٣٧هـ/ ١٢٣٩) (لم تذكر نسبته لمكان). ٤- عياش بن حوافر (من عرب ميورقة). ٥- عيسى الدجى (من شريش). ٦- مرج الكحل (٦٣٤هـ/ ١٢٣٦م) (لم تذكر نسبته لمكان). ٧- الطبيب الشريشي (من شريش).

الخاتمة

إنّ كتاب تحفة القادم من كتب التراجم المهمة التي رصدت حركة الشعر العربي الأندلسي في القرنين السادس والسابع الهجريين، لقد حاول ابن الأبّار فيه أن يسير على منهجٍ علميٍّ ثابتٍ أثناء ترجمته للشعراء، وكان ذلك السمة الغالبة على الكتاب؛ فنجده التزم الأسلوب السهل الواضح، بعيداً عن الزخرفة البديعية التي شغلت أهل عصره من الأدباء والعلماء، الذين أكثروا من الأسجاع التي تكون أحياناً متكلفة تنأى بالموضوع عن فهمه.

كما أن الشروط التي وضعها في اختياره الشعراء من حيث الزمان والمكان وعدم ذكرهم في التصانيف التي سبقته، تدل على رغبته في التفرد والتميز، وأن يجعل كتابه ذا قيمة لا يمكن للباحث أن يستغني عنه، وهذا ما جعل بعض كتب التراجم تنقل عنه وتستشهد به، لاشتماله على شعراء مغمورين.

يبدأ المنهج العام في ترجمته بكنية الشاعر أو لقبه أو اسمه كاملاً، وإلى أيِّ بلد ينتمي، ومنزلته العلمية وكتبه، وشيوخه وأخباره، ومَن شابه اسمه من الشعراء، ثم يرتبهم حسب زمن الوفاة، ولعل تجاوزه هذا المنهج العام أحياناً يعود لقلة المعلومات التي استقاها عن شيوخه، أو أنه نسيها، أو عدم ورودها في الكتب التي اعتمد عليها ككتاب (الأنوار الجلية)، أو تقصّده أحياناً أن يخالف في الترتيب كأن يقدم شاعراً كبيراً حظي بمكانة كبيرة أكثر ممن تأخر عنه. إضافة إلى الإيجاز المقتضب الذي ألجأه أحياناً إلى تركه بعض المعلومات، ولكنه ساعد في جعل الكتاب خفيفاً رشيقاً، لا يجد القارئ والباحث عناءً في القراءة أو البحث فيه.

لقد صرح كتاب تحفة القادم بذائقة أدبية نقدية للمؤلف نفسه، من حيث اختياره الشعر، وإبداء الآراء والأحكام النقدية عليه، كما يكشف عن الذوق العام لأهل زمانه

تجاه أشعار تلك الحقبة الزمنية، الذي يستعذب كل جميل رائع، ويستهجن كل مقيت لاذع، ولعل ذلك يوضح سبب ابتعاده كلَّ البعد عن غرض الهجاء، أو ربما يعود إلى عدم ميل قلبه نحو هذا الشعر. وما نقله من الهجاء في كتابه يعد في نظره مما لا يُسمج عند أهل الأدب، بل إننا وجدناه قد ترك الترجمة لشعراء لم يجد من شعرهم سوى الهجاء، وربما خالف كتاب (زاد المسافر) الذي اشتمل على الهزل والمجون والدعابة وألعاب عقلية، وهجاء تجاوز حدود الأخلاق كما أشير سابقـًا.

لقد كان المؤلف كثير التحري، موضوعيـًا في النقل، وذلك يظهر في ضبط أسماء الشعراء، وتأريخ وفاتهم، وتحريه أيضـًا نسبة القصائد لأصحابها، إلا ما فاته نسيـًا أو جهلاً.

إن الدراسة الإحصائية تبرز المنهجية التي سار عليها المؤلف في اختياره الشعراء وفق الأماكن وإن كان لم يرتبهم وفقها، وتبيّن مدى التزامه في المنهج؛ إذ اشترط على نفسه المكان أساسـًا في اختياراته. وتميط الدراسة اللثام عن عددٍ غير قليل من الشعراء المغمورين وتضعهم بين يدي القارئين والباحثين، لعلها تكون مفتاحـًا لهم في دراساتٍ لاحقة إن شاء الله تعالى. كما يظهر الإحصاء اختلافـًا في تصنيف أعداد الشعراء الذين ذكرهم المحقق -في المقدمة- وفق أماكنهم مع ما ورد في تصنيف هذا البحث، ويعود ذلك إلى أن المحقق جمع ما استدركه في ملحق الكتاب مع ما أورده المؤلف، أو السهو الذي يعرض للإنسان رغم عظم جهود المحقق رحمه الله تعالى.

اللغة العربية والمعجم الإلكتروني: الشكل النظري والبنية الدلالية

ليلى العبيدي(*)

الملخّص

لا يهتمّ هذا المقال بالقواعد البرمجية وقواعد البيانات الإملائية اللازمة لتحليل مفردات اللغة العربية وإدراجها ذلك في قاموسها الآلي، فهو يبحث في البنية الشكلية للمعجم العربي الإلكتروني، مقارنة بالمعجم الورقي، من حيث نظام مفرداته ومداخله ومدى محافظته على الترتيب التقليدي في التعريف المعجمي. وقد مكنتنا هذه المقارنة من ملاحظة أنّه جارٍ على خلاف المعاجم الورقيّة التي يقوم فيها ترتيب الوحدات المعجميّة وفق جذورها الأصليّة التي تتولد منها الفروع، فتكون القاعدة من الأصل إلى الفرع وإرجاع الفرع إلى الأصل، وتُرْجَعُ فيه المفردات الناقصة أو المتغيرة إلى جذرها الثلاثي الكامل وتأتي في بابه، كما نجد ذلك في لسان العرب ومعظم المعاجم الورقية.

تُختزل هذه القاعدة في المعجم الآلي في الترتيب الألفبائي، دون التمييز بين الجذر الأصلي والكلمة المستعملة، فتأتي المفردات مرتبة وفق حروفها الأبجدية، مع التمييز في المستويين الصرفي والتركيبي بين الاسم والفعل. ولقد كان المعجميون الرواد يدركون تماماً الخاصية الاشتقاقية للّغة العربية وفائدة المعنى الأصلي للجذر، فحرصوا على الالتزام بنظرية الجذر ودوره في الاشتقاق، ليعتمدوا على الجذر منطلقاً لتنظيم الوحدات المعجمية وتنظيم مداخلها.

(*) أستاذة مساعدة، قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة. تاريخ تسلّم البحث ١٠/ ٦/ ٢٠٢١م وتاريخ قبوله للنشر ١٠/ ١٠/ ٢٠٢١م.

وهكذا، انزاح المعجم الآلي العربي عن القاعدة الأساسية في اعتماد الجذر وإرجاع الفرع إلى الأصل، فابتعد عن الوضوح والتمييز الدلالي فوقع في اللبس والخلط بين معاني مفردات ذات حروف مشتركة ولكنها مختلفة الجذر، فلم يميز، على سبيل المثال لا الحصر، بين "آبَ" و"أبى" ويوردهما في مدخل واحد مع اختلاف جذريهما ومدخليهما ودلالتيهما، في حين يردان في لسان العرب في مدخلين مختلفين: "آب" في جذر (أ، و، ب) و"أبى" في جذر (أ، ب، ي) وهو تماماً ما وقع فيه المعجم الآلي في تعامله مع مفردتي "بتّ" و"بات" لإغفاله قاعدة الجذر، فوردت المفردتان في مدخل واحد لتشابه وجودهما الصوتي، ولكنْ في اختلافٍ كلي للمعنى والجذر، مع أن الفعل "بتّ" يعود إلى الجذر (ب، ت، ت) و"بات" يعود إلى (ب، ي، ت)، وباختلاف الجذر تختلف الدلالة وترتيب المدخل.

إنّ المعجم الإلكتروني العربي حديث النشأة وهو عملٌ محمود ولا غنى عنه في الثورة الإلكترونيّة التي تعرفها الإنسانيّة في عصرنا، ولكنّه وقعَ في خطأٍ منهجيٍّ حين أعرض عن الجذرِ روحِ اللغة العربيّة الاشتقاقيّة بطبعها. فلا بدّ من إعادة النظر فيه، وذلك بالاهتداء بالمنهج الذي اعتمده المعجميون العرب القدامى، أي العودة إلى الأصول والجذور، رغم ما يطرحه ذلك من إشكالات منهجيّة عويصة ينبغي البحث عن حلول لها.

الكلمات المفاتيح: اللغة العربيّة، الشكل، البنية، الدلالة، المعجم الورقي، المعجم الإلكتروني، القاموس، البرمجة، البيانات، الوحدة المعجميّة، الجذر، الفرع، الاشتقاق، الاستعمال.

The Arabic Language and the Electronic Dictionary: Theoretical Form and Semantic Structure

By Leila Labidi(*)

Abstract

This article studies the difference between the way words are listed in traditional dictionaries whether handwritten or printed by modern publishers on one hand, and the way they are listed in electronic dictionaries on the other. The traditional dictionaries follow the alphabetical order of the usually triliteral roots of words and then give the various forms derived from the root according to predictable morphological changes that modify the meaning of the word. Electronic dictionaries, on the other hand, follow the alphabetical order of words regardless of their semantic content. Since electronic dictionaries function mainly in terms of alphabetical order, the semantic variations caused by morphological modifications are disregarded, which lessens the value of the electronic order. Nevertheless, the electronic dictionary is a useful addition as a research tool, which may be modified in the future to remedy any shortcomings.

Key terms: Arabic language, Form, Structure, Semantics, Electronic dictionary, Programming, Lexical unit, Root, Derivation, Usage.

(*) Assistant Professor, Department Arabic Language, School of Arts, Humanities and Social Sciences, University Of Sharjah, United Arab Emirates.

تُعدّ اللغة العربية -لكونها من اللغات الطبيعية- لغةً متطورة بطبعها وقابلة للتغيير[١]. وهي تتميز بنظامها المعجمي الفريد من نوعه، فهي لغة الجذر والاشتقاق، تتميّز به عن غيرها من اللغات، خاصة الهندو- أوروبيّة، حتّى إن كان للاشتقاق في بعضها أهمّية بالغة كما هو حال اللغات السلافيّة المتفرّعة عنها على سبيل المثال لا الحصر[٢]. فالعربية لغة توليدية تعتمد في نظامها الاشتقاقي على التوليد المعجمي الذي ينطلق من الجذر، وهي بذلك تحتكم لنظامٍ منهجي علمي يتماشى مع آليات المعجم الحديث ويستجيب لمناهج البحث اللساني المتطور. ولا غرابة في ذلك، فقد أشار "فردينان دو سوسير" مؤسّس اللسانيات الحديثة منذ وقتٍ مبكّر إلى أهميّة الاشتقاق من الناحية الوظيفيّة في كلّ نظامٍ لغوي[٣]، وهو ما يجعل من اللغة العربيّة اليوم مؤهّلة نظريًّا -وربّما أكثر من غيرها- إلى أن تُنتظم في معجمٍ إلكتروني دون التغافل عن أنّها -من الناحية العملية ومن وجهة نظر اللسانيات التطبيقية- تواجه اليومَ تحدياتٍ في عصر الحوسبة والمعلوماتية، تتمثل في قدرة المشتغلين على تأهيلها لمواكبة الثورة الإلكترونية حتّى تقوم بوظيفتها التعليمية والتنموية في ضوء ما نعيشه من تحولٍ وتطورٍ تكنولوجي.

---

(١) عن اللغة العربيّة باعتبارها لغة طبيعيّة انظر كتاب:

Habash. N, *Introduction to Arabic Natural Language Processing*, Morgan and Claypool Publishers, San Rafael- California, 2010.

(2) Kristine Heltberg, "**Dérivation et commutation**", in *Langages,* Année 1967, 6, pp. 80-89. Fait partie d'un numéro thématique: La glossématique. L'héritage de Hjelmslev au Danemark.

(3) Ferdinand De Saussure, *Cours de Linguistique Générale*, Paris, Puf, 1964, pp. 170-175.

لقد مرّ المعجم في البحث اللساني العربي في بعديه النظري والتطبيقي بمراحل متطورة في الدراسة والتنظير، وقطع الباحثون أشواطاً مهمةً في الإحاطة ببنية المعجم ونظامه شكلاً ومضموناً ومدى تطوره إزاء تطور النظريات اللسانية، خاصة أن اللغة العربية تتطور بطبعها وتتغير في معجمها ودلالاتها. ولا شك أن البحث اللساني العربي في بعديه النظري والتطبيقي حقق تراكماً ونتائجَ تنسجم مع ما وصلت إليه البحوث اللسانية الغربية في مجال المعجمية والدلالة والتركيب، لكنْ في ضوء تطور التواصل اللغوي وتطور العلاقة بين اللغة ومستعمليها –وهي علاقة أساسية معرفيّة أولاً ثم لسانية وتصورية ثانياً وحاسوبية إلكترونية ثالثاً– اندرجت اللغة العربية بوزنها وجذرها واشتقاقها في نظام المعلوماتية، وانتقلنا من فضاءٍ لغويٍّ محسوسٍ نتصفح فيه المعاجم الورقية إلى فضاءٍ افتراضيٍّ تختزل فيه الوحدات المعجمية في معجم آلي لنتحدث عن لسانيات حاسوبية ومدى حاجة اللغة العربية إلى الهندسة الصورية والمعالجة الآلية لمواكبة تحولات التواصل العالمي.

لقد شعر اللسانيون والمعجميون العرب منذ عقدين من الزمن بضرورة الاستفادة من التجارب الغربية في بلورة معجمٍ إلكتروني للغة العربيّة نظريّاً وتطبيقيّاً. وعلى سبيل المثال لا الحصر، انعقد في تونس في سبتمبر ١٩٩٧م يومان دراسيان بعنوان "بلورة معجم إلكتروني للمعالجة الآلية" للاستفادة من التجربة

الفرنسيّة في هذا المجال، وقد جرى التّطرّق إلى القضايا اللغويّة والتقنيّة التي يطرحها المعجم الإلكتروني سواء على المعجميين أو المهندسين المبرمجين(٤).

إنّ التغيّر الحاصل في اللغة يبدأ من المصطلح والمفهوم من خلال ظهور مصطلحات جديدة مثل الحوسبة والمعالجة الآلية للّغة والمعلوماتية والمعجم الإلكتروني والهندسة اللغوية(٥)، وهي مفاهيم أضحت علوماً لها نظريات وقواعد

(٤) انعقد هذان اليومان الدراسيان بين ٢٨ و٢٩ سبتمبر ١٩٩٧م في معهد التربية والتكوين المستمرّ بتونس التابع لجامعة تونس الأولى بالتعاون مع الجمعيّة التونسيّة للّسانيات ومخبر اللسانيات الحاسوبيّة والمعلوماتيّة في جامعة باريس الثامنة، وكان الموضوع الأساس المطروق في هذين اليومين الدراسيين في شكلِ سؤال: كيف نبلور معجماً إلكترونيّاً؟ شارك في هذين اليومين ثلّة من الباحثين في اللسانيات من المعجميين والنحاة والمختصين في الدلالة، فضلاً عن باحثين في الحاسوبيّة والمعلوماتية من التونسيين والفرنسيين. انظر مقال نادية خوجة الخيل (بالفرنسيّة):

Khojet El Khil. Nadia, "**Compte-rendu du séminaire de formation: Élaboration d'un dictionnaire électronique pour le traitement automatique**", in *L'information grammaticale*, Année 1998, 2, pp. 58-59.

(٥) نذكر مثلاً تجربة فريقِ بحثٍ من جامعة الشلف بالجزائر اشتغل منذ سنوات عديدة على حوسبة اللغة العربية، وذلك بوضع أرضية (platform) لتحليل النصوص العربية في إطار النظرية اللسانية التراكبية ذات التحليل الموجه بالرأس (HPSG: Head Driven Phrase structure Grammar). تعتمد هذه النظرية على مبدأ توحيد التمثيل للمادة اللغوية بجميع أقسامها (المدخلات المعجمية والقواعد النحوية... إلخ)، فكلها ممثلة على شكل مصفوفة تسمى صفات البنية (features structure) كما تعتمد النظرية على مبدأ دمج كل عناصر التمثيل اللغوي (المعجمي والصرفي والنحوي وحتى الدلالي) للمدخلات المعجمية (lexical entries) في صفات البنية.

انظر: مراد لوكام، **"مشروع المعجم الحاسوبي التفاعلي للغة العربيّة: مقترحات حول إعداد المشروع"**، في كتاب الاجتماع الثاني لخبراء المعجم الحاسوبي للغة العربيّة، المنظمة العربيّة للتربية والثقافة والعلوم (إدارة العلوم والبحث العلمي)، تونس، ومدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية، الرياض، أبريل ٢٠٠٨م، ص ص٣-٤.

وتطبيقات أساسية في كل المجالات اللغوية وغير اللغوية، وهو ما يؤكد العلاقة الوطيدة بين اللغة والعلوم الأخرى ومدى استفادة اللسانيات من ذلك في توظيفها لمناهج البحث الحديثة.

يتطلب بحثنا إذن، الوقوف عند ثلاثة مفاهيم أساسية تمثل محاور الاهتمام والدراسة في هذا الموضوع، وهي المعجم العربي الإلكتروني وشكله النظري وبنيته الدلالية. فنهتمّ بالمعجم العربي بوصفه الجديد "الإلكتروني" من خلال رصد بنيته الشكلية والدلالية؛ أي من حيث نظام الوحدات المعجمية وانتظامها الدلالي داخل المعجم الآلي.

١ - اللغة العربية والمعجم الإلكتروني:

يمثل المعجم علمًا قائمًا بذاته له أسسه ونظرياته، ومنه نظريّة القاموس أو القاموسيّة المنتمية إلى نظريّة المفردات أو المعجميّة (lexicologie)[٦]. ويدرس علم المعجم الوحدةَ المعجميّة تأليفَها الصوتيَّ وبنيتَها الصرفيّةَ ودلالتَها المعجميّة وانتماءَها المقوليَّ المعجميّ. فتدرس ضمن ذلك الصوتميّة المعجميّة (phonologielexicale) والصرف المعجميّ (morphologie lexicale) والدلالة المعجميّة (sémantique lexicale). وينقسم المعجم حسب ثنائيّة النظريّة والتطبيق إلى المعجميّة النظريّة والمعجميّة التطبيقيّة.

(6) J. Rey-Debove, Josette, *Etude linguistique et sémiotique des dictionnaires français*, Mouton, Paris 1971, p. 192.

ويمثل القاموس الجانب التطبيقي للمعجم (lexicographie) ويقوم على مرحلتين هما الجمع والوضع، يُعتنى في مرحلة الجمع بمصادر المادّة القاموسيّة ومستوياتها اللغويّة، وفي مرحلة الوضع بالمعالجة القاموسيّة للمداخل ترتيباً وتعريفاً. فالقاموس امتداد للمعجم وجزء منه، ولذلك فإنّ بناء القواميس قائم بالدرجة الأولى على نتائج البحث المعجميّ؛ وهذا ما جعل صناعة القاموس، وخاصّةً في العصر الحديث علماً قائماً بذاته ذا شروط منهجيّة ابتداءً بجمع المدوّنة، وصولاً إلى الترتيب والتعريف. وفي حديثنا عن المعجم التطبيقي بمعنى القاموس يتداخل المصطلحان تداخلاً مقصوداً لم نلتزم فيه بالتفريق اللسانيّ بين مفهومي "المعجم" و"القاموس"، ليس لأن معظم الباحثين في هذا المجال لا يميزون بين المفهومين عن قصد أو غير قصد، بل لأن مصطلح المعجم بمفهومه التطبيقي أشمل من القاموس الذي هو امتداد للمعجم وتطبيق منهجيّ لنظريّة المعجم بصفتها نظريّة المفردات.

فالمعجم يضمّ المفردات وشرحها وبنيتها ونظامها، فهو بمفهومه التطبيقي يوحي ببنيته النظرية والتطبيقية في الوقت ذاته. المعجم في هذا الإطار هو رصيد المفردات والوحدات المعجميّة التي تستعملها الجماعة اللغويّة، يكون مرتّباً ترتيباً معيّناً، ومعرّفاً تعريفاً مخصوصاً. وباعتباره علماً شهد المعجم تطوراً كبيراً مواكباً لتطور اللسانيات والبحوث العلمية، وبما أنه يمثل الفضاء اللغوي الذي يحيط بنا فقد غزته الآلة كما غزتنا واقتحمته التكنولوجيا والحوسبة كما اقتحمتنا، وانتقل المعجم من الكتابة الورقية إلى الكتابة الافتراضية الإلكترونية، من مجلدات ضخمة تصفرّ أوراقها إلى شاشة الحاسوب اللمّاعة.

وبعد أن قضى أشواطاً في البحث والدراسة من أجل شروط الجمع والتأليف والتدوينِ، تدوينِ آلاف الكلمات في مئات الورقات، ينتقل المعجم إلى دراسةٍ

جديدة تعتمد مناهج بحث جديدة أساسها الحوسبة والمعلوماتية والهندسة والذكاء الاصطناعي. هذه مفاهيم جديدة وجد المعجم نفسه في خضمها، ووجدت اللغة العربية نفسها تواجه أكبر تحدياتها[٧] أمام الصراع بين دخيل وأصيل، بين نظام آلي جديد وتاريخ تدوين طويل تقليدي تشهد عليه الدواة والورق[٨]. والسؤال الذي يطرح هنا: هل للُغة الضاد والعين بوزنها وجذورها أن تندمج في نظامٍ هندسيٍّ آلي له مناهج حديثة ليست عربية؟ وإلى أيٍّ مدًى يمكن أن نتحدث عن معجم عربي إلكتروني؟

إنّ الحديث عن المعجم الإلكتروني يقتضي بالضرورة الحديث عن الأسس النظرية والمنهجية لنظرية المعجم باعتبارها المرجعية النظرية والمعرفية الموجهة لهذا المشروع، إذ لا يمكن أن نتصور قيام معجم آلي دون الاستناد إلى إطار لساني، وتعاون بين اللسانيات والهندسة والمعلوماتية. فالعلاقة القائمة بين اللسانيات والمعلوماتية أنتجت ما يسمى باللسانيات الحاسوبية (Linguistique Informatique)

(٧) أحد هذه التحدّيات التقنية يتمثّل في اختيار لغة البرمجة المستعملة في المعجم. ففي مشروع المعجم الحاسوبي التفاعلي للغة العربية في الاجتماع الثاني لخبراء المعجم الحاسوبي للغة العربيّة، الذي رعته المنظمة العربيّة للثقافة والعلوم، اقترح مراد لوكام أنْ تكون لغة البرمجة الأساسية المستعملة لإنجاز المشروع هي لغة جافا (java) وذلك لمزاياها المتعددة، منها أنّها تسمح بجعل البرنامج مفتوح المصدر (open source) كما تسمح باستعمال المعجم على نظم تشغيل مختلفة مثل (windows) و(linux). كما اقترح أن تستعمل لغة (Php) أيضاً لإنجاز بعض أجزاء المعجم، وذلك لنفس الأسباب، إضافةً إلى أنها أكثر أهلية من (java) فيما يتعلق بإنجاز البرامج على الشابكة (internet programming). انظر: مراد لوكام، مشروع المعجم الحاسوبي التفاعلي للغة العربيّة: مقترحات حول إعداد المشروع، ص٨.

(8) Sourdel Janine et Dominique, "**Ecriture islamique**", in *Dictionnaire historique de l'Islam*, Paris, PUF, «Quadrige», 2004.

وهي علم من علوم اللسانيات الحديثة التي تتعامل مع اللغة بوصفها نظاماً لغوياً له مداخل خاصة به معقدة التركيب وفق برمجة يحددها الحاسوب وآلياته. والعربية أعقد اللغات السامية صرفاً وتركيباً ومعجماً وصوتاً؛ فهي تتطلب برنامجاً (logiciel) خاصاً يخضع له بناؤها المعقد لكونها تختلف عن الفرنسية والإنجليزية في نظامها النحوي والتركيبي والصرفي.

إنّ العلاقة بين اللغة والحاسوب علاقة معرفيّة[٩] بالأساس، يشتغل بها الذهن البشري باعتباره وسيطاً بين الإدراك والعالم الخارجي، أي بما يحيط بالإنسان من تصورات إنطولوجية ومادية تمكنه من الفهم والقدرة على المقْولة[١٠] (catégorisation) –والمقْولة هي تنظيم الذهن للأشياء– ليدرك ما يحيط به من عوالم ممكنة حسب نظرية جاكندوف (Rey Jackendoff)[١١]، إذا اعتبرنا طبعاً حسب النظرية المعرفيّة القائمة على الإسقاط[١٢]، إسقاط ما يوجد في العالم الخارجي في الذهن، أنّ كل ما نعلمه من أشياء لغوية وغير لغوية في وجودنا الواقعي يكون مسقطاً مسبقاً في أذهاننا، وهو ما يفرض وجود دور كبير للغة في هذه المجالات كلها لتتمّ عملية محاكاة بين الدماغ والحاسوب بطريقة آلية قريبة من ذهن المتكلم. وعندما نتحدث عن معالجة اللغة في هذا السياق نتحدث عن الهندسة اللسانية التي شهدت تقدماً وتطوراً كبيراً في السنوات الأخيرة على مستوى النظرية والمنهج.

---

(٩) نستعمل مصطلح المعرفة في هذا المقال بالمعنى اللساني المتداول الذي يُعبّر عنه في اللغتين الفرنسيّة والإنجليزية بـ(cognition).

(10) Georges Kleiber, La sémantique du prototype, PUF, 1991, p. 12.

(11) Jackendoff Rey, Semantics and cognition, MIT Press, 1988, p. 42.

(١٢) المرجع السابق، ص٤٠.

وهذه العلاقة بين اللغة والحاسوب مهمة بالنسبة إلى اللغة العربية التي تنفرد بخصوصيات لسانية صورية جعلت منها، من وجهة نظر الهندسة اللغوية العربية، لغةً قابلة للاستجابة بكل يسر للإجراءات الهندسية اللسانية في أغلب المستويات المرتبطة بالجانب الصوري، وخاصة على مستوى الصرف والتركيب، حتّى وإن أشار بعض الباحثين إلى أنّها لغة تمتلك نظاماً أكثر تعقيداً من اللغات الأوروبية التي وقع إخضاعها للقولبة الإلكترونية من حيث مورفولوجيتها التي تدفع إلى الانتباه بكلّ جزء من الصواتم التي تتشكّل منها كلّ كلمة فيها، سواء تعلّق الأمر بالسوابق أو اللواحق أو غيرها من مكوّنات الكلمة أو ببناها المعجمية(١٣).

تطلّب بناء المعجم العربي الإلكتروني هندسة اللغة العربية التي تفترض نوعين من المعرفة: المعرفة اللسانية العميقة وصفاً وتصنيفاً بمختلف جزئيات النظام اللغوي على ضوء النظريات اللسانية الحديثة المعاصرة، وخاصة اللسانيات الصورية، والإلمام بالمعرفة الحاسوبية ذات الصلة بمعالجة اللغات الطبيعية، وخاصة في جانبها البرمجي، وهذا يعني اعتماد التفكير المنطقي الذي تقوم عليه الآلة. فالحاسوب باعتباره منظومة برمجية منطقية قوامها الخوارزميات الصارمة التي لا تشتغل بالظن أو بالنسبية، يتطلب قواعد صورية، وهو ما توفره نظريات اللسانيات الصورية والنحو الصوري، إذ تعتمد اللغة في نظامها التركيبي والدلالي على مفهومي التجربة والقياس، فلا يدخل في اللغة شيء ما لم يجرب في اللفظ، فجميع الظواهر التطورية إنما أصلها نطاق الفرد وفق ما يقول دي سوسير(١٤).

(13) Majdi Shaker Salem Sawalha, *Open-Source Resources and Standars for Arabic word structure Analysis: Fine Grained Morphological Analysis of Arabic Text Corpora* (submitted in accordance with the requirements for the degree of Doctor of Philosophy), University of Leeds, School of Computing, October, 2011 , p. 5, pp. 68-69.

(14) F. De Saussure, *Cours de linguistique générale*, Ed. Payot et Rivages, Paris, 1995, p. 18.

واللغة العربية لها تقاليد يونانية قائمة على المنطق والقياس في نظامها النحوي، ورثه النحاة العرب القدامى من البصريين[١٥] دون أن يعني ذلك بالطبع أنّ علم اللغة العربي مدين إدانة تامة في نشأته للمنطق اليوناني كما ذهب ظنّ بعض الباحثين اللغويين المستعربين في الغرب. يدحض فرستيغ (Versteegh) وهو مستعرب مختصّ في اللغة العربيّة في كتابه "مبادئ يونانيّة في الفكر اللساني العربي" (Greek Elements in Arabic Lunguistic Thinking)[١٦] النظريّة التقليديّة المتداولة في الغرب والقائلة بأنّ الفضل يعود في نشأة النحو العربي إلى المنطق الأرسطي اليوناني الذي تُرجِم إلى العربيّة مع انطلاق حركة الترجمة منذ بدايات القرن الثالث للهجرة، ويؤكّد عكس ذلك أنّ للنحو العربي تقاليد راسخة تشكلت قبل ترجمة المنطق الأرسطي، واستيعاب النحاة العرب له دون أن ينفي التأثير اليوناني الذي تمّ في فترة متأخّرة نسبيًّا، ليس نتيجة ترجمة الآثار المنطقيّة اليونانيّة وشروحها إلى العربيّة فقط، بل نتيجة الاحتكاك المباشر بين النحاة الإغريق والنحاة العرب[١٧]، ولا غرابة في ذلك، فاللغات والثقافات تتبادل التأثير والتأثر،

(15) Abdelali Elamrani-Jamal, "**Logique aristotélicienne et grammaire arabe dans la tradition islamique**", in *Annuaires de l'École pratique des hautes études*, Année 1980, 89, pp. 631-633.

(١٦) عن الكتاب الذي ألّفه صاحبه باللغة الإنجليزية انظر التقديم (بالفرنسيّة) الذي قامت به تریاز آن ديارت (Druart Thérèse-Anne) ونوّهت فيه بقيمته العلميّة:

Druart Thérèse-Anne. C.H.M. Versteegh, "**Greek Elements in Arabic Linguistic Thinking**". In*: Revue Philosophique de Louvain*. Quatrième série, tome 78, n°38, 1980, p. 298.

(17) C.H.M Versteegh, *Greek Elements in Arabic Lunguistic thinking* (Studies in semetic languages and Linguisticss), Leyde, Brill, 1977.

واللغة اليونانية ذاتها قد تأثرت منذ العصور القديمة بالعربيّة وبغيرها من اللغات الساميّة في معجمها ونحوها، كما أبان ذلك أحد أهمّ المختصّين بها في العصر الحديث ميشال مصون (Michel Masson) في كتابه "ما هو من اللغات الساميّة في اللغة اليونانيّة" (بالفرنسيّة)(١٨).

وفي الحقيقة، فإنّ اللغة العربيّة ما كان لها أن تستجيب في مقاربتها وضبط قواعدها الصرفيّة والنحويّة وتنظيم معجمها من قِبل النحاة والمعجميين العرب القدامى –وهو ما يهمّنا هنا مباشرة– إلى المنطق اليوناني ما لم تكن تملك في ذاتها بصفة قبليّة (a priori) ودون أيّ تأثير خارجي يوناني أو غيره منطقاً رياضياً خاصاً بها يعود إلى أصولها الساميّة، أي لتميزها بالجذر والوزن الذي يقوم على القياس في عملية التصريف(١٩).

إذن، لا بدّ من التمكن من الجانب المعرفي اللساني، أي معرفة نظام اللغة العربية ومستويات تحليلها، إضافة إلى الإلمام بنظام الهندسة اللغوية وبرنامجها الحاسوبي والمعلوماتي حتى يتمّ تطوير البرامج العربية ويسهل التعامل مع المعجم العربي الإلكتروني ويتحقق الحوار بين اللغة العربية والآلة غير العربية. ولا يكون ذلك إلا من خلال الربط بين مجال الهندسة واللغة، وكلاهما مجال معقد، حيث تقوم الهندسة بالتحكم في النظم بواسطة الحاسوب الذي يحاكي الذهن البشري حتى يتحقق التواصل مع اللغة وبها، وهي نظام معقد متشعب المسالك كتابةً وصوتاً، وصرفاً وتركيباً ومعجماً ودلالةً وتداولاً. وقد حققت لغات غربية كثيرة

(18) Michel Masson, *Du Sémitique en grec*, Paris, Alfabarre, 2013.

وعن أهميّة هذا الكتاب في كشفه الآثارَ الساميّة بما في ذلك العربيّة في اللغة اليونانيّة معجماً وتركيباً انظر تقديم:

Blanc Alain, "**Masson (Michel), Du Sémitique en grec, 2013**", in *Revue des Études Grecques*, tome 128, fascicule 2, *Année* 2015, pp. 698-702.

(١٩) المرجع السابق، ص٦٩٩.

تطوراً كبيراً في تعاملها مع برامج حاسوبية لسانية مثل الترجمة الآلية والتوليف الصوتي والتعرف البصري على الحروف والمدقق النحوي والإملائي...إلخ. في حين لا يزال التطبيق على اللغة العربية في بداية الطريق، على الرغم من أن هذه اللغة لا تختلف عن أي لغة في العالم فيما يتعلق ببرنامج الكفاية اللسانية، بل بالعكس فهي تتميز بخصائص رياضية لا نجد لها نظيراً في لغات أخرى، فهي تقوم على مكونين رياضيين هما الجذر والوزن، حيث يتولى الجذر وضع البنية الأساسية للكلمة، ويتولى الوزن وضع هيكلها العام، فيقوم الوزن بتوزيع الحركات على مختلف حروف الجذر كما يقوم بتوزيع المورفيمات التي تضاف إلى مكونات الجذر بغرض توليد الكلمات (سوابق ولواحق وأواسط).

وقد بني المعجم الإلكتروني لتراكيب اللغة العربية على هذا الأساس، ونظراً للطبيعة الجبرية لنظام اللغة العربية، المتمثلة في منظومة الخوارزميات اللسانية التي تجمع بين مختلف مكونات النظام، فإن الربط بين هذه المستويات أمر بالغ التعقيد لا يمكن أن تقوم به الآلة إلا إذا جرى تزويدها بالقواعد اللسانية الصورية، أي بالخوارزميات اللغوية، بنوعيها التوليد والتحليل.

إذن، يتلخص المعجم الإلكتروني على المستوى النظري، في ثلاث قضايا أساسية: حوسبة المعطيات اللسانية، وترجمة المعلومة التي يتضمنها القاموس إلى لغة المعلومات واتخاذها شكل قاعدة البيانات المحوسبة (Informatisées)، واعتماد الحوسبة والمعلوماتية في العمل المعجمي. نصل إذن، إلى السؤال المطروح، وهو محور اهتمامنا في هذا البحث: ما خصائص بنية المعجم الإلكتروني في نسخته العربية؟ وإلى أيّ مدًى حافظ على شكله النظري وبنيته الدلالية؟

٢- الشكل النظري للمعجم العربي الإلكتروني:

يقوم المعجم الآلي للغة العربية على وصف المفردات اللغوية في مستوى تصريفها (conjugaison) واشتقاقها (dérivation) مع ربط هذا الوصف بالمستوى النحوي، أي بالمعجم التركيبي للغة العربية[٢٠]. فالوحدة المعجمية توصف بكونها مقولة صرفية واشتقاقية وتركيبية ودلالية، فيتمّ ذلك ببناء قاعدة بيانات لمفردات اللغة العربية تتأسّس على إطار نظري ومنهجي صوري مبني على رزنامة من الخوارزميات التي تولد الفرع من الأصل والأصل من الفرع[٢١].

وإذا اعتبرنا أن الوحدات اللغوية صنفان، وحدات أصول تتعلق بالجذور الثابتة التي لا تتغير، وأخرى فروع ترتبط بالاشتقاق والتصريف وهي متغيرة ويستعملها المتكلم وفق قواعد اشتقاقية انطلاقاً من المفردات الأصول، فإن الترتيب المنهجي يفترض البدء بالأصول التي توصلنا إلى الفروع وإرجاع الفرع إلى الأصل كما جرت القاعدة في تعريف المفردات في القواميس العربية التقليدية، وهو نظام يراعي خصوصية بنية اللغة العربية الاشتقاقية والتوليدية. لقد أشار مجدي شاكر أنّ المعاجم العربيّة التقليدية غير المتوفّرة في الفضاء الإلكتروني والتي لا تمتلك قاعدة بيانات (databases) قد توخّت مناهجَ وطرقاً مختلفة في ترتيب الكلمات هي أثرى بكثير ممّا هو عليه الأمر في المعاجم الإنجليزية الحديثة ولكنْ على خلاف هذه المعاجم الإنجليزية التي اعتمدت على الألفبائية في ترتيب

---

(٢٠) محمد الحناش، **المعاجم الإلكترونية للغة العربية**، مؤسّسة العرفان للاستشارات التربوية والتطوير المهني (انظر الموقع الإلكتروني للعرفان). وانظر كذلك: محمد الحناش، **خوارزميات الاشتقاق التركيبي للغة العربية**، منشورات التواصل اللساني، المغرب، ١٩٩٦م.

(٢١) المرجع السابق، ص٤.

الكلمات قبل عرض دلالاتها، فإنّ المعاجم العربيّة الورقيّة التقليدية قد اعتمدت أساسًا على الجذر مدخلاً لعرض الكلمة وشرحها ثمّ تتبع الجذور التي اشتُقّت منها الكلمات بتعريفات تحتلّ صفحات بأكملها مع تتبّع كلّ المشتقّات أو معظمها بالتعريف والشرح والإيضاح دلاليًّا(٢٢).

إذن، يمكّن النظام الصوري للغة العربيّة مِن وضع برامج تطبيقية اعتماداً على قواعد منهجية واضحة قادرة على احتواء كل ما يكوّن نظام هذه اللغة حتى يسهل التعرف على التحليل اللغوي بتطبيق هذه القواعد(٢٣). لن نهتمّ في هذا المقال بالقواعد البرمجية وقواعد البيانات اللازمة الإملائية لتحليل اللغة العربية ولإدراج ذلك في قاموسها الآلي، بل نبحث في البنية الشكلية للمعجم العربي الإلكتروني مقارنة بالمعجم الورقي من حيث نظام مفرداته ومداخله وإلى أيّ مدًى حافظ على الترتيب التقليدي في التعريف المعجمي، خاصة وأن رواد المعاجم العربية قد جمعوا مدونتهم اللغوية من المنطوق والمكتوب معًا. ولهذا كانت معاجمهم وصفية؛ بمعنى أنّ المداخل وصفت بأمانة اللغة العربية كما كانت مستعملة فعلاً في

(22) Majdi Shaker Salem Sawalha, *Open-Source Resources and Standars for Arabic word structure Analysis :Fine Grained Morphological Analysis of Arabic Text Corpora* (submitted in accordance with the requirements for the degree of Doctor of Philosophy), p. 69.

عَرَض مجدي شاكر صوالحة لأهمّ المعاجم العربية وطرائقها في ترتيب الكلمات وأَخَذ أمثلةً على ذلك كتاب العين للفراهيدي والمصنّف في الغريب من اللغة لأبي عبيد القاسم بن سلّام وكتاب الصحاح في اللغة للجوهري، وبالطبع لسان العرب لابن منظور الذي يهمّنا مباشرة في هذا المقال.

انظر المرجع نفسه: فصل (Traditional Arabic Lexicons and Lexicography)، ص ص٧٠-٧٥.

(23) Emmon Bach, Introduction aux grammaires transformationnelles, traduction de Robert Sctrick, Armand Colin, Paris, 1973, p. 46.

القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والشعر وكلام العرب الأصيل في البادية، فكان ذلك خير دليل على صدق المعنى؛ لذا اعتمدت شواهد على صحة الشرح والتعريف فطالت الشروح والأوصاف، وهو ما يميز أمهات المعاجم مثل لسان العرب لابن منظور الذي سنعتمد عليه في ذكر أمثلة تطبيقية بين النسختين الأصلية الورقية والفرعية الآلية. ولا ننسى في حديثنا عن الشكل النظري للمعجم الآلي من خلال ترتيب مفرداته ما يميز اللغة العربية الإعرابية من اختلاف في حركات حروفها، فاختلاف الحركة قد يغير معنى الكلمة كليًا كما في الأمثلة التالية من لسان العرب[٢٤]:

- بَسَطَ، بَسُطَ، بُسُطٌ
- بَشَرَ، بِشْرٌ، بَشَرٌ
- بَصُرَ، بَصَرَ، بَصَرٌ
- بَكِرَ، بَكَرَ، بِكْرٌ، بَكْرٌ
- بَلَدَ، بَلِدَ، بَلُدَ، بَلَدٌ
- جَذِلَ، جَذَلَ، جِذْلٌ
- حَوَرٌ، حُورٌ، حَوْرٌ
- حَجَّةٌ، حِجَّةٌ، حُجَّةٌ
- جَنَّ، جُنَّ، جِنٌّ
- جَمَل، جَمُلَ، جَمَلٌ، جُمْلٌ وجُمَلٌ.

تجتمع هذه المفردات المختلفة في المعنى وفي الحركة في جذور مشتركة، فيكون الانطلاق دائمًا من الجذر الأصل ثم ما يتولد عنه من وحدات مشتقة وفق

(٢٤) أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي بن منظور (ت٧١١هـ/ ١٣١١م)، **لسان العرب**، ١٥ مجلداً، دار صادر، بيروت، د.ت.

مستويات صرفية ومعجمية. ويؤخذ بعين الاعتبار إلى جانب الحركات في المداخل المستويات النحوية المختلفة، مثل تصريف الفعل واشتقاق اسم الفاعل والاسم منه والجمع وجمع الجموع، إلى غير ذلك من المعلومات الصرفية. وقبل النظر في نوع الوحدة المعجمية كما يفترض في كل معجم يرمي إلى وصف الوحدات المعجمية تركيبياً ودلالياً وصرفياً وصوتياً[٢٥]، نتوقف عند أول تنظيم شكلي لمفردات المعجم المرتبة ترتيباً ألفبائياً وهو تنظيم المداخل الذي يتضمن ثلاثة أنواع من الترتيب: ترتيب المداخل في المعجم، وترتيب مفردات المقولة (catégorie) في المدخل الواحد، وترتيب المعاني المختلفة لكل مفردة من مفردات الأسرة اللفظية الواحدة، عندما تكون تلك المفردة مشتركاً لفظياً، وهو يتعلق بالبنية الدلالية لمفردات المعجم. وهذا الترتيب ضروري لتسهيل الوصول إلى المعلومات النحوية والدلالية للوحدات المعجمية. لذا نهتم في الشكل النظري للمعجم الآلي بترتيب المداخل وترتيب مفردات المقولة في المدخل الواحد.

أ- ترتيب المداخل في المعجم الآلي:

يقوم ترتيب الوحدات المعجمية عادةً في المعجم وفق جذورها الأصلية التي تتولد منها الفروع فتكون القاعدة من الأصل إلى الفرع، مع إرجاع الفرع إلى الأصل، وترجع المفردات الناقصة أو المتغيرة إلى جذرها الثلاثي الكامل وتأتي في بابه كما نجد ذلك في لسان العرب ومعظم المعاجم الورقية، بينما في المعجم الآلي تختزل هذه القاعدة في الترتيب الألفبائي دون التمييز بين الجذر الأصلي والكلمة المستعملة فتأتي المفردات مرتبةً وفق حروفها الأبجدية مع التمييز في المستويين

(25) Jean Dubois, *Dictionnaire de linguistique*, Larousse-Bordas/VUEF 2002, p. 283.

الصرفي والتركيبي بين الاسم والفعل، ونسوق على سبيل المثال المدخل التالي كما ورد في المعجم العربي الآلي معجم المعاني الجامع:

- معنى "آب" في معجم المعاني الجامع:

١. آب: (اسم)

الشَّهْرُ الثَّامِنُ مِنَ السَّنَةِ الشَّمْسِيَّةِ، وَهُوَ مِنَ الشُّهُورِ السُّرْيَانِيَّةِ، عَدَدُ أَيَّامِهِ ٣١ يَوْمًا، يَأْتِي بَعْدَ تَمُّوزَ، وَيَلِيهِ أيْلُولُ، وَيُسَمَّى أيْضًا أَغُسْطُسَ، غُشْت، أُوت.

آب: الأَقْنُومُ الأَوَّلُ عِنْدَ الْمَسِيحِيِّينَ.

٢. آبٍ: (اسم)

الجمع: آبُون وأُباة.

اسم فاعل من أَبَى/ أَبَى على/ أَبَى عن/ أَبَى من: معتزّ بنفسه.

٣. آبٍ: (اسم)

آبٍ: فاعل من أَبا.

٤. آبٍ: (اسم)

آبٍ: فاعل من أَبَى.

٥. آبَ: (فعل)

آبَ أَوْبًا، وأَوْبَةً، وإيابًا ومآبًا فهو آئب، وآيب، وأَوَّاب. آبَ إليه: رَجَعَ وعاد، آبَ إلى الله: رَجَع عن ذنبه وتاب، آبَت الشمسُ: غابت، آبَ بيده إلى السيف ونحوه: رَدَّها إليه ليضرب به. آبَ الماءَ: ورده ليلاً، وفلان أوَّاه أوَّاب: رَجّاع إِلى، أُبْتُ بني فُلان: جئتُهم ليلاً.

ونورد نفس المدخل "آب" كما ورد في لسان العرب، النسخة الورقية الأصلية[٢٦]:

- معنى "آب" في لسان العرب: [تلخيص لمعاني "آب" التي امتدت على أربع صفحات بها شرح المفردة صرفيًا ونحويًا واشتقاقيًا ودلاليًا مع شواهد مختلفة من أشعار وأحاديث نبوية وآيات قرآنية وأقوال العرب وقصصهم، وقد وردت المفردة في باب الباء تحت الجذر (أ، و، ب)]:
  - الأوب: الرجوع إلى الشيء.
  - آب: يؤوب أوبًا وإيابًا وأوبة: رجع.
  - آب الغائب يؤوب مآبًا إذا رجع فهو آيب.
  - آيب: كل اسم فاعل من آب.
  - المآب: المرجع، وتاب مثل آب فعل وافتعل بمعنى.
  - رجل آيب من قوم أواب وأياب وأوْب (اسم للجمع) كثير الرجوع إلى الله.
  - الأوبة: الرجوع كالتوبة والأواب: التائب.
  - أوّب وتأوّب: رجع.
  - آبت الشمس: تؤوب إيابًا وأيوبًا: غابت في مآبها أي في مغيبها كأنها رجعت إلى مبدئها.
  - التأويب: في كلام العرب سير النهار كله إلى الليل.
  - ناقة أؤوب: على فعول: حسن رجعها قوائمها في السير.
  - الأوب: ترجيع الأيدي والقوائم.
  - مآبة البئر: مثل مباءتها حيث يجتمع إليه الماء فيها.
  - آبه الله: أبعده: دعاء عليه.
  - مؤوبة: ريح تأتي عند الليل.

(٢٦) ابن منظور، لسان العرب، المجلّد الأول، ص ص٢١٨-٢٢١، مادة (أ، و، ب).

- آب: من أسماء الشهور عجمي معرب.
- مآب: اسم موضع.

لقد حافظ المعجم الآلي على الترتيب الكلاسيكي لحروف المفردات حسب تسلسلها الألفبائي، ولكن حسب وجودها الاستعمالي لا وجودها النظري في الجذر، لذا وردت كلمة "آب" في أول قائمة المفردات التي تبدأ بالألف والباء مجتمعاً فيها الاسم والفعل في مدخل واحد قسّم إلى خمسة مداخل فرعية: أربعة تخص الاسم ومدخل واحد يخص الفعل. إلا أنّ هذا التقسيم الصرفي والنحوي بين مقولتي الفعل والاسم لا يبرر وجود معاني المفردة في مدخل واحد كما يبرره نظام المداخل في لسان العرب الذي يعتمد على الرجوع إلى الأصل، أي الجذر، فتجتمع المفردات باختلافها، أسماءً كانت أو أفعالاً، تحت أصلٍ واحد يتفرع إلى فروع حسب الاشتقاق أو التصريف(٢٧).

(٢٧) لقد قدّم مراد لوكام في مشروع المعجم الحاسوبي للغة العربيّة الذي عرضه في الاجتماع الثاني لخبراء المعجم الحاسوبي للغة العربيّة مثالاً على النتائج التي تترتّب على عدم الالتزام بالعودة إلى الجذر في التعامل الإلكتروني مع اللغة العربيّة، مشيراً إلى أنّ معظم محركات البحث على الشابكة (الإنترنت) تعتمد على الكلمات المفتاحية (keywords) فتقوم ببساطة بالبحث في صفحات فهارس الشبكة عن سلسلة الحروف المشكلة للكلمة المدخلة دون الأخذ بعين الاعتبار جذورها، ويعطي مثالاً على ذلك إذا بحثنا عن كلمة "الجزائريات" فإنّ المحرك سيستخرج كل الصفحات التي تحتوي على هذه الكلمة بالضبط وسيهمل كل الصفحات التي تحتوي على كلمات مشابهة تنتمي لنفس الأصل (الجذر) مثل: الجزائر والجزأرة والجزائريون...إلخ، رغم أنها قد تكون مهمة للباحث.

انطلاقاً من هذه الملاحظة يرى لوكام أنّ الغرض من مشروعه (المحيط) تلافي هذا النقص الفادح بإضافة هذه الإمكانية الجديدة في البحث، التي تسمح بالبحث عن الصفحات التي تحتوي على كلمةٍ ما، وفي نفس الوقت عن كل الكلمات التي لها نفس الأصل. ومن ثمّة فإنّ نظام المحيط الذي يطرحه بديلاً يتأسّس على ثلاثة أقسام: ١. نظام التجذير الذي يستخرج أصل الكلمة بالاعتماد على نظام خبير قائم على أساس القواعد المعجمية والصرفية للغة العربية. ٢. نظام الاشتقاق [وهو شديد الصلة بالجذر] الذي يستخرج كل الكلمات الفرعية التي لها نفس الأصل. ٣. محرك البحث الذي يطلق البحث بإضافة الكلمات الفرعية. (مراد لوكام، مشروع المعجم الحاسوبي التفاعلي للغة العربيّة: مقترحات حول إعداد المشروع، مرجع سابق، ص ص٥-٦).

وفضلاً عن ذلك، نجد أن المعجم الآلي لم يميز بين "آب" و"أبى" ويوردهما في مدخلٍ واحدٍ مع اختلاف جذريهما ومدخليهما ودلالتيهما، فخلط بين اسم الفاعل المشتق من "أبى" وهو "آب" وهو اسم منقوص تعود إليه الياء في التعريف فيصبح "الآبي" واسم الفاعل المشتق من "آب" وهو "آيب"، في حين نجد الاسمين والفعلين في لسان العرب في مدخلين مختلفين: "آب" في جذر (أ، و، ب) و"أبى" في جذر (أ، ب، ي).

فكان من المفترض، التزاماً بقاعدة الأصل والجذر، أن يقع التمييز بين ترتيب المفردة حسب وجودها الاستعمالي ووجودها النظري في الجذر لتعود إلى جذرها الثلاثي كما هو جارٍ في التقليد المعجمي في التعريف، وكما جاء في لسان العرب حيث ميز ابن منظور في مفردة "آب" بين وجودها الاستعمالي ووجودها اللغوي حسب نظرية الجذر، فتُرجع إلى الحروف الأصول الثلاثة (أ، و، ب) لتفيد رجع وغاب وتاب وقصد. فذكر الجذر بمعناه الأصلي وما اشتق منه من فعلٍ ومصدرٍ واسمِ فاعلٍ وصيغةِ مبالغة، وبدأ بالفعل الثلاثي المجرّد "آب" وصولاً إلى الأفعال المزيدة "أوّب" و"تأوّب"؛ أي تحليل المفردة صرفياً واشتقاقياً ونحوياً ثم دلالياً كما يجب للمعجم أن يقدم من إحاطة بالوحدة المعجمية[٢٨].

ولقد كان المعجميون الرواد يدركون تماماً الخاصية الاشتقاقية للّغة العربية وفائدة المعنى الأصلي للجذر، فحرصوا على الالتزام بنظرية الجذر ودوره في الاشتقاق ليعتمدوا على الجذر منطلقاً لتنظيم الوحدات المعجمية وتنظيم مداخلها. وكلما انزاح المعجم الآلي عن القاعدة الأساسية في اعتماد الجذر وإرجاع الفرع إلى الأصل ابتعد عن الوضوح والتمييز الدلالي، وتخبَّط في اللبس

(28) Jean Dubois, Dictionnaire de linguistique, p. 284.

والخلط بين معاني مفردات ذات حروفٍ مشتركةٍ لكنها مختلفة الجذر كما ورد في شرح مفردة "بتّ" حيث طلبنا من القاموس الآلي معجم المعاني الجامع شرح الفعل "بتّ" فعرض مجموعة من المعاني مختلفة المدخل والجذر وعلى القارئ التمييز بينها كما يلي:

- معنى "بتّ" في معجم المعاني الجامع:

١- بَتّ: (اسم). الجمع: أَبُتّ، وبتاتٌ، وبُتُوتٌ.

البَتُّ: كساءٌ غليظ من صُوفٍ أو وَبَر.

بتًّا: قطعًا.

٢- بَتّ: (اسم)

بَتّ: مصدر بَتَّ

٣- بَتَّ: (فعل)

بتَّ/ بتَّ في بتَتُّ، يَبُتّ ويبِتّ، ابْتُتْ/ بُتَّ وابتِتْ/ بِتَّ، بَتًّا وبَتاتًا، فهو باتّ، والمفعول مَبْتوت.

بَتَّ الأمْرَ: أنْفَذَهُ، أمْضاهُ.

بَتَّ طَلاقَ امْرَأتِهِ: جَعَلَهُ باتّـًا لا رجْعَةَ فِيهِ.

بَتَّ الرَّئِيسُ فِي بُنُودِ القانُونِ: قرَّرَ.

بتَّ عَلَيْهِ الشَّهَادَةَ: أَلْزَمَهُ بِهَا.

بَتَّ الشيءُ بَتَّ بُتُوتـًا: انقطع.

بَتَّ فلان: هُزِل.

بتَّ الحبلُ وغيرُه: انقطع، بتّ حبلُ المودّة بينهما.

بيعٌ باتٌّ: لا خيار فيه ولا عود، قاطع.

بتَّتِ اليمينُ: وَجَبَتْ وبرَّتْ.
بَتَّ السفرُ فلانًا: جَهَده.
بَتَّ الحكم: أصدره بلا تردُّد.
بَتَّ الأمْرَ: نَواه وجزَم.
بَتَّ اليمينَ: جزم بها وأمضاها.
٤- باتَ: (فعل)
باتَ/ باتَ على/ باتَ في يَبات ويَبيت، بِتْ وبَتْ، بَياتًا وبيتوتةً وبَيْتًا، فهو بائت، والمفعول مبيت عليه.
بَاتَ فِي مَكَانٍ مُقْفِرٍ: أَقَامَ فِيهِ اللَّيْلَ.
يَبِيتُ مَرَّةً فِي الأَسْبُوعِ عِنْدَ صَدِيقِهِ: يَنْزِلُ عِنْدَهُ لَيْلاً، تَبِيتُ عِنْدَنَا فَنَفْرَحُ بِلِقَائِهَا (أحمد أمين).
باتَ فِي الطَّرِيقِ: أَدْرَكَهُ اللَّيْلُ فيه.

لم يميّز المعجم الآلي بين "بتّ" و"بات" لغياب قاعدة الجذر فوردت المفردتان في مدخلٍ واحدٍ لتشابه وجودهما الصوتي ولكنْ في اختلافٍ كليٍّ للمعنى والجذر حيث يعودُ فعل "بتّ" إلى الجذر (ب، ت، ت) و"بات" إلى (ب، ي، ت)، وباختلاف الجذر تختلف الدلالة وترتيب المدخل كذلك.

ب- ترتيب مفردات المقولة في المدخل الواحد:

استناداً إلى ما سبق، وحسب المثالين اللذين أوردنا على سبيل الذكر لا الحصرِ، والأمثلةُ كثيرةٌ لا تحصى، فإنّ ترتيب المفردات أو المداخل الفرعية للمقولة أو المدخل الواحد لم يكن ترتيباً بما تعنيه الكلمة من معنى، وذلك أنّ ترتيب المدخل في حدّ ذاته لم يحتكم لقاعدة الأصل والجذر، فكان نظام المداخل يفتقر للنظام. وقد رتبت مفردات المقولة في المدخل الأول الذي أوردناه "آب"

حسب التقسيمِ الصرفيِّ والنحويِّ، الاسمِ ثم الفعلِ، فتوزع أفراد المقولة على النحو الآتي:

أربعة مداخل فرعية تحت صيغة الاسم
- [اسم] الشَّهْرُ/ الأقْنُومُ
- [اسم] الجمع
- [اسم] اسم فاعل
- [اسم] فاعل من أَبَى

[فعل] رَجَعَ وعاد/ غابت/ ردّ/ ورد الماء ليلاً/ جاء ليلاً ← مدخل فرعي واحد للفعل

ونتحصل على الرسم البياني التالي لتوزيع مفردات المقولة في المدخل الواحد (نشير إلى المدخل الفرعي بحرف الميم "م"):

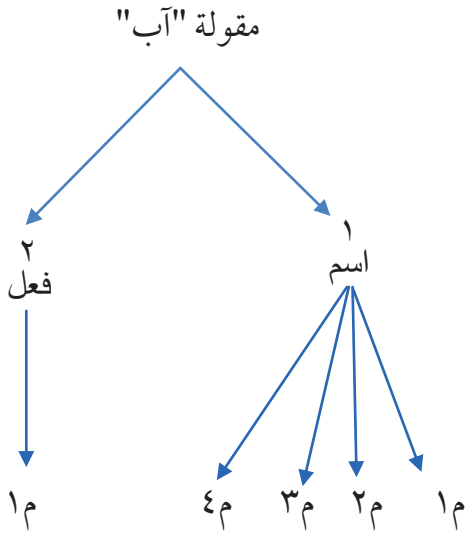

يبين لنا هذا الرسم البياني لترتيب أفراد مقولة "آب"، كما وردت في المعجم الآلي، أنّ تنظيم المدخل لم يعتمد على القاعدة المعجمية الأساسية للجذر والأصل، فلم يقع التمييز كما رأينا سابقًا بين الصيغة النظرية للجذر وصيغة الاستعمال للمفردة، وتبعًا لذلك لم يوجد التنظيم الاشتقاقي الذي يفترض البدء بالأصل ثم الفرع ليكون الانطلاق من الجذر ثم الفعل ثم ما يشتق منه من أسماء. وخلافًا لذلك جاء ترتيب المفردات في المعجم الآلي دون ترتيبٍ منطقي، فذكر الاسم أولاً ثم في مرتبةٍ أخيرةٍ يرد الفعل الذي من المفترض أن يكون في المرتبة الأولى بعد الجذر لتشتق منه الأسماء. نفس الشأن بالنسبة للمثال الثاني الذي أوردناه وهو "بتّ"، فقد وقع ترتيب معانيه في المعجم الآلي بنفس الطريقة غير المرتبة نظريًا بذكر الأسماء المشتقة التي تعتبر فروعًا قبل الفعل والجذر الذي يمثل الأصل وكان من المفترض أن يتبع المعجم الآلي القاعدةَ الأساسيةَ الأصلَ قبل الفرع والفرع يردّ إلى الأصل.

هذا فيما يخص البنية الشكلية أو الشكل النظري للمعجم الآلي الذي لا يتوقف عند هذا الجانب الذي ذكرناه من ترتيب المداخل وترتيب فروعه، بل هناك عدة زوايا تدرس المعجم في شكله النظري، والإلمامُ بها يتطلب بحثًا كاملاً مستقلاً. وأردنا أن ننظر بهذا البحث في مدى التوافق بين المعجم الإلكتروني واللغة العربية مع اعتبار كل ما يميز كليهما من خصائص، فبحثنا في جانبٍ من جوانب المعجم الآلي من حيث شكله النظري للوصول إلى بنيته الدلالية ومدى توافقها مع المستوى التطبيقي للنظرية الدلالية المعجمية.

٣ – البنية الدلالية للمعجم الآلي:

لا يمكن دراسة الدلالة داخل المعجم دون الاستناد إلى نظرية محددة والاعتماد على أمثلة تطبيقية، فهي دراسة نظرية تطبيقية بالأساس، تنظر في معاني

المفردات وانتظامها الدلالي من خلال تدرج المعنى من العام إلى الخاص ومن المحسوس إلى المجرد حسب المنهج المنطقي، وهو ما تقول به نظرية مبادئ البروز العرفاني في الدلالة العرفانية[٢٩] حيث يكون المعنى الأول باعتباره معنًى قاعديًا مرتبطًا بالإنسان في درجةٍ أولى ثم الحيوان في درجةٍ ثانية، وتكون الأولوية حسب مبدأ البروز لما هو فيزيائي محسوس قبل المجرّد[٣٠]. وهو ما يعبر عنه الترتيب المنطقي بالمعنى الأصلي أو الحقيقي قبل المعنى المجازي، لذا يجد المعجمي أو واضع المعجم صعوبات جمة في تعريف الألفاظ لما يطرأ عليها من ظواهر لسانية عديدة مثل التغير الدلالي والتوسع الدلالي والتخصص الدلالي واكتساب المعاني الهامشية، والتضام والاستعمالات المجازية، والترادف والاشتراك اللفظي والدلالي.

وتتغير دلالة المفردات وتتوسع عن طريق الاستعمال فيؤخذ ذلك بعين الاعتبار في تحديد معنى مفردة ما فتتداخل المعاني الأصلية والمجازية ويتدخل الاستعمال والسياق في تحديد المعنى. لذا لا بد من الاستناد إلى قواعد منهجية للتمييز بين المعاني وتنظيمها وفق نظام محدد، وجرت العادة في المعاجم الكلاسيكية أن ترتب معاني المفردة ترتيبًا منطقيًا من العام إلى الخاص ومن المحسوس إلى المجرد، ومن الحقيقي إلى المجازي، خاصة إذا كانت المفردة من المشترك الدلالي (polysémie)، وأكثرُ مفردات العربية من المشترك. فكيف يمكن للمعجم الآلي أن يميز بين معاني المفردة الواحدة وهو لم يميز كما رأينا سابقًا بين جذور المفردات في شكله النظري؟ بل هل يمكن أن نتحدث عن بنية

(29) Georges Kleiber, La sémantique du prototype, p. 70.

(٣٠) المرجع السابق، ص١٨٠.

دلاليـة منتظمـة داخـل المعجـم الآلـي وقـد تبـين لنـا مـا يعتريـه مـن اضـطراب في بنيته الشكلية؟

إنّ أول ما يلاحظ في تعريف المفردات الآلي هـو تـواتر المعـاني وإيرادهـا دفعـة واحدة واجتماعها رغم اختلافها دون وجود ما يربط بينها منطقيـًا، تمامـًا كمـا ورد شـكل المفـردات مفتقـراً إلـى الترتيـب المنطقـي الـذي تدعمـه نظريـة الجـذر. وإذا كانت المعاجم الورقية الكلاسيكية في حد ذاتها تعاني من مشكلة الدلالة مـن خـلال ما وجّـه إليهـا مـن انتقـادات حـول غمـوض المعنـى وعـدم كفايـة التعريـف، فكيـف للمعجم الآلي وهو حديث النشأة وحديث العهـد باللغـة العربيـة أن يقـدّم بوضـوح معنى المفردة وهو الذي يتخبّط في عشوائية الألفاظ ولا يميز بين جذورها؟

لقد وضع المعجميـون المعاصـرون شـروطـًا لتقييـد اسـتعمال التعـاريف، وقـد تعددت هذه الشروط واختلفت من أرسطو إلى يومنا هذا، وهـي في مجملهـا نظريـةٌ حاول عديد المعجميين الالتزام بهـا؛ ومنهـا تجنـب الـدور والتسلسـل في التعريـف المقتضب وعدم إحالة القارئ على تعريف آخر أكثـر مـن مـرة واحـدة، فـلا بـدّ مـن اشـتمال التعريـف المقتضـب علـى تمييـزٍ دلالـيٍّ يخصـص المعنـى المطلـوب مـن الكلمة الجذريـة أو الكلمـة المجانسـة المضـمنة فيـه. وهـو مـا لا نجـده في المعجـم الآلي بسبب غياب الالتزام بقاعدة الجذر. وهـو مـا رأيناه في المثـال السـابق "آب" حيـث لـم يكـن المعنـى مرتبـًا وفـق دلالـة الجـذر (أ، و، ب) التـي نجـدها في لسـان العرب وانطلق منها ابن منظور فكان أول معنى للمفردة هو: "الأوب: الرجوع إلى الشيء"، فمثـل هـذا المعنـى قاعـدة لبقيـة المعـاني الفرعيـة أو المشـتقة التـي وردت مرتبة في مرتبة ثانيـة لتفيـد في مواضـع اشـتقاقية وصـرفية معنـى الجـذر. وهـو مـا لـم نجده في المعجم الآلي حسب المثال التالي المذكور سابقـًا:

- معنى "آب" في المعجم الآلي معجم المعاني الجامع:

١- آب: (اسم):
الشَّهْرُ الثَّامِنُ مِنَ السَّنَةِ الشَّمْسِيَّةِ، وَهُوَ مِنَ الشُّهُورِ السُّرْيَانِيَّةِ، عَدَدُ أَيَّامِهِ ٣١ يَوْمًا، يَأْتِي بَعْدَ تَمُّوزَ، وَيَلِيهِ أَيْلُولُ، وَيُسَمَّى أَيْضًا أَغُسْطُسَ، غُشْت، أُوت.
آب: الأَقْنُومُ الأَوَّلُ عِنْدَ الْمَسِيحِيِّينَ.

٢- آبٍ: (اسم)
الجمع: آبُون وأُباة.
اسم فاعل من أَبَى/ أَبَى على/ أَبَى عن/ أَبَى من: معتزّ بنفسه.

٣- آبٍ: (اسم)
آبٍ: فاعل من أَبا.

٤- آبٍ: (اسم)
آبٍ: فاعل من أَبَى.

٥- آبَ: (فعل)

آبَ أَوْبًا، وأَوْبَةً، وإِيابًا، مآبًا فهو آئب، وآيب، وأَوَّاب. آبَ إليه: رَجَعَ وعاد، آبَ إلى الله: رَجَع عن ذنبه وتاب، آبَت الشمسُ: غابت، آبَ بيده إلى السيف ونحوه: رَدَّها إليه ليضرب به. آبَ الماءَ: ورده ليلاً، وفلان أوَّاه أوَّاب: رَجّاع إِلى، أُبْتُ بني فُلان: جئتُهم ليلاً.

ما ورد في المعجم الآلي من خلال هذا التعريف هو خلاف ما تضبطه القاعدة المعجمية التي تحتم الانطلاق من الأصل وصولاً إلى الفرع وإرجاع الفرع إلى الأصل حسب نظرية: الجذرُ الأصلُ في الاشتقاق، إذ يتضمن الجذر المعنى الأصلي للمفردة. فما جاء في تعريف "آب" آليًا هو الانطلاق من الفرع أو المعنى

الفرعي والمعاني المشتقة آب وآيب، ثم في مرتبةٍ أخيرة يأتي المعنى الأصلي المشتق من الجذر الوارد في صيغة الفعل آب، أي رجع وعاد. فنتحصل على بناءٍ دلالي عكسي لا يتوافق مع القاعدة الأصلية أو قاعدة الجذر كما يبينه الرسم التالي:

المعجم الآلي:

معنى (آب)

↓

Ø معنى الجذر

↓

معان فرعية + اشتقاقية

↓

١. الشهر ٢. الأقنوم ٣. اسم الفاعل

لسان العرب:

معنى (آب)

↓

= معنى الجذر

↓

معنى أساسي الرجوع إلى الشيء

↓

٤. فعل: رجع، عاد

معان فرعية + اشتقاقية

↓

آب اسم شهر أؤوب تأويب آيب- أوّب-أوبة

تشير العلامةُ الأولى Ø إلى غياب الجذر، والعلامةُ الثانية = إلى حضور الجذر.

هـذا الرسـم البيـاني لنظـام دلالـة اللفـظ كمـا ورد في المعجمـين الآلـي والـورقي لسان العرب، ونتبين الاختلاف بينهما وهو اختلاف منهجي يتعلق بالبنيـة الشكلية النظرية والبنية الدلالية معـًا. فلم تكن مداخل اللفظ في المعجـم الآلـي مرتبـة وفـق الجـذر ومشـتقاته فكـان التـداخل بـين المعـاني أن سـبقت المعـاني الفرعيـة المعنـى الأساسي الذي من المفترض أن يكون الانطلاق منه في التعريف كما جاء في لسـان العرب حتى نتحصل على بنية دلالية منتظمة يحكمها التدرج من الأصل إلى الفرع ومن العام إلى الخاص حسب الترتيب المنطقي(٣١). وهو ما نجده كذلك في المثال الثاني: "بتّ"، كما ذكرنا سابقـًا، الذي تداخلت في تعريفـه المعـاني فلـم يقـع التمييـز بين الأساسي والفرعي في المعنى، وتضـمن التعريـف معنًـى آخـر مخالفـًا للمعنـى الأصلي للجذر وبعيداً عنه ينتمي إلى جذر آخر وهو "بات" وجذره (ب، ي، ت).

(٣١) للمدخل أهميّة بالغة في مشروع المعجم الإلكتروني للغة العربيّة. فلا غنى عن الانطلاق من الجذر كما يؤكّد أحد المشاريع التي عُرضت في الاجتماع الثاني لخبراء المعجم الحاسوبي للغة العربيّة، حيث نقرأ ما يلي: "في خيارات الدخل من المفيد أن نذكّر هنا بأهم الخصائص التي يجب أن يتوفر عليها المعجم أولاً: في الدخل ينبغي أن يكون الدخل على مستويين: المستوى الأول هو مستوى الجذر. فإذا أدخَل المستعملُ جذراً ما، حصل على كل ما يتعلق بمداخل هذا الجذر. ولهذا المستوى جملةُ تسهيلاتٍ تتعلق بـ: عدد حروف الجذر المدخَل، وانتمائها إلى حروف المعجم...إلخ. والمستوى الثاني هو مستوى الكلمة. فإذا أدخَل المستعملُ كلمةً ما (فعلاً أو اسمًا أو صفةً أو مصدراً أو أداة)، انتقل العرض مباشرة إلى المكان الذي ذُكرتْ فيه تلك الكلمة، ضمن الجذر المنتمية إليه". (مراد لوكام، مشروع المعجم الحاسوبي التفاعلي للغة العربيّة: مقترحات حول إعداد المشروع، مرجع سابق، ص١٠)

فما قام به المعجم الآلي هو تقريب الألفاظ على المستوى الصوتي رغم اختلاف المعنى والجذر، وهو خطأ منهجي في الشكل النظري أساء إلى التعريف بأن تعددت المعاني واختلفت وعسر تنظيم بنيتها الداخلية في ضوء غياب نظام المفردات الشكلي وغياب القاعدة المعتمدة في أولوية الأصل، وهو المعنى الوارد في الجذر. فمن الصعب أن ننظم دلالة "بتّ" في المعجم الآلي مع وجود معنى "بات" ضمنها لاختلاف جذريهما ودلالتيهما. إنّ ما يتعلق بالبنية الدلالية داخل المعجم ليس مجرّد قواعد نظرية تبحث في التوافق بين الشكل والمضمون، بل يتعلق بنظام معرفي أوسع يتمثل في جانب من جوانبه في المقْولة وكل ما تعنيه من تنظيم للأشياء، وهو ما يرتبط بالعلاقة بين الذهن البشري واللغة من تواصل معرفي أساسه المقْولة(٣٢).

وهو ما نجده مثلاً في لسان العرب من خلال اعتماد ابن منظور –وإنْ بطريقةٍ غير واعية– على ثنائية الذهن واللغة وما تحققه من مقْولة، ولا نجد ذلك في المعجم الآلي الذي تحكمه الآلة وتنظمه برمجةٌ إلكترونية غير انتقائية كما ينظم الذهن الأشياء، فلا يميز الحاسوب مثلاً بين معنى "ساق" و"سقى" أو بين "عصا" و"عصى". وإذا اختلطت المداخل فبالضرورة ستضطرب البنية الدلالية ويصعب تنظيم المعنى الذي يمثل في حدّ ذاته إشكالاً شائكًا وهو مبحث مشترك بين كثير من المجالات والأنساق اللغوية وغير اللغوية.

إنّ ما يعتري المعجم الآلي من نقص وعدم تنظيم على مستوى الشكل النظري والبنية الدلالية يجعله لا يرتقي إلى معجم علمي يمكن الاعتماد عليه في تعريف المفردات، خاصة على مستوى أكاديمي علمي، مقارنة بالمعاجم الورقية التي

(٣٢) مراد لوكام، مشروع المعجم الحاسوبي التفاعلي للغة العربيّة: مقترحات حول إعداد المشروع، ص٧٠.

تستند عادة إلى منهج نظري يعتمد ترتيباً منطقياً للمفردات شكلاً ومعنًى. ولا يمكن أن نحكم على المعجم الآلي بالفشل أو النجاح مطلقاً لما يوفره من سهولة وسرعة في تقديم المعلومة، ولكنْ تظلّ هذه المعلومة في مستوى الشرح أكثر منها تعريفاً دلالياً معجمياً، خاصة وأننا نتحدث عن معجم عربي إلكتروني لا يزال في بدايته مقارنة بمعاجم اللغة الفرنسية أو الإنجليزية السبّاقة.

فالمعجم الآلي يمثل تحدّياً بالنسبة إلى اللغة العربية، ويمكن القول إنه تحدٍّ ناجح لما تتميز به العربية من نظام في بنيتها الداخلية من وزن وجذر واشتقاق، وهو نظام صوري يساعدها على التطبيق الآلي الحاسوبي، ولكن تظلّ مسألة تنظيم الدلالة داخل المعجم في تعريف المفردات نسبية لما يتضمنه المعنى، معنى مفردة ما، من مسائل تتعلق بالاستعمال والسياق والاطراد، وهو ما يفسّر بالتوليد الدلالي والدلالة السياقية التي نجدها، خاصة في تعريف المفردات المتعددة المعنى. وهي مسائل أرّقت البحث المعجمي في المدونات الكلاسيكية الورقية قديمة العهد، فما بالك بالمعجم الآلي حديث النشأة. فاللغة العربية رغم أنها تفقد جزءاً من تراثها التدويني ومن خاصية التسلسل والاطراد في وجودها الافتراضي الإلكتروني إلا أنها تثبت قدرتها على مواكبة التطور وتحدي الآلة غير العربية وقدرتها، خاصة على تطبيق مناهج البحث الحديث على مفرداتها المعجمية المتطورة بطبعها لإثبات وجودها من خلال وجود مستعمليها ومتكلميها من أجل الحفاظ على أصالتها وتراثها.

إنّ النتائج التي توصّلنا إليها من خلال هذا المقال من شأنها أن تدعّم المشاريع الجديّة لبلورة معجم إلكتروني يراعي خصوصيّة اللغة العربيّة التي يشكّل فيها الجذر- الاشتقاق عمودها الفقري مثل مشروع المحيط الذي عرض له صاحبه في

الاجتماع الثاني لخبراء المعجم الحاسوبي للغة العربيّة حين أكّد قائلاً: "نعتقد أن المبدأ الذي يقوم عليه نظام المحيط (التجذير/ الاشتقاق) من المفيد جداً، بل من الضروري، أن يستعمل في معجم اللغة العربية. فمستعمل المعجم سيكون بكل تأكيد مهتمًا عند البحث عن كلمة ما، بالبحث أيضًا عن الكلمات التي تنتمي لنفس الأصل"(٣٣).

(٣٣) مراد لوكام، مشروع المعجم الحاسوبي التفاعلي للغة العربيّة: مقترحات حول إعداد المشروع، ص٧.

التّرابط النّصّيّ في خطبة البيعة للخليفة عمر بن عبدالعزيز(*)

نبيل احريز(**)

الملخّص

يسعى هذا البحثُ، بالمنهج الوصفيّ التّحليليّ، إلى كشْف أدواتِ التّرابط النّصّيّ الآتية: (الإحالة والاستبدال والحذف والعطف والتّكرار والتّضامّ والتّعريف والتّنكير) في خطبة البيعة للخليفة الأموي عمرَ بن عبدالعزيز؛ وهي الأدواتُ التي أسهمتْ في استواء نصّ خطبة البيعة العمرية نصًّا متماسكًا مترابطًا نحو موضوعه وغايته؛ لكونها من النّصوص اللّغويّة المتقدّمة في تاريخ النّصّ العربيّ، فقد أُنتِجَتْ في عصرِ الاحتجاج اللّغويّ عصرِ الفصاحة، أنتجتْها ذاتٌ متميّزةٌ شغلتِ النّاس قديمًا وحديثًا، استفتحَ بها مشروعَه السّياسيّ في الخلافة. وقد

ضَمّنَ في هذه الخطبةِ أسسَ رؤاه الفكريّة التي اتّكأ عليها لتحقيق تلك الغاية، ووظّفَ فيها أدوات التّرابط النّصّيّ توظيفًا خاصًّا؛ وهو ما أهّلها لتُمَثّل نموذجَ خطابٍ نصّيٍّ يُحتذى به في إنتاج النّصوص وتحريرها.

(*) البحث في الأصل مُسْتَلٌّ من أطروحة الباحث للدكتوراة، وعنوانُها: "نظريةُ نحو النص (خُطَب عمر ابن عبدالعزيز ووصاياه ورسائله للولاة أنموذجًا)"، وقد نوقشت في الجامعة الأردنية بتاريخ ١٥/ ١٢/ ٢٠٢١م، بإشراف الأستاذ الدكتور علي خلف الهروط.

وقد سَبَقَ للباحث أنْ نشر مقالًا نقديًّا خاصًّا عن تلك الخطبة بعنوان **"خُطبة عمر بن عبدالعزيز لمّا ولي الخلافة: بين السياسة الشرعية وسياسة الاحتراف البشريّ"** في **مجلّة البيان العربيّ**، مجمع اللغة العربية الأردني، العدد (٢)، ٢٠٢١م، ص ص٤٩-٥٦.

(**) محاضر متفرغ، قسم العلوم الأساسية، كلية عجلون الجامعية، جامعة البلقاء التطبيقية، المملكة الأردنية الهاشمية. تاريخ تسلّم البحث ١٤/ ٤/ ٢٠٢١م وتاريخ قبوله للنشر ٢٨/ ١٠/ ٢٠٢١م.

وقد بَدَأَ البحثُ بتعريف بخُطَب الخليفة عمرَ تعريفًا عامًّا من حيثُ موضوعاتُها وأبرزُ خصائصها الفنّيّة، ثمّ ذُكِرَتِ المسوّغاتُ التي دَفعت نحو طرْق هذا الموضوع، والخطواتُ الإجرائيّة التي اتُّبِعَتْ في دراسته، وأهمُّ الدّراسات السّابقة القريبة منه، وأهمُّ المصادر والمراجع التي أَفاد منها البحث. تلا ذلك تمهيدٌ عرّفَ بإيجازٍ مفهومَ التّرابط النّصّيّ وأشهرَ أدواته ودورَها في تحقيقه. ثمّ شَرع البحث بدراسةِ خطبةِ البيعةِ العمريّة؛ بتقديمِ قراءةٍ تحليليّةٍ موجزةٍ تحت عنوان (النّصّ والسّياق)، وَقَفَتْ على سياقِ النّصّ: زمانِه ومكانِه، وظروفِ استخلاف عمرَ وموقفِه من الخلافة، ونوعِ النّصّ وموضوعِه وبناه الكبرى وتسلسلِها، ثمّ تُفُحِّصَتْ تلك الأدواتُ وبُيِّنَ دورُها في ترابط النّصّ وفق الدّلالة النّصّيّة الكلّيّة الجامعة. وخُتِمَ البحثُ بذكْر أهمّ النّتائج؛ ومِن أبرزها أنّ خطبة البيعة العمرية خِطابٌ نَصِّيٌّ، وأنّ الإحالةَ بالضّمير والتّكرارَ الكلّيّ والعطفَ بالواو أكثرُ الأدوات التي وُظِّفَتْ توظيفًا خاصًّا في تحقيق الترابط النّصّي للخطبة وفق رؤية النص الكلية.

الكلمات المفتاحية: الترابط النصي، نحو النص، عمر بن عبدالعزيز، خطبة البيعة، الخطاب النصي.

Textual Cohesion in Caliph 'Umar ibn 'Abd al-'Aziz's Speech on the Occasion of his Accession to the Caliphate

By Nabeel Ihraiz

Abstract

Using the descriptive analytical methodology, this research seeks to identify the cohesion devices of allusion, coordination, replacement, omission, repetition, amalgamation, definition, and anonymity in the speech delivered by 'Umar ibn 'Abd al-'Aziz on the occasion of his accession to the caliphate. These devices contributed to the cohesion of the text and helped to maintain the speaker's focus on his purpose. It is one of the distinguished early texts in Arabic prose. It was produced in an age in which such texts were linguistically authoritative and stylistically impressive by a person of distinguished qualities—a person who impressed contemporaries as well as men of later times. The speech inaugurated his political project, laying down the foundations on which his vision could be realized. The speech uses the devices of textual cohesion in such a masterly manner that it has become a model of how similar texts can be produced and edited.

The research starts with an introduction that gives information on the caliph's speeches regarding their subject matter and artistic features, explains why this piece of research has been undertaken, and then describes the methods followed, giving an account of relevant previous studies.

This is followed by a brief discussion of the concept of textual cohesion together with the tools that are employed to achieve it.

The study moves on to analyze the accession speech by offering a brief analysis under the title "Text and Context," in which the historical circumstances are described and the reasons why 'Umar was chosen, and his views on the matter. The speech is then analyzed in such a way as to give a full account of its content and the techniques used to produce it. The research ends with a summary of the main findings.

Key terms: Textual coherence, Textual syantax, 'Umar ibn 'Abd al-'Aziz, The pledge of allegiance sermon, Textual discourse.

إنّ للخليفةِ العربيِّ الإسلاميِّ الأمويِّ العظيمِ عمرَ بنِ عبدالعزيز (ت١٠١هـ/ ٧١٩م) رحمه الله رحمةً واسعة، تراثًا كبيرًا من النصوص المكتنزة (خُطَبًا ووصايا ورسائلَ) منثورًا في كثيرٍ من المصادر الأدبية والنقدية والتاريخية كـ(الكامل في اللّغة والأدب) للمُبَرّد (ت٢٨٥هـ/ ٨٩٨م) و(تاريخ الأمم والملوك) للطّبريّ (ت٣١٠هـ/ ٩٢٢م)، فضلًا عن الأسفار التي صُنِّفَتْ في سِيرته تحديدًا كـ(سيرة عمر بن عبدالعزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه) لابن عبدالحكم (ت٢١٤هـ/ ٨٢٩م) و(أخبار أبي حفص عمر بن عبدالعزيز رحمه الله وسيرته) للآجُرِّيّ (ت٣٦٠هـ/ ٩٧١م) و(سيرة ومناقب عمر بن عبدالعزيز الخليفة الزاهد) لابن الجَوزيّ (ت٥٩٧هـ/ ١٢٠١م).

وقد خلّفَ عمرُ بنُ عبدالعزيز خطبًا عديدة، صَدَرَتْ من مبادئَ دينيّةٍ وأخلاقيّة وسياسيّة واجتماعيّةٍ منسجمةٍ مع رؤيته الفكريّة النّابعة من العقيدةِ الإسلاميّةِ مرجعيّتِه. جَرَتْ على سنن الخطب الإسلاميّة في عهد النّبوّة والخلافة الرّاشدة، كالبدْء بحمد الله والصّلاة والسّلام على رسوله صلّى الله عليه وسلّم، والاستشهاد بآيات القرآن الكريم والسّنّة الشّريفة، ووضوح الأفكار وتسلسلها، وجزالة الألفاظ ودقّتها، وحسن التّقسيم، والإيجاز. وقد جَمَعَها ووثّقها وشَرحَ مفرداتها حسين عطوان في كتابه (خطبُ عمر بن عبدالعزيز ورسائله)[1]. وفي هذه الخطب ميزاتٌ نصّيةٌ ثلاث:

١- تميُّز الذّاتِ المنتجة لها، فالخليفةُ عمرُ بنُ عبدالعزيز شخصيّةٌ ذاتُ مكانةٍ كبيرةٍ ومؤثّرة في تاريخ الأمّة العربية الإسلاميّة على المستوى السياسي

(١) مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م، ص ص٩-١٩.

والاجتماعي والثقافي والحضاري. والذّاتُ المتميّزةُ تنتجُ نصًّا متميّزًا فيستحقّ أن يُعامَل معاملةً خاصّةً ليُفادَ من تجربتها النّصّيّة في إنتاج النّصوص وتحريرها. وما النّصُّ إلّا انعكاسٌ لوعي الذّات التي أنتجتْه، لأنّها العنصرُ الأساسيُّ الذي يناط به وظيفةُ اللّغةِ التّعبيريّةِ الخاضعةِ لمقاصدها (أي الذّات) وهويّتها، وهي التي تمدّ النّصَّ بالمعنى[٢].

٢- إنتاجها في عصْرٍ من عصورِ الفصاحة اللّغويّة (العصر الأمويّ)، وهو من عصور الاحتجاج اللّغويّ. فهي نصوصٌ متقدّمةٌ في تاريخ النّصّ العربيّ، تستحقّ أن تُدرَس بمناهجَ ورؤًى متعدّدة لكونها نماذجَ نصّيّةً يحتذى بها.

٣- تتوافر فيها كثيرٌ من أدوات التّرابط النّصّيّ على المستويْن: المعجميّ والتّركيبيّ؛ وظّفها عمرُ توظيفًا خاصًّا أسهم في ترابط النّصّ ضمن سيرورةٍ نصّيّة متّسقة موحَّدة منسجمة. فمن المقرّر في علم النّصّ وتحليل الخطاب أنّ تحقُّقَ الترابط النصي في ذينك المستويين في أيّ نصّ، ينبئ برقيّه النّصّيّ، لأنّ الوحدةَ المعجميّةَ (الكلمةَ) هي بؤرةُ الكلام ومصدرُ إشعاع المعاني فيه، لما تحمله من شحناتٍ دلاليّةٍ تتشابك وتتقاطع مادّةً أُولى في توجيه سيرورة النّصّ. وترابطُ التّراكيب الحَسَنُ ينبئ بمدى الحبك الجيّد لبناء الفكرة الموضوعيّ والانسجام الدّلاليّ على مستوى النّصّ الكلّيّ، لأنّ التّركيب ناجمٌ عن المعنى خاضعٌ للدّلالة والقصديّة[٣].

وهذه الميزات الثّلاثة هي الأسباب التي دفعتِ الباحثَ لدراسة هذا الموضوع وتقديمِ هذا البحث، ولا سيّما أنّ الخطبَ العمريّة لم تُدْرَسْ من قبلُ –وفق علم

(٢) ينظر: ردّة الله الطلحي، **دلالة السّياق**، جامعة أمّ القرى– معهد البحوث العلميّة، مكّة المكرّمة، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ص٦٠١.

(٣) ينظر: روبرت دي بوجراند، **النّصّ والخطاب والإجراء**، ترجمة: تمّام حسّان، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٩٩٨م، ص١٠٣.

الباحث- إلّا دراسةً أدبيّةً فنّيّةً في كتاب (آثارُ عمر بن عبدالعزيز الأدبيّة: تحقيق ودراسة) لِمُفلح الفايز، حقّق فيه آثارَه المبثوثةَ في أمّهات الكتب التّاريخيّة والأدبيّة، وصنّفها حسب موضوعاتها، ودرس خصائصها الفنّيّة.

ولمّا كانتْ دراسةُ التّرابط النّصّيّ في الخطبِ العمريّةِ كلِّها أمرًا لا يسعه بحثٌ واحدٌ، آثرتُ اختيارَ خطبته لمّا بويع بالخلافة لكشْف أبرز أدوات ترابطها النّصّيّ وهي: (الإحالة والاستبدال والحذف والعطف والتّكرار والتّضامّ والتّعريف والتّنكير) وفق الرّؤية الدّلاليّة النّصّيّة الكلّيّة الجامعة، وذلك -فضلًا عن الميزات والأسباب العامّة سالفة الذّكر- لأنّها:

١- أوّلُ خطابٍ سياسيٍّ للخليفة عمر عقب تولّيه الخلافة ومبايعتِه، ضمّنها أسسَ رؤاه الفكريّة التي اتّكأ عليها في مشروعه السّياسيّ الذي أحدث تغييراتٍ هائلة. وهي في ظاهرها مقولاتٌ دينيّةٌ وعظيّة لا غير، لكنها خطبةُ بَيْعَةٍ سياسية لا خطبةُ جمعة، فالمقامُ مَقامُ خِطَابٍ ذي خَطْب، وذلك سيُبيَّنُ في تحليلها إن شاء الله.

٢- توافرَتْ لها رواياتٌ بَيَّنَتْ تفاصيلَ سياق إنتاجها النّصّيّ مِن زمانٍ ومكانٍ وجمهورٍ وغيرها من المعطيات المعتَبَرة في التّحليل النّصّيّ، وهو ما لم يتوافر لغيرها من خطبه التي رُوِيَتْ مُقْتَضَبَةً معزولةً عن سياقها.

٣- وُظِّفَتْ فيها أدواتُ التّرابط النّصّيّ توظيفًا خاصًّا؛ وهو ما يؤهّلها لتمثّل نموذجَ خطابٍ نصّيٍّ يُحتذى به في إنتاج النّصوص وتحريرها.

أمّا الخطواتُ الإجرائيّةُ التي اتّبعها البحثُ في سبيل تحقيق غايته -بعد تمهيدٍ موجزٍ يُعرِّف بمصطلح التّرابط النّصّيّ وأبرزِ أدواته ودورِها في تحقيقه- فهي:

أوّلاً- قراءة نصّ الخطبة قراءةً تحليليّةً نقدية موجزةً تكشف عن: سياقِه (الزّمان والمكان والجمهور) ونوعِه وموضوعِه أو دلالتِه الكلّيّة وبناه النّصّيّة الكبرى وتسلسلِها، تحت عنوان (النّصّ والسّياق)، مَدْخَلًا لدراسة أدوات التّرابط النّصّيّ فيه.

ثانيًا- رصْدُ أبرز أدوات ترابطها النّصّيّ سالفة الذّكر، بتفحُّصها وبيان دورها في ترابط النّصّ، ضمن الدّلالة النّصّيّة الكلّيّة الجامعة؛ للإجابة عن سؤال البحث الرّئيس: كيف وَظَّفَ النّاصُّ أدوات الترابط النصيّ في تحقيق التّرابط النّصّيّ لخطبته وفق دلالتها الكلّيّة؟

وأمّا الدّراسات السّابقة التي بَحَثَتْ في موضوع التّرابط النّصّيّ نظرًا وتطبيقًا فكثيرة، ولعلّ مِن أقربها إلى موضوع البحث:

١- كتاب (نسيجُ النّصّ: بحثٌ في ما يكون الملفوظ به نصًّا) للأزهر الزّنّاد. قَدَّم له بالحديث عن مفهوم النّصّ وقضاياه اللّسانيّة، ثمّ قسّمه ثلاثة أقسام: بحثَ في أوّلها الرّوابط التّركيبيّة في النّصوص، وفي ثانيها الرّوابط الزّمانيّة، وفي ثالثها الرّوابط الإحاليّة.

٢- كتاب (نظامُ الارتباط والرّبط في تركيب الجملة العربيّة) لمصطفى حميدة. وقد قسّمه أربعة فصول: بحث في أوّلها علاقات الارتباط بين المعاني من الوجهة الدّلاليّة، وفي ثانيها مفهوم الارتباط والرّبط، وفي ثالثها علاقات الارتباط في تركيب الجملة العربيّة، وفي رابعها علاقات الرّبط في تركيب الجملة العربيّة.

٣- رسالة ماجستير بعنوان (نحوُ النّصّ: دراسة تطبيقيّة على خطب عمر بن الخطّاب ووصاياه ورسائله للولاة) لعثمان أبو زنيد، الجامعة الأردنيّة- ٢٠٠٤م. وقد قسّمها أربعة فصول: بحثَ في أوّلها مفهومَ النّصّ في المدارس اللّسانيّة الغربيّة، ومفهومَ نحو النّصّ حدودَه ومكوّناتِه ومهمّاته وعلاقته بنحو الجملة ومحاولات تأطيره. وجعل الفصولَ الثّلاثةَ الأخرى للتّطبيق التّفصيليّ لتقنيات نحو النّصّ وأدوات التّرابط النّصّيّ، فكان الفصلُ الثّاني لخطب عمر بن الخطّاب رضي الله عنه ولا سيما خطبة بيعته، والثّالث لوصاياه، والرّابع لرسائله للولاة. وقد أفاد الباحث من هذه الدراسات نظرِها وتطبيقِها، فضلًا عن تعرّف المصادر والمراجع ذات الصلة بموضوع البحث.

وما يميّز هذا البحثَ أنّه سَيَدرس نصَّ خِطابٍ مكتنزًا من نصوص الخليفة عمر بن عبدالعزيز (وهو خطبة البيعة) للأسباب العامّة والخاصّة سالفة الذّكر. ولمّا كان موضوعُ التّرابط النّصّيّ تُوَظَّفُ فيه تقنيّاتُ علم النّصّ وتحليل الخطاب آخِذًا بعين الاعتبار الجمعَ بين العناصر اللّفظيّة والتّركيبيّة والمقاميّة وأحوالِ مُنْتِجِ النّصّ ومتلقّيه في بحثه نصّيّةَ النّصّ وترابطه؛ حرصَ الباحثُ على أن تكون مصادرُه ومراجعُه ذاتَ صلةٍ بهذه المعطيات كلّها، ومن أهمّها: (تحليل الخطاب) لـــ: ج.ب. براون (G. B. Brown) و ج. يول (G. Yule)، و(أصول تحليل الخطاب) لمحمد الشّاوش و(نحو النّصّ اتّجاه جديد في الدّرس النّحويّ) لأحمد عفيفي و(علم لغة النّصّ: المفاهيم والاتّجاهات) لسعيد بحيري و(النّصّ والخطاب والإجراء) لروبرت دي بوجراند (Robert de beaugrande).

أمّا فيما يتعلّق بمُنْتِج النّصّ عمرَ بن عبدالعزيز فمن أهمّها: (سيرة ومناقب عمر بن عبدالعزيز الخليفة الزّاهد) لابن الجوزيّ، و(أخبار أبي حفص عمر بن عبدالعزيز رحمه الله وسيرته) للآجرّيّ، و(سيرة ومناقب عمر بن عبدالعزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه) لابن عبدالحكم، و(ملامح الانقلاب الإسلاميّ في خلافة عمر بن عبدالعزيز) لعماد الدّين خليل.

تمهيد

الترابطُ النصيُّ وأدواتُه

يعدُّ التّرابطُ النّصّيّ من أهمّ المواضيع التي يعنى بها نحوُ النّصّ في دراسته نصّيّةَ النّصوص، لأنه المَعْلَمَ الأهمّ من معالم النّصّيّة. وهو معنيٌّ بالبحث عن أدوات الصّياغةِ اللّفظيّة الشّكليّة أو الإجراءات اللّفظيّة التي تؤدّي إلى ترابطِ مكوّنات البنية السّطحيّة للتّراكيب لتبدو وقائعَ مترابطةً يؤدّي سابقُها إلى لاحقها والعكس(٤). وفيما يأتي تعريفٌ موجزٌ بأهمّ تلك الأدوات:

الإحالة: هي العلاقةُ القائمةُ بينَ الأسماءِ والمسمّيات، فالأسماءُ تحيل إلى مسمّياتها، كالضّمائر والأسماء الموصولة وأسماء الإشارة، ولا بدّ من التّطابق الدّلاليّ بين المحيل والمحال إليه، ومِن هنا يكون الرّبط(٥). وفضلًا عن دورها في الرّبط الإحاليّ، تستدعي روابطَ أخرى لفظيّةً ومعنويّةً وتؤثّر في سيرورة النّصّ، فالأسماء الموصولة مثلاً تحتاج إلى جُمَلٍ توضّح مدلولاتها؛ وهذه الجملةُ الموضِّحةُ سَمَّوْها جملةَ الصّلة، ولا بدّ فيها من ضميرٍ عائدٍ لائقٍ باسم الموصول ويربطها به، فكأنّهما –بترابطهما– عنصرٌ واحدٌ، والاسمُ يَربط بين جملة صلته

(٤) ينظر: صلاح فضل، **بلاغة الخطاب وعلم النّصّ**، عالم المعرفة، الكويت، العدد (١٦٤)، ١٩٩٢م، ص٢٣٥. ومحمد الشاوش، **أصول تحليل الخطاب**، ٢ج، المؤسّسة العربيّة للتّوزيع، تونس، ط١، ٢٠٠١م، ج١، ص١٠٩.

(٥) ج.ب. براون وج. يول، **تحليل الخطاب**، ترجمة: محمّد الزّليطني ومنير التريكي، مطابع جامعة الملك سعود، السّعوديّة، ١٩٩٧م، ص٣٦. وأحمد عفيفي، **نحو النّصّ اتّجاه جديد في الدّرس النّحويّ**، مكتبة زهراء الشّرق، القاهرة، ط١، ٢٠٠١م، ص٣٢٠.

والعنصر الذي يُحيل إليه (المرجع)، وبهذا يبدو الكلام مسبوكًا[٦]. ويسهم شيوعُ أدوات الإحالة في النّصّ كثيرًا في تحقيق التّرابط النّصّيّ وجعلِ النّصّ وحدةً متماسكةً تكشفها القراءةُ التّأويليّةُ الواعية[٧].

الاستبدال: هو تعويضُ عنصرٍ نصّيٍّ بآخر. ويُعدُّ من وسائل التّرابط النّصّيّ لأنّ العنصر المتقدّم المُسْتَبْدَل مستمرٌّ وجودُه دلاليًّا في الكلام اللّاحق[٨]. ومثالُه قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ﴾ (سورة آل عمران: من الآية ١٣)، حيث استُبدلتْ كلمة (أخرى) بكلمة (فئة) على تقديرٍ يُدرَكُ من الآية نفسها، أيْ: (وفئة أخرى كافرة)؛ فقُدِّرَ العنصرُ المستبدل (فئة) من وجود الكلمة ذاتها في الآية نفسِها قبلُ.

الحذف: هو "استبعادُ العبارات السّطحيّة التي يمكن لمحتواها المفهوميّ أن يقوم في الذّهن"[٩] لدلالة القرائن المذكورة ظاهريًّا أو سياقيًّا عليها، ولذا يُعدُّ من أدوات التّرابط النّصّيّ لأنّ المحذوفَ غيرَ الظّاهر يُستدَلُّ عليه بقرائن لفظيّة أو معنويّة أو مقاميّة مع وعي الموقف النّصّيّ، فله ارتباطات علائقيّة بما يسبقه وما يلحقه؛ أي بالنّصّ وتفسيره لا بالجملة وحدها[١٠].

---

(٦) ينظر: أبو بكر محمّد بن سهل، ابن السراج (ت٣١٦هـ/ ٩٢٩م)، **الأصول في النّحو**، ٢ج، تحقيق: عبدالحسين الفتلي، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ط٣، ١٩٩٦م، ج٢، ص٢٢٣. وحسين حسين، **الموقعيّة في النّحو العربيّ دراسة سياقيّة**، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٥م، ص٢٧٦.

(٧) ينظر: براون ويول، تحليل الخطاب، ص٢٣٠.

(٨) ينظر: المرجع السابق، ص٢٤٠. وأحمد عفيفي، نحو النّصّ، ص ص١٢٢-١٢٣.

(٩) دي بوجراند، النّصّ والخطاب والإجراء، ص٣٠١. وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ تعريف الحذف هذا خاصٌّ بموضوع التّرابط والانسجام وتحليل الخطاب، وإلّا فهو أعمّ من ذلك.

(١٠) ينظر: طاهر سليمان حمّودة، **ظاهرة الحذف في الدّرس اللّغويّ**، الدّار الجامعيّة للطّباعة والنّشر والتّوزيع، الإسكندريّة، ١٩٩٨م، ص١٧٣. وجون لاينز، **اللّغة والمعنى والسّياق**، ترجمة: عبّاس الوهّاب، دار الشّؤون الثّقافيّة العامّة، وزارة الثّقافة والإعلام، بغداد، ط١، ١٩٨٧م، ص٢١٥.

العطف: وهو من أكثر الأدوات التي ترْبطُ المتواليات السّطحيّة في النّصّ، ولشموله الألفاظَ والمعانيَ على مستوى الجملة الواحدة والجمل قاطبةً، عُدَّ نُواةً أساسيّةً لتكوين بنيات النّصّ وترابط عناصره بعضِها ببعض بعلاقاتٍ ووظائفَ معيّنةٍ ضمن ضوابطَ تركيبيّة ومعنويّة[١١]. وبه يترابط الثّاني (المعطوف أو التّابع) مع الأوّل (المعطوف عليه أو المتبوع) في المعنى -غالبًا- والحكمِ الإعرابيّ فيكون هذا مسوِّغَ الرّبط بينهما فيتماسكان[١٢]؛ فتتولّد بذلك علاقاتٌ دلاليّة أفقيًّا على مستوى الجملة، ورأسيًّا على مستوى بنيات النّصّ أو فقراته؛ ضمن مسارٍ خطّيٍّ دلاليٍّ كلّيٍّ جامعٍ متماسك.

التّكرار: هو إعادةُ ذكر اللّفظِ أو مرادفه أو شبه مرادفه، قصْدَ التّوكيد وترسيخ الدلالات في الذّهن[١٣].

وكلُّ كلمة في اللّغة ذاتُ دلالة معجميّة أو اجتماعيّة، تستدعي إلى الذّهن مدلولًا معيّنًا، فإذا ورد في النّصّ كلماتٌ متوافقة دلاليًّا تَرسّختْ في الذّهن صورةٌ ما ترومها هذه الكلماتُ وتَكوّنتْ علاقاتٌ داخليّةٌ متفاعلةٌ مترابطةٌ فيما بينها[١٤]؛

---

(١١) ينظر: سعيد حسن بحيري، **علم لغة النّصّ المفاهيم والاتّجاهات**، مكتبة لبنان ناشرون، ط١، ١٩٩٧م، ص١٢٣.

(١٢) ينظر: أبو بكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن الجرجانيّ (ت٤٧١هـ أو ٤٧٤هـ/ ١٠٧٩ أو ١٠٨٢م)، **دلائل الإعجاز**، تحقيق: محمود شاكر، مكتبة الخانجي للطّباعة والنّشر والتّوزيع- مطبعة المدني، القاهرة، ص ص٢٢٥-٢٢٦.

(١٣) ينظر: أحمد عفيفي، نحو النّصّ، ص١٠٦. وينظر كذلك: ضياء الدين نصر الله بن محمد، ابن الأثير (ت٦٣٧هـ/ ١٢٤٠م)، **المثل السّائر في أدب الكاتب والشّاعر**، قدّمه وعلّق عليه: أحمد الحوفيّ وبدوي طبانة، دار نهضة مصر للطّبع والنّشر، القاهرة، القسم الثّالث، ص١١.

(١٤) ينظر: إبراهيم أنيس (ت١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م)، **دلالة الألفاظ**، مكتبة الأنجلو المصريّة، القاهرة، ط٧، ١٩٩٢م، ص٤٨. وينظر كذلك: أبو الحسن حازم القرطاجنّيّ (ت٦٨٤هـ/ ١٢٨٦م)، **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**، تحقيق: محمّد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، ط٣، ١٩٨٦م، ص ص٤٤-٤٥.

وهذه الصّورة المرسّخة يربطها المتلقّي بسياقِ النّصّ العامّ. وبتواصل هذا التّفاعل يبدو النّصّ متّسقًا متجانسًا منسجمًا[١٥]. وللتّكرار أنواع، أشهرها التّكرار الكلّيّ (ويكون في اللّفظ والمعنى)، والتّكرار الجزئيّ (بمشتقّاتٍ للجذر مختلفةٍ)، والتّكرار التّرادفيّ (بالمعنى مع اختلاف اللفظ)[١٦].

التّضامّ: هو "تواردُ زوجٍ مِن الكلماتِ بالفعلِ أو بالقوّةِ نظرًا لارتباطِها بحكمِ هذه العلاقةِ أو تلك"[١٧].

ويُعَدُّ من مظاهر التّرابط النّصّيّ المعجميّ؛ أي أن الكلمات في النّصّ تتعالق فيما بينها وفق علاقةٍ دلاليّةٍ تربطها حسب موضوع النّصّ ودلالته الكلّيّة. ومن تلك العلاقات:

- التّضادّ، مثل (ميّت وحيّ)، فإثباتُ أحدهما نفيٌ للآخر نفيًا مطلقًا، وهذا النّوع يعدُّ الأقدر على الرّبط النّصّيّ لأنّه يجلّي الأمرَ باستدعاءِ الذّهنِ نقيضَه، فيبدو لمتلقّي النّصّ شعورٌ أنّ أحدَ المتناقضينِ ذو معنًى إيجابيٍّ والآخرَ سلبيّ، ويُسهم هذا في تعميق التّماسك النّصّيّ؛ فبضدّها تُعرَفُ الأشياء.
- التّكامل، نحو (الزّوج والزّوجة) و(الأب والأطفال).
- التّضمُّن، كالعلاقة بين الجزءِ والكلّ، مثل (النّافذة والغرفة)، والعامِّ والخاصّ، مثل (حيوان وفرس)[١٨].

---

(١٥) ينظر: الأزهر الزّنّاد، **دروس في البلاغة العربيّة نحو رؤية جديدة**، المركز الثّقافيّ العربيّ، الدّار البيضاء، بيروت، ط١، ١٩٩٢م، ص ص١٥٥-١٥٦.

(١٦) تنظر أنواعُ التّكرار وتفاصيلها في: دي بوجراند، النّصّ والخطاب والإجراء، ص٣٠١- ٣٠٦. وأحمد عفيفي، نحو النّصّ، ص ص١٠٦- ١١٢.

(١٧) محمد خطّابي، **لسانيّات النّصّ مدخل إلى انسجام الخطاب**، المركز الثّقافيّ العربيّ، بيروت، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩١م ، ص٢٥.

(١٨) ينظر: محمد مفتاح، **ديناميّة النّصّ**، المركز الثّقافيّ العربيّ، بيروت، الدار البيضاء، ١٩٨٧م، ص١٦٣. وأحمد مختار عمر (ت١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م)، **علم الدلالة**، عالم الكتب، القاهرة، ط٥، ١٩٩٨م، ص ص٩٩-١٠١.

التّعْريف والتّنْكير: إذا وردتْ في النَّصِّ عناصرُ ذاتُ محتوًى مفهوميٍّ مقصودٍ سهْلِ الاستحْضار اعتمادًا على مساحة المتلقّي المعلوماتيّة في نطاقٍ نصّيٍّ دلاليّ، وفي سياقِ الموقفِ النّصّيّ، فهذا هو التّعريف. أمّا التّنكيرُ فيتعلّق بتلك العناصر التي تتطلّب تنْشيطَ مساحاتٍ معلوماتيّةٍ أخرى(١٩). وهاتان الظّاهرتان تسهمان في التّرابط النّصّيّ لصلتهما بالمستوى اللّفظيّ مع توظيف ما في ذهن المتلقّي من معلوماتٍ سابقة، فيكون الرّبطُ بين المستوى النّصّيّ وأطراف التّواصل والسّياق الاجتماعيّ.

النّصّ والسّياق

ألقى الخليفةُ عمرُ بن عبدالعزيز خطبته عَقِبَ انتهاء إجراءات دفْن سَلَفه سليمانَ بن عبدالملك، ليلاً، بعد صلاة مغرب يوم الجمعة من شهر صفر، في العام التّاسع والتّسعين من الهجرة النّبويّة الشّريفة، مِنْ على منبر مسجد قرية (دابق) قُرْب ثغور بلاد الشّام، وقد كانوا مُعسكِرينَ فيها في طريقهم لفتح القسطنطينيّة(٢٠).

فقد اشتدّ بسليمانَ المرضُ فعهد بالخلافة إلى عمرَ بن عبدالعزيز الذي كان زاهدًا فيها راغبًا عنها ولم يرضَها إلّا بالشّورى وقبول النّاس، ومِن بعده يزيد بن عبدالملك، وذلك في كتابٍ مكتومٍ ممهورٍ بخاتمه، ثمّ أَمرَ الحاضرين أن يبايعوا مَنْ

(١٩) ينظر: دي بوجراند، النّصّ والخطاب والإجراء، ص٣١٠. علمًا أنّ هذا التّعريف خاصّ بمبحث التّرابط النّصّيّ، وإلّا فثمّة تعريفٌ أكثرُ أصالةً من هذا كما هو معروف.

(٢٠) ينظر: جلال الدّين عبدالرّحمن السيوطي (ت٩١١هـ/ ١٥٠٦م)، **تاريخ الخلفاء**، دار ابن حزم للطّباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م، ص١٨٣. ومحمد بن الحسين الآجرّيّ (ت٣٦٠هـ/ ٩٧١م)، **أخبار أبي حفص عمر بن عبدالعزيز رحمه الله وسيرته**، تحقيق: عبدالله عسيلان، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ط٢، ١٩٨٠م، ص٥٧. وأبو الفرج عبدالرحمن بن الجوزيّ (ت٥٩٧هـ/ ١٢٠١م)، **سيرة ومناقب عمر بن عبدالعزيز الخليفة الزّاهد**، ضبط وتعليق: نعيم زرزور، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ١٩٨٤م، ص ص٦١– ٦٣.

أُوْكِلَ إليه الأمرُ، المذكورَ في كتابه بدون التّصريح باسمه؛ لأنّ المعارضين من الأمراء لا يريدون أنْ يَخرج الأمرُ من أبناء عبدالملك، فتحدث الفتنة، ولولا إعقابُ الأمر ليزيدَ بعدَ عمرَ ما بايعوا عمر[٢١]، ثمّ ألقى الخليفةُ الجديدُ خُطبته (خِطابَه)، وهذا نصُّه:

(١) "حَمِدَ اللهَ وأثنى عليه، وصلّى على النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وقال:

(٢) أُوْصِيكُمْ بِتقوى الله؛ فإنَّ تقوى اللهِ خَلَفُ كُلِّ شيء، وليس مِن تقوى اللهِ عزَّ وجَلَّ خَلف.

(٣) واعْمَلُوا لِآخرتِكم؛ فإنّه مَن عَمِلَ لآخرته كَفاهُ اللهُ تبارك وتعالى أمْرَ دُنياه.

(٤) وأَصْلِحُوا سرائرَكم يُصْلِحِ اللهُ الكريمُ علانيَتكم.

(٥) وأكثِروا ذِكْرَ الموت، وأَحْسِنُوا الاستعدادَ قبلَ أنْ يَنزِلَ بكم؛ فإنَّهُ هادمُ اللّذّات. وإنَّ مَن لا يَذْكُرُ مِن آبائِه -فيما بينَه وبين آدمَ عليه السّلامُ- أبًا حيًّا لَمُعْرِقٌ له في الموت.

(٦) وإنّ هذه الأُمّةَ لم تختلفْ في ربِّها عزَّ وجلّ، ولا في نبيِّها صلّى اللهُ عليه وسلّم، ولا في كتابها، وإنّما اختلفوا في الدّينار والدّرهم. وإنّي واللهِ لا أُعْطي أحدًا باطلًا، ولا أَمنعُ أحدًا حقًّا.

ثمّ رفعَ صوتَه حتّى أَسْمَعَ النّاس فقال:

(٧) يا أيُّها النّاس! مَن أطاعَ اللهَ فقد وَجَبَتْ طاعتُه، ومَن عصى الله فلا طاعةَ له. أطيعوني ما أطعتُ اللهَ عزَّ وجلّ، فإذا عصيتُ اللهَ فلا طاعةَ لي عليكم"[٢٢].

---

(٢١) ينظر عبدالله بن عبدالحكم (ت٢١٤هـ/ ٨٢٩م)، **سيرة عمر بن عبدالعزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه**، تصحيح وتعليق: أحمد عبيد، عالم الكتب، بيروت، ط٦، ١٩٨٤م، ص ص٣٣-٣٥.

(٢٢) الآجُرِّيّ، أخبار أبي حفص، ص٥٥. وهي مذكورةٌ أيضًا في: أبو القاسم إسماعيل بن محمد الأصبهانيّ (ت٥٣٥هـ/ ١١٤١م)، **سير السّلف الصّالحين**، ٤ج، تحقيق: كرم بن حلمي، دار الرّاية للنّشر والتّوزيع، الرّياض، ط١، ١٩٩٩م، ج١، ص٨٥٤. وابن الجوزيّ، سيرة ومناقب عمر بن عبدالعزيز، ص٦٥، وغيرهما.

شَرَعَ عمرُ بـــ(الخُطبة) وسيلةً أولى في ممارسته سلطته، وذلك أنّ الخطابة والسلطة ارتبطتا معًا منذ القدم، فالخطابةُ مهارةً يلزم أيَّ سيّدٍ أو سلطانٍ أو خليفةٍ أو مَلكٍ أو رئيسٍ إتقانُها، فبها يفرض كلُّ أولئك سلطاتهم، وقد أَلِفَ النّاسُ ذلك فصار انقيادُهم للخطيب سائغًا لأنّ فنَّ الخطابة أكثرُ الوسائل تأثيرًا في نفوس الجماهير(٢٣).

وموضوعُ خُطبةِ عمرَ موضوعٌ سياسيٌّ (مقوّماتُ مشروع الخلافة) لا وعظيّ، وإنْ بَدَتْ في ظاهرها مجردَ مقولاتٍ دينيّةٍ وعظيّة، وذلك لأنها خطبةُ بيعةٍ لا خطبةُ جُمُعة، فالموقفُ موقفُ سياسةٍ وسلطةٍ وحُكم. لكنّه لم يُؤسِّسْ فيها لسُلطةٍ تقليديّةٍ احترافيّةٍ لتثبيت المُلْك وإخضاع الجماهير وإقصاء المعارضين(٢٤)، بل أَسّس لمبادئَ عقديةٍ تربويّةٍ يُعوَّل عليها في إصلاح الفرد الذي يقوم عليه إصلاحُ المجتمع في المجالات كافّةً؛ فرؤيتُه رؤيةٌ سياسيّةٌ لكنْ بمرجعيّةٍ شرعيّة.

ولعله يمكن القول: إنّ المدخل الأنسب لقراءة النّصّ أنْ يُقْرَأَ بين ثنائيّتَي: السّياسة الشّرعيّة وسياسة الاحتراف البشريّ التّقليديّة. وقد اشتملتْ خطبته على سبعِ بنياتٍ نصّيّة:

بَدَأَ أولاها(٢٥) بحمد الله والصّلاة على رسوله صلى الله عليه وسلّم، إيذانًا بأنّ سياسته القادمة ستَصدُرُ من هذين الأصلين الأصيلين، لا الْتزامًا بتقليدٍ فنّيٍّ متّبعٍ

(٢٣) ينظر: نورمان فيركِلف، **اللّغة والسّلطة**، ترجمة: محمّد عناني، المركز القوميّ للتّرجمة، القاهرة، العدد (٢٥٥٥)، ط١، ٢٠١٦م، ص٦٩.

(٢٤) ينظر: سالم القمودي، **سيكولوجيّة السّلطة**، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ١٩٩٩م، ص ص٢٠-٢٢.

(٢٥) ملاحظة: تُعدُّ هذه البنية (أي بنية الحمد والصلاة) البنيةَ الأولى في النّصّ، حتى إنْ غاب لفظُها، لأنّ الرّاويَ صَرّح بأنّ عمر "حمدَ الله..."؛ فهي جزءٌ من الخطبة رغم غياب لفظها المعجميّ والتّركيبيّ. لا سيّما أنّ بدْء الخطبة بالحمد من السّمات الفنّيّة الأساسيّة لفن الخطابة الإسلاميّة.

حسبُ؛ فبَيْنَ فاتحةِ النّصِّ أو استهلاله وبين النّصِّ علاقةُ تفاعل، وهي توجِّه قراءةَ النص صوبَ مرجعيةٍ فكريةٍ محدَّدة، فليستْ مدخلاً شكليًّا فقط، إذ يظلُّ القارئُ يَسْتحضرُها من حيث مضمونُها ومرجعيتُها الفكرية التي تحيل إليها(٢٦)؛ فـ"حُسْن الافتتاح داعيةُ الانشراح ومطيّةُ النّجاح"(٢٧).

ثمّ شَرَعَ يُؤسّس مقوّماتِ مشروعِ سياسته الإجرائية، في البنية الثّانية التي بدأها بـ(أوصيكم) رغمَ أنّه وليُّ الأمر مَن يأمر فيطاع، فقد يُتَوقَّعُ أن يقول (آمُرُكم) أو (عليكم) أو ما شابه ذينك التعبيرين المعبِّرين عن علاقةٍ سلطوية تسلّطيّة. ولعلّ هذا ينبئ بإدراكه الفرقَ بين سياسة إخضاع المجتمع وسياسة قيادة المجتمع(٢٨)، فقد أظهر نفسَه موصيًا مرشدًا لا سلطانًا، لأنّ لفظ (أوصيكم) يحيل إلى أجواء الوصيّة والرّحمة وإرادة الخير، وإلى مبدأ "دُعاةٌ لا جُباة" الرّاسخِ في السّياسةِ الشّرعيّة الإسلاميّة(٢٩).

جاءت هذه الوصيّةُ بـ(تقوى الله) مباشرةً بعد (حمْد الله) الذي يُذكّر المتلقّيَ بنعم الله، فناسب أن يُوصي بعدها بتقوى الله المُنْعِم، وهو ما يؤكّد أن بدْأه بحمد الله مقصودٌ مؤسِّسٌ، ويؤشّر على ترابط البنيتين دلاليًّا.

---

(٢٦) ينظر: عبدالفتاح الحجمريّ، **عتبات النّصّ: البنية والدّلالة**، شركة الرّابطة، الدّار البيضاء، ط١، ١٩٩٦م، ص ص١٦-١٧.

(٢٧) أبو علي الحسن بن رشيق القيروانيّ (ت٤٥٦هـ/ ١٠٦٤م)، **العمدة في محاسن الشّعر وآدابه**، ٢ج، تحقيق: محمّد عطا، دار الكتب العلميّة، بيروت، ج١، ص٢٢٤.

(٢٨) ينظر هذا الموضوع في: جان جاك روسو، **في العقد الاجتماعي**، ترجمة: عبدالعزيز لبيب، المنظّمة العربيّة للتّرجمة، بيروت، ط١، ٢٠١١م، ص ص٩٠-٩١.

(٢٩) ينظر: أحمد بن عبدالحليم، ابن تيمية (ت٧٢٨هـ/ ١٣٢٨م)، **السّياسة الشّرعيّة في إصلاح الرّاعي والرّعيّة**، تحقيق: علي العمران، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٩هـ، ص٣١.

ثمّ أرشد في البنية الثّالثة إلى (العمل للآخرة) بقوله: "واعملوا لآخرتكم". ولأنّ مخاوف الدّنيا تُشغل الفردَ عن العمل للآخرة طمأنه بحتميّة كفالة اللهِ الذي بدأ خطبته بحمده فقال: "فإنّه مَن عمل لآخرته كفاه الله تبارك وتعالى أمر دنياه"؛ وهو ما يجعل هذه البنية مرتبطة بما قبلها –وقد كانت عن تقوى (الله)– وبالبنية الأولى أيضًا.

وأرشد في البنية الرّابعة المجتمعَ بقوله: "وأصلِحوا سرائركم يُصلحِ اللهُ الكريم علانيتكم"، وإصلاحُ العلانية هو ما يأمله الجمهورُ ممّن يسوسهم ويتولى أمرهم. وفي هذه البنية أيضًا يردّ الأمر إلى (الله) الذي افتتح الخطبة بحمده وكان حاضرًا في البنى التّالية كلِّها، فهو بمنزلة الخيط الذي يربط بنى النص كلّها.

والموتُ وما يتلوه من أكثر المخاوف التي تجزع لها نفسُ الإنسان، والتّذكيرُ به بل والإكثارُ من ذلك يحث على ضبط سلوك الفرد وردعه عن عمل السيئات. لذا، فعمرُ الذي أوصى قبلُ بتقوى الله والعمل للآخرة وإصلاح السّريرة، يتحدّث الآن في البنية الخامسة عن أشدّ الوسائل تأثيرًا في تربية الفرد: "وأكثِروا ذِكْرَ الموت...".

وفي هذه البنيات الخمس:

– أسّس عمرُ لمبادئ تربويّةٍ تبني الفردَ الصّالحَ الذي توقظه صحوةُ الضمير، وفق منهجِ التّربية الإسلاميِّ الذي يُعوّل عليها أساسًا في الإصلاح الشّامل، لا على الإجراءات الإداريّة الاحترافيّة البشريّة التي طالما عوّلتْ عليها وتعوّلُ السّلطاتُ الزمنية التّقليديّة وتؤسّس لها في خطاباتها[٣٠] لكنّها لم تنجح في مبتغاها لأنّها

(٣٠) فلم يتحدّث مثلًا عن الضّرائب والخراج والمكوس والجيش والشّرطة، ولم يَعِد المؤيّدين أو يهدّد المعارضين...إلخ.

أهملتْ بناء ضمير الإنسان المتّقي الذي يراقب ذاته بذاته فينضبط حتّى لو "تعطّلت الكاميرات"[٣١].

– وأحال الأذهان إلى عهد الإسلام الأوّل، عهدِ النّبيّ صلى الله عليه وسلم وخلفائه الرّاشدين رضي الله عنهم، فمقولاتُ خطابه طالما قيلت ورُدِّدَتْ وشاعت في ذلك العهد حتى صارت وسمًا عليه. ولعلّ السّؤال الذي يتوق إلى إجابته متلقّو هذا الخطاب: ما موقف خليفتنا الجديد من التّغييرات الحادثة بعد ذلك العهد؟! فجاءت البنية السّادسة تنبئ عن فطنته لما يشغل بال جمهوره: "وإنّ هذه الأُمّةَ لم تختلفْ في ربِّها عزَّ وجلّ، ولا في نبيِّها صلّى اللهُ عليه وسلّم، ولا في كتابها، وإنّما اختلفوا في الدّينار والدّرهم"؛ فثمّةَ تحاورٌ خفيٌّ نشطٌ بينه وبين الجمهور الذين تتوق نفوسهم إلى العهد العمريّ الجديد، فالموقفُ الآن موقفٌ سياسيّ، وأهمُّ ما تبغيه السّياسةُ وترنو إليه هو تحسينُ مصير الإنسان ومآله وأحواله وحاضره ومستقبله[٣٢]، فهم يعرفون عمرَ وحسْن سيرته التّقيّة[٣٣]، فجاء خطابُه مصيبًا ما يتزاحم في نفوسهم.

---

(٣١) وهذا ليس كلامًا إنشائيًّا أو مدحًا للخليفة، بل هي الحقيقة التي أدركتْها كثيرٌ من الدّول والنّظم السّياسيّة. ينظر: محمد سعيد رمضان البوطي (ت١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م)، **تجربة التّربية الإسلاميّة في ميزان البحث**، المكتبة الأمويّة، دمشق، ص ص٣٧-٤١؛ وانتهى إلى أنّ "العاصم الوحيد الذي يمكنه أن يحجز الإنسان من الانحراف إلى الطّغيان الخلقيّ إنّما هو أن تقوم مَحْكَمةٌ تامّةٌ برئيسها وأعضائها وشرطتها في داخل الفؤاد".

(٣٢) ينظر: برهان زريق، **السّلطة السّياسيّة ومسألة الحكم الصّالح "الرّشيد"**، وزارة الإعلام السّوريّة، ط١، ٢٠١٦م، ص٢٠.

(٣٣) ينظر: ابن الجوزيّ، سيرة ومناقب عمر، ص ص٨٧-٨٩.

وفي هذه البنية تحديدًا كان أوّلُ ظهورٍ لعمر بصفته حاكمًا سلطانًا وليَّ أمْر: "وإنّي والله لا أعطي أحدًا باطلًا، ولا أمنع أحدًا حقًّا" بعد حديثه عن المبادئ السّابقة؛ وهو ظهورٌ يُشعر أنّه يرى نفسه محكومًا هو الآخر لا حاكمًا فقط، وأنّ سلطته غيرُ مطلقة بل تابعة لشرع الله. ولأنّ الأمر المطروح في هذه البنية هو المالُ قوامُ الحياة وأهمُّ أدوات الحكم والسّلطة(٣٤)، كانت الصّرامةُ في هذا الموضع صارمةً في لغته، مقرِّرًا أنّ سياسته في الإنفاق ستكون وفق الحق والعدل والقسطاس المستقيم(٣٥).

وبسلوك الفرد وفق المبادئ السّابقة تنضج تجربتُه الإيمانيّة، فيتهيّأ لتحقيق مبدأ الحاكميّة لله الذي ختم به عمرُ خطابه في البنية السّابعة بمناداة (النّاس) ليلفت انتباههم لتلقي كلام يضبط مسير علاقة الناس بوليّ أمرهم: "يا أيُّها النّاس! مَن أطاعَ اللهَ فقد وَجَبَتْ طاعتُه، ومَن عصى الله فلا طاعةَ له. أطيعوني ما أطعتُ اللهَ عزَّ وجلّ، فإذا عصيتُ اللهَ فلا طاعةَ لي عليكم". وقد أظهر عمرُ (الحاكمُ) للنّاس (المحكومين) في هذه البنية أنه (محكومٌ) هو أيضًا في قوله: "أطيعوني ما أطعت الله..." ترسيخًا للمبدأ الشّرعيّ الذي يمثّل نقطة الارتكاز في خطابه أو بؤرة النص؛ وهو مبدأ الحاكميّة لله، وعمرُ نفسه الحاكمُ هو الملتزم الأوّل به.

التّرابط النصيّ في خطبة بيعة عمر

إنّ الكشف عن أدوات التّرابطِ النّصّيّ التي تجعل النّصّ متماسكًا، ينطلق من كون النّصّ بنيةً كلّيّةً دلاليّة موحّدةً(٣٦). وفيما يأتي كشفٌ عن أهمّ أدوات التّرابط التي وُظِّفَتْ في خطبة عمر:

(٣٤) ينظر: سالم القمودي، سيكولوجيّة السّلطة، ص٤٠.

(٣٥) للتّفاصيل: بشير عابدين، **السّياسة الاقتصاديّة والماليّة للخليفة الرّاشد عمر بن عبدالعزيز**، دار المأمون، عمّان، ٢٠٠٦م، ص٨٩ وما بعدها.

(٣٦) ينظر: أحمد عفيفي، نحو النّصّ، ص ص٩٧-٩٨.

١- **الإحالة:** جاءت العناصر الإحاليّة في النّصّ المدروس على النّحو الآتي:

أ. الإحالة بالضّمير

وكانت أشيعَ أدوات التّرابط في الخطبة، وبما أنّها -الخطبة- بُنِيَت على فكرةٍ محوريّةٍ هي عواملُ قيامِ مشروعِ الخلافة الذي يستهدف الفرد والمجتمع، بِبِنْيَاتٍ نصِّيّةٍ مترابطةٍ تضمّنت الخطواتِ العمليّة لتحقيق ذلك الهدف، فقد أُحْكِمَ هذا التّرابطُ بالضّمائرِ التي أحالتْ إلى قطبَيْ مشروعِ الخلافةِ: الفرد والمجتمع: فقد انتظم الخطبةَ الضّميرُ المتّصلُ الدّالّ على الجمع: (واوُ الجماعة) و(كم)، المعبّرُ عن مجموع أفراد الأمّة، وإنْ وُجِّهَ ظاهريًّا للمستمعين، سائرًا مع النّصّ رابطًا بنياتِه. الأمرُ الذي جعله بؤرةً مركزيّةً أساسيّةً في ترابطه، موجّهةً للخطاب، فَيُحالُ الذّهنُ إليها نظرًا لتكثيف حضورها.

ففي بيان عمرَ معالمَ مشروعه يقول: ("أوصيكم بتقوى الله..." في البنية الثّانية، و"اعملوا لآخرتكم" في الثّالثة، و"أصلحوا سرائركم يُصلحِ الله الكريمُ علانيتكم" في الرّابعة، و"أكثروا ذكر الموت وأحسِنوا الاستعداد قبل أن ينزل بكم" في الخامسة، و"إنّما اختلَفوا في الدّينار والدّرهم" في السّادسة، و"أطيعوني ما أطعتُ الله عزّ وجلّ، فإذا عصيتُ الله فلا طاعة لي عليكم" في السّابعة)؛ فيُلْحَظُ أنّ ضمير الجمع هذا جاء على صورتين:

- الأولى (كم) ستّ مرّات، متّصلًا بالاسم والفعل والحرف، فقد اتّصل بالفعل المضارع (أوصيكم)، وبالأسماء (آخرتكم وسرائركم وعلانيتكم)، وبالحروف (بكم وعليكم).

- والثّانية (واو الجماعة) خمس مرّات، متّصلًا بفعل أمرٍ أربع مرّات، ومتّصلًا بفعلٍ ماضٍ مرّة واحدة، فقد اتّصل بأفعال الأمر (اعملوا وأصلحوا وأكثروا وأحسنوا وأطيعوني)، وبالفعل الماضي (اختلفوا).

أي أنّ ضميرَ الجمعِ (الواو وكم) المُحيلَ إلى الجماعة -إحالةً مقاميّة- التي يحكمها عمر ويستهدفها في مشروعه، جاء في النّصّ عمومًا مقترنًا بالوصيّة والآخرةِ والسّرائر والعلانية والعمل والإصلاح والإكثار والإحسان والطّاعة؛ كلُّ ذلك مع الأفعال المضارعة وأفعال الأمر، وهو ما يدلّ على أنّ هذه الأحوال مرجوٌّ حصولُها في الحاضر والمستقبل، أمّا ما يهدّد نجاح هذا المشروع -وهو الاختلاف- فقد جاء فعلًا ماضيًا (اختلَفوا) اقترن به ضمير الجمع الواو، أي أنّه مضى وانتهى فلا ينبغي وجوده في المرحلة القادمة.

وفي البنية السّادسة أربعُ ضمائرَ مفردة لفظًا تعود على (الأمّةِ) -إحالةً قبليّةً ذاتَ مدًى قريب- اسمِ الجنس الجمعيّ، وهي: الضّمير المستتر (هي) بعد الفعل (تختلف)، والـ(ها) في الكلمات (ربّها ونبيّها وكتابها)؛ في قوله: "وإنّ هذه الأمّة لم تختلفْ (هي) في ربّها عزّ وجلّ، ولا في نبيّها صلّى الله عليه وسلّم، ولا في كتابها". فهي -وإنْ كانت مفردةً لفظًا- تحيل إلى مجموع، وكلٌّ منها يحيل إلى الآخر.

أمّا الضّميرُ المُفردُ المحيلُ إلى القطبِ الثّاني المستهدفِ (الإنسان الفرد)، فقدْ بدأ به مُستترًا في قوله "أُوْصِي (أنا) كم" أوّلَ البنية الثّانية التي تضمّنتْ أولَ عمليّةٍ إجرائيّةٍ في مشروعه، مُسنَدًا إلى الفعل المضارع (أوصي) -إحالةً مقاميّة- فعمرُ فردٌ من الأفراد المستهدفين المشمولين بهذا المشروع، وليس عجبًا ولا مصادفةً أن تكون البدايةُ به؛ التي أحال إليها هذا الضّميرُ المستتر، فهو مُوْصًى أيضًا وإن كان المُوْصِي، فقد جعل نفسَه محكومًا في قوله "أطيعوني ما أطعت الله عزّ وجلّ، فإذا عصيتُ الله فلا طاعة لي عليكم"، وقد تتابعت الإحالة الضّميريّة إلى الفرد في بنى النّصّ التّالية:

- تضمّنتِ البنية الثّالثة: "...مَن عَمِلَ (هو) لآخرتِه كَفاهُ اللهُ تبارك وتعالى أمْرَ دُنياه" أربعةَ ضمائر -إحالةً قبليّةً- جاء أوّلُها مستترًا عائدًا على اسم الموصول

(مَنْ) مُسندًا إلى فعلٍ ماض، والثّلاثة الأخرى متّصلةٌ باسمين وفعلٍ ماضٍ، عائدةٌ على اسم الموصول ذاته الذي يحيل على الفرد الإنسان، وكلٌّ منها يحيل إلى الآخر قبله متعلِّقًا به.

– ثمّ تضمّنتِ البنيةُ الخامسةُ: "...وإنّ من لا يذكر (هو) من آبائه –فيما بينه وبين آدم عليه السّلام– أبًا حيًّا لَمُعرِقٌ له في الموت"، أربعةَ ضمائر –إحالةً قبليّةً ذات مدًى قريب– أحدُها مستترٌ مسندٌ إلى فعل مضارع (يذكر)، والثّلاثة الأخرى متّصلة باسمٍ وظرفٍ وحرفِ جرّ، والأربعةُ تعود على اسم الموصول (مَنْ) أيضًا كما في البنيةِ الثّالثة.

– وقد تضمّنتِ البنيةُ السّادسةُ: "وإنّي والله لا أعطي (أنا) أحدًا باطلًا، ولا أمنع (أنا) أحدًا حقًّا" ثلاثة ضمائر –إحالةً مقاميّة– أحدها متّصلٌ بحرف التّوكيد (إنّ)، والآخران مستتران مسندان لفعلين مضارعين مسبوقين بأداة النّفي (لا).

– وقد تضمّنت البنية الأخيرة: "...مَن أطاعَ (هو) اللهَ فقد وَجَبَتْ طاعتُه، ومَن عصى (هو) الله فلا طاعةَ له. أطيعوني ما أطعتُ اللهَ عزَّ وجلّ، فإذا عصيتُ اللهَ فلا طاعةَ لي عليكم"، ثمانية ضمائر، اثنان مستتران مسندان لفعلين ماضيين، وستّةٌ متّصلة باسمٍ وحرفَي جرٍّ وفعلِ أمر وفعليْنِ ماضيين؛ والأربعةُ الأولى تعود على اسمِ الشّرطِ (مَن) المحيل إلى الإنسان الفرد عمومًا –إحالةً قبليّة ذات مدًى قريب– والأربعة الثّانية تعودُ على عمرَ نفسِه –إحالةً مقاميّة–. ويُلحظُ أنّ الحضور المكثّف للضمير المفرد المحيل إلى عمر المتكلّم قد حضر هنا في البنية الأخيرة في النّصّ بعد حضور الفرد والجماعة عمومًا في البنيات السّابقة؛ وهو ما يدلّ بوضوح على أنّ عمر يعدّ نفسه رجلًا من المسلمين كما صرّح هو بذلك قبيل إلقائه هذه الخطبة.

وهكذا، يكونُ الضّميرُ المحيلُ إلى الجماعة قد استُعمِل في النّصّ اثنتي عشرة مرّة، وإنْ أضفتَ الضّمائر المحيلة إلى لفظِ (الأمّة) المفردِ لفظًا المجموعِ معنًى،

في البنية السّادسة، فإنّ العدد يصبح ستة عشر. ويكون الضّميرُ المحيل إلى الفرد استُعْمِلَ عشرين مرّة: ثمانية تعود على المتكلِّمِ عمرَ نفسه، واثنا عشر تعود على الفرد عمومًا.

وعليه، فإنّ هذين الضّميرين الأكثرينِ استعمالًا في النّصّ (المفرد والجمع) قد مثّلَا عنصرَي ربطٍ وإحالة متوازيينِ في بنى النّصّ، ورَبَطَا المتلقّيَ بالفكرة المحوريّة في النّصّ، وهي أنّ إصلاح الأمّة يقوم على أمرينِ معًا: إصلاحُ الإنسانِ الفردِ نفسَه وإصلاحُ المجتمع عامّةً، ولا سيّما أنّه بدأ بـ(أنا) في قوله "أوصيكم" وانتهى بـ(كم) في قوله "عليكم"، فالنّصّ بدأ بالمفرد وانتهى إلى الجماعة.

ب. الإحالة باسم الموصول واسم الإشارة

مِن وسائلِ التّرابط الإحاليّة في خطبة عمر، أقلَّ من الضّمائر، اسمُ الموصول واسمُ الإشارة، اللّذان عزّزا التّماسك النّصّيّ:

فقد استُعْمِلَ الاسمُ الموصولُ ثلاثَ مرّاتٍ: المرّةِ الأولى في قول عمر: "واعملوا لآخرتكم، فإنّه مَنْ عمل لآخرته كفاه الله تبارك وتعالى أمرَ دنياه" في البنية الثّالثة. والمرتين الثّانية والثّالثة في قوله: "...وإنّ مَنْ لا يذكرُ مِن آبائه –فيما بينه وبين آدم عليه السّلام– أبًا حيًّا لمُعرقٌ له في الموت" في البنية النّصّيّة الخامسة. ومن المعلوم أنّ الاسمَينِ الموصولينِ (مَنْ) و(ما) بأصل وضعهما مشتركان غيرُ مختصّينِ بمعيَّن، فهما يصلحان للمفرد المذكّر والمؤنّث، وللمثنّى والجمع، ولذا فإنّ استعمالَهما مناسب تمامًا مع فكرةِ النّصّ الأساسيّةِ استهدافِ الإنسانِ الفردِ والمجتمع بمشروع الخلافة لكونهما يشملان عموم المخاطَبينَ ذكورًا وإناثًا وأفرادًا وجماعات.

ففي قوله "مَن عمل لآخرته كفاه الله تبارك وتعالى أمر دنياه"، جاء اسمُ الموصول (مَنْ) بمعنى (الذي) دالًّا –لفظيًّا ظاهريًّا– على المفرد المذكّر لقرينة

الضّمير المستتر (هو) ضمير الفاعل للفعل (عملَ)، محيلًا إلى الإنسانِ الفردِ عمومًا؛ أيْ إلى نقطة البداية في مشروع الخلافة كما تدلّ على ذلك الدّلالةُ الكلّيّةُ للنّصّ، وقد توالتْ بعده أربعُ ضمائرَ تحيلُ إليه، وهو بدوره يحيل إلى ما يحيل إليه؛ الأمرُ الذي يسهمُ في جعل الخطاب محكومًا بعقال من الرّبط بين العناصر اللّغويّة والبؤرة المركزيّة في النّصّ فيبقى ذهنُ المتلقّي موجَّهًا نحوَ هذه البؤرة لا يحيد عنها. وقد أدّى هذا الموصولُ أيضًا معنى الشّرط احتمالًا ثانيًا، فلا يخفى أنّ (مَنْ) هنا تصلح اسمًا للشّرط، ويكون (عملَ) فعلَ الشّرط، و(كفاه) جوابَ الشّرط، وفي الاحتمالين كليهما تحيل إلى الفرد عمومًا كما هو واضح[٣٧].

وفي قوله "...وإنّ مَنْ لا يذكرُ مِن آبائه -فيما بينه وبين آدم عليه السّلام- أبًا حيًّا لمُعرقٌ له في الموت"، جاءتْ (مَن) اسمًا موصولًا أيضًا بمعنى (الذي) محيلةً إلى (المفرد المذكّر) الإنسان الفرد عمومًا لقرينة الضّمير المستتر (هو) ضمير الفاعل للفعل (يذكر) في جملة صلتها، متبوعةً بأربعة ضمائر أيضًا تحيل إليها، وهي بدورها تحيل إلى المحال إليه ذاته الذي أحال إليه اسم الموصول (مَن) قبلُ، ثمَّ إلى الفكرة المركزيّة ذاتها. وجاءتْ (ما) في الجملة المعترضة اسمًا موصولًا محيلًا إلى غيرِ عاقلٍ لعلّ تقديره يكون (الزّمن)، أي: المدّة الزّمنيّة التي بين هذا الإنسانِ الفردِ وبينَ أبي البشريّة كلّها آدمَ عليه السّلام؛ وهي إحالةٌ إلى ماضٍ سحيقٍ من تاريخ البشريّة يتراءى للمتلقّي فيها تلكَ الأممُ العديدةُ التي حُتِمَ عليها بالموتِ الفكرةِ التي يتحدّث عنها عمرُ في هذه البنية النّصّيّة.

(٣٧) فبعدِّ (مَنْ) اسمَ شرطٍ تنتج في العبارة (بين جملة الشّرط وجملة جوابه) علاقةُ وصلٍ سببيّ أو اقتران سببيّ؛ فالعمل للآخرة سببٌ في كفاية الله تعالى أمر الدّنيا، ولا سيّما أنّ الجوابَ (كفاه) بمعنى المستقبل (يكفيه).

أمّا عن اسم الإشارة، فلم يُستَعمَلْ في النّصّ إلّا مرّةً واحدةً في قوله: "...وإنّ هذه الأمّة لم تختلفْ في ربّها..."، في البنية السّادسة. وأسماءُ الإشارةِ تُستعملُ لتعيين ما تُشير إليه بقيدٍ معيَّن (كالجنس والعدد) مقرونةً بإشارةٍ حسّيّة[٣٨]. وإنّ للإشارة أركانًا بتوافرها تتحقّق، وذلك لكونها معنًى لغويًّا لا يقوم بذاته منفردًا: المشير (المتكلِّم)، والمشار إليه، والمشار له (المخاطَب)، والمشار به (لفظ الإشارة)، وعمل الإشارة (المعنى الحاصل).

وعادةً ما تُحيلُ أسماءُ الإشارة إلى داخل النّصّ، فتنقلُ معنًى سابقًا لمعنًى لاحقٍ وتكون بدائلَ عن ألفاظ أو جمل في النّصّ، وهذا يدلّ على دورها المهمّ في الرّبط النّصّيّ.

وفي خطبة عمر، فإنّ اسم الإشارة المفرد المؤنّث (هذه) المستعمل في: "وإنّ هذه الأمّة لم تختلف في ربّها عزّ وجلّ..."؛ أحال إحالةً بعديّةً ذاتَ مدًى قريبٍ إلى كلمة (الأمّة) المفردة المؤنّثة بعده مباشرة، في البنية السّادسة قبل الأخيرة، وذلك بعد أنْ أسّس عمرُ لإجراءات مشروعه الإصلاحي الذي استهدف به الفرد والجماعة؛ فناسب منطقيًّا أن يُعرّج صراحةً على (هذه الأمّة) التي يحكمها الآن، فأحال باسم الإشارة (هذه) أذهانَ متلقّيه إلى الأمّة الإسلاميّة، فنقلهم ممّا كانوا منشغلين بتلقّيه (الإجراءات الإصلاحيّة السّابقة) إلى النّظر والتّفكّر في واقع هذه الأمّة التي بدأتْ في العهد النّبويّ والرّاشديّ على منهج الإسلام الرّبّانيّ، ثمّ اختلفتْ جماعاتها السّياسيّة في الدّينار والدّرهم وإن تستّرت بدعاوى أو شعارات غيرِ ذينك، وآن أن نعود إلى الأصول (ربّها ونبيّها وكتابها).

(٣٨) ينظر: جمال الدين عثمان بن عمر، ابن الحاجب (ت٦٤٦هـ/ ١٢٤٩م)، **الكافية في علم النّحو والشّافية في علمي التّصريف والخطّ**، تحقيق: صالح عبدالعظيم الشّاعر، مكتبة الآداب، القاهرة، د.ت، ص٣٤.

ولعلّه بهذا يبرز دور اسم الإشارة المستعمل هنا في الإحالة والرّبط؛ فلم يُحل اسم الإشارة هنا لشيءٍ مذكورٍ في النّصّ سابقٍ عُهِدَ بذكره لدى السّامع فألفه بحيث لو أعيد ذكره لا يلفت انتباهه، بل أحال لشيءٍ بعده جديدٍ فيكون بذلك له دورٌ تأسيسيٌّ في النّصّ، ولا سيّما بملاحظة التّتابع الضّميريّ البعديّ المتطابق مع اسم الإشارة (هذه): "وإنّ هذه الأمّة لم تختلف (هي) في ربّها عزّ وجلّ، ولا في نبيّها صلّى الله عليه وسلّم، ولا في كتابها، ..."؛ وهي إحالةٌ مكثّفةٌ لذهن المتلقّي بالاعتماد على اسم الإشارة وما ناسبه من ضمائر بعده إلى الفكرة المحوريّة الأساسيّة في هذه البنية؛ وهو واقع الأمّة المستهدفة بمشروع الخلافة؛ كيف بدأت وبم اختلفت وما سبيل تصحيح المسير.

٢. الاستبدال:

مِن أبرز حالات الاستبدال في الخطبة العمريّة قوله في البنية الثّانية: "أوصيكم بتقوى الله"، حيث يمكنُ استبدالُ (أنْ تتّقوا الله) المصدرِ المؤوّل بـ(تقوى الله) اسمِ المصدر، وكلاهما في محلّ جرّ، وبذا يكونان متساويينِ في الوظيفة التّركيبيّة (وهو شرط عنصري الاستبدال)، والمصدرُ يدلّ على الحدثِ وزمنٍ مطلق، والفعلُ يدلُّ على الحدثِ ذاتِه بزمنٍ مقيّد، وبما أنّ عمر في هذه البنية يضع القاعدة الأولى الأساسيّة في مشروعه فقد استعملَ الـ(تقوى) مصدرًا للدّلالة على ذلك العمل القلبيّ (اتّقاء الله) بزمنٍ مطلقٍ غيرِ مقيّد بديلًا عن: الفعلِ المضارع (أن تتّقوا) الدّالِّ على الحدث ذاته (اتّقاء الله) المقيَّد بالزّمن الحاليّ المستمرّ، والأمرِ (اتَّقوا) المقيّد بالمستقبل. يريد للتّقوى أن تكون أساسًا قاعديًّا مطلقًا في الأزمنة كلِّها تنطلق منه وتعود إليه كلُّ الإجراءات التّالية التي أسّس لها في البنيات اللّاحقة[٣٩].

(٣٩) وهذا الرّبط بين الاستبدال والمعنى المراد يعدّ ترابطًا نصّيًّا، انطلاقًا من أنّ مفهوم النّصّ لا يقتصر على مجموعة الجمل المتوالية فقط، بل يشمل المضمون والدّلالة أيضًا. ينظر: دي بوجراند، النّصّ والخطاب والإجراء، ص٩٢. وهذا ينطبق على مبحث (الحذف) الآتي و(التّكرار) و(التّعريف والتّنكير) وغيره بشأن الأمثلة التي رُكِّزَ فيها على دور أدوات التّرابط في صناعة المعنى.

وهذا التّقعيد العامّ وَجّه سيرورة النّصّ، فما ذُكِرَ بعدُ من الإرشادات (العمل للآخرة وإصلاح السّرائر والاتعاظ بالموت) كلُّه يعين على تحقيق التّقوى وهو مترابطٌ معها في كونه وسائلَ تؤدّي إليها. وفي البنيات اللّاحقة استَعمل أفعال الأمر (اعملوا لآخرتكم وأصلِحوا سرائركم وأكثِروا ذكر الموت وأحسِنوا الاستعداد وأطيعوني) وليس أوصيكم بالعمل للآخرة وإصلاح سرائركم والإكثار من ذكر الموت وإحسان الاستعداد وطاعتي؛ فهو بهذا قد أراد التّقوى قاعدةً عامّةً يُنطلَقُ منها في سائر الإجراءات الأخرى التي قيّدها بالمستقبل إيذانًا بالتّغيير والبدء بتصحيح المسير في المستقبل الذي يهدف إليه من خلافته. ولعلّه بهذا يتّضح مدى التّرابط بين الاستبدال في النّصّ والفكرة المحوريّة فيه.

ومِن حالات الاستبدال قوله في البنية الخامسة: "وأحسِنوا الاستعداد قبل أن ينزل بكم، فإنّه هادمُ اللّذّات"، فقد استبدل بالمصدر الصريح (نُزولِه) المصدرَ المؤوّلَ (أن ينزل) وهو في محلّ جرّ مضاف إليه بعد ظرفِ الزّمان (قبل) المُلازِم للإضافة، واستبدل بالفعل المضارع (يهدم) اسمَ فاعله (هادم)، ولعلّ مردّ ذينك راجعٌ إلى أنّه يخاطبُ أحياءً مآلُهم في المستقبل صائرٌ إلى الموت فناسبَ الفعلُ المضارع (ينزل) مسبوقًا بـ(أنْ) التي تُخْلِصُه للمستقبل، واستعمل (هادم) اسمَ فاعلٍ بديلًا عن فعله المضارع (يهدم) ليعطي الموت وصفًا أزليًّا ثابتًا وهو ما لا يتيحه الفعلُ المضارعُ المقيَّدُ زمنُه.

٣. الحذف:

كان الحذفُ في خطبة عمر في ثمانية مواضع: أوّلها وثانيها في البنية الخامسة: "...فيما بينه وبين آدم عليه السّلام"، فالاسم الموصول (ما) جاء بعده الظّرفُ المنصوبُ (بينَ) مضافًا لضمير الهاء، والمنصوبُ لا بدَّ له من عاملٍ يجلب له

علامة النّصب[٤٠]، كما أنّه لا بدّ للموصول من جملةِ صلة، وقد قُدِّرَ في مثل هذه الحالات بـ(استقرَّ)[٤١]، وبهذا يكون للاسم الموصول (ما) جملةُ صلةٍ فعليّةٌ تقديرُها: فيما (استقرَّ) بينه وبين آدم عليه السّلام. أمّا الموضع الثّاني فهو أيضًا الفعلُ (استقرَّ) الذي يُقَدَّرُ بعد حرف العطف الواو في الجملة ذاتِها: فيما (استقرَّ) بينه و(استقرّ) بينَ آدم عليه السّلام.

أمّا ثالثُ مواضع الحذف ورابعُها وخامسُها فقد كانت في البنية السّادسة: "وإنّ هذه الأُمّةَ لم تختلفْ في ربِّها عزَّ وجلّ، ولا في نبيِّها صلّى اللهُ عليه وسلّم، ولا في كتابها، وإنّما اختلفوا في الدّينار والدّرهم"؛ على تقدير: وإنّ هذه الأمّة لم تختلف في ربّها عزّ وجلّ، و(لم تختلف) في نبيّها صلّى الله عليه وسلّم، و(لم تختلف) في كتابها، وإنّما اختلفوا في الدّينار و(اختلفوا في) الدّرهم. حيثُ إنّ ذكر عبارة (لم تختلف) أغنى عن إعادتها في موضعَي الحذف التاليين لها، وكذا الشّأن في ذكر عبارة (اختلفوا) بعدها؛ فقد أغنى ذكرُها عن إعادتها في موضع الحذف التّالي.

وقد تضمّنتِ البنيةُ الأخيرةُ سادسَ مواضع الحذف وسابعَها وثامنَها: ففي ندائه أوّلَها النّاسَ بقوله "يا أيّها النّاسُ" حذفٌ مقدَّرٌ تقديره: أدعو أو أنادي، فالنّداء "تنبيهُ المدعوّ ليُقبل عليك"[٤٢]، فهو أسلوبٌ تركيبيٌّ يَستعملُه في الخطاب التّواصليّ متكلِّمٌ منادٍ يطلب إقبال المخاطَب المنادى لإثارة اهتمامه.

---

(٤٠) ينظر: رياض بن حسن الخوّام، **نظريّة العامل في النّحو العربيّ تقعيد وتطبيق**، من منشورات مجمع اللّغة العربيّة على الشّبكة العالميّة، مكة المكرمة، ٢٠١٤م، ص ص١٥-١٧.

(٤١) أبو محمد عبدالله بن يوسف بن هشام الأنصاريّ (ت٧٦١هـ/ ١٣٦٠م)، **قطر النّدى وبلّ الصّدى**، تحقيق: محمّد محيي الدّين عبدالحميد، المكتبة العصريّة، بيروت، د.ت، ص١١٢.

(٤٢) ابن السّرّاج، الأصول في النّحو، ج١، ص٣٢٩.

وأمّا موضعَا الحذفِ الأخيران، ففي قوله "ومَن عصى الله فلا طاعة له"، و"فإذا عصيتُ الله فلا طاعة لي عليكم"؛ فخبرُ (لا) النّافية للجنس يُحذَفُ إذا كان معلومًا لدى طرفَي التّواصل المتكلِّمِ والمخاطَب، فيكون مقدَّرًا بـ(كائنٌ) أو (حاصلٌ)، وفي عبارتَي عمر عُلِمَ الخبرانِ فساغ حذفُهما لأنّ تقديرَهما حاضرٌ في الذّهن في إنتاج النّصّ وتلقّيه.

وعليه، يتّضح أنّ مواضع الحذف في الخطبة العمريّة كانت ذاتَ صلة بالتّراكيب؛ فقد طال الحذفُ عنصرًا أو أكثر من عناصر الجملة التّركيبيّة في المواضع كلِّها، وهذا النّوع من الحذف قائمٌ في ذهن صاحب النّصّ ابتداءً، والمتلقّي واعيه –لا بدَّ– ممّا توافر من القرائن النّصّيّة اللّفظيّة والمعنويّة الموجودة قبلًا وبعدًا، والمحذوفاتُ أسهمتْ في صناعة الرّبط والتّماسك والتّفسير بين أجزاء النّصّ لانتظام علائقها مع عناصر النّصّ السّابقة واللّاحقة.

٤. العطف:

تدور فكرةٌ مركزيّةٌ واحدةٌ (وهي مشروع الخلافة) في خطاب عمر، وهذا المشروع يقوم على ثنائيّتَي: الفرد والجماعة، وهذه الفكرة انتظمتْ صوبَها بنياتُ النّصّ كلُّها المتضمّنةُ الخطواتِ الإجرائيّةَ لقيام هذا المشروع، فكانت الجهةَ الجامعة بين المتعاطفات النّصّيّة، فبدا النّصّ متسلسلًا مترابطًا منطقيًّا نحو هدفِه المرجوّ؛ فبعد أن جعل تقوى الله الأساس المنطلق منه نحو تحقيق الهدف المسعيّ إليه، في البنية الثّانية، جَمَعَ بين عوامل قيام مشروعه الإصلاحي، فعطفَ أفعال الأمر:

– (أحسِنوا) و(أكثِروا) في قوله "وأكثِروا ذكر الموت وأحسنوا الاستعداد" في البنية الخامسة. وبين الفعلين المتماثلين تركيبيًّا من حيث كونهما فعلَي أمر

مسنديْنِ لواو الجماعة علاقةُ وصلٍ سببيّ؛ فالإكثارُ من ذكر الموت سببٌ من أسباب إحسان الاستعداد له من حيث كونه دافعًا نحو ذلك.

- و(أصلِحوا) في قوله "وأصلِحوا سرائركم" في البنية الرّابعة، و(اعملوا) في "واعملوا لآخرتكم" في البنية الثّالثة.
- و(اتّقوا) -تقديرًا- في البنية الثّانية.

جَمَعَ بينها تحت رابطٍ دلاليٍّ واحدٍ هو إصلاح الفرد والمجتمع الذي يتحقّق بهذه الإجراءات التي وجّه لها وجعلها -بالعطف- في بوتقةٍ واحدةٍ أسّسَتْ للتّناسب بينها فتُعُومِلَ معها على أنّها شيءٌ واحدٌ مشترك جُمِعَ بين أجزائه بحرفِ العطف الجامعِ الواوِ فتمّ الرّبط بينها بدرجةٍ من التّناسق والانسجام عالية؛ فيسهل على المستمع استقبالها ووعيُها فترسخ في ذهنه؛ "لأنّ انتظام النّصّ في بنيةٍ متسلسلةٍ تسلسلًا مؤتلفًا ومنطقيًّا يجعل من النّصّ المنجز نصًّا قياديًّا ومؤثّرًا وموجّهًا أكثر منه لو لم تكن كذلك"[٤٣]، فضلًا عن رابط السّببيّة بينها فكلٌّ منها يؤدّي إلى الآخر[٤٤].

كما تضمّنت البنية السّادسة: "وإنّ هذه الأُمّةَ لم تختلفْ في ربِّها عزَّ وجلّ، ولا في نبيِّها صلّى اللهُ عليه وسلّم، ولا في كتابها، وإنّما اختلفوا في الدّينار والدّرهم. وإنّي واللهِ لا أُعْطي أحدًا باطلًا، ولا أَمنعُ أحدًا حقًّا" عطفًا بالواو بين تراكيب متشابهة: (في ربّها) و(في نبيّها) و(في كتابها) في جامعٍ واحدٍ هو عدم الاختلاف على

(٤٣) عثمان أبو زنيد، نحو النّصّ، ص١١٣.

(٤٤) فلِلواو فوائدُ أخرى غير الجمع والمشاركة؛ يقول الجرجانيّ في دلائل الإعجاز (ج١، ص٢٢٤): "...فإنّا نرى أمرًا آخر نحصل معه على معنى الجمع، وذلك أنّا لا نقول: زيد قائم وعمرو قاعد، حتى يكون عمرو بسببٍ من زيد، وحتّى يكونا كالنّظيرين والشّريكين، وبحيث إذا عَرف السّامع حال الأوّل عناه أن يعرف حالَ الثّاني. يدلّك على ذلك أنك إن جئت فعطفت على الأول شيئًا ليس منه بسبب ولا هو مما يذكر بذكره ويتصل حديثه بحديثه لم يستقم...".

هذه الأصول المتّفق عليها، فساغ الرّبط بينها؛ حيثُ عَطْفُ أشباهِ جملٍ على نسق واحد (في + اسم مضاف لضمير الها). وكذلك أيضًا بين (الدّينار) و(الدّرهم) من حيث إنّ كليهما مختلَفٌ عليه، فقد جَمَعت الواو هنا بين صنفين من جنسٍ واحدٍ (المال) وهو حقٌ دلاليٌّ جامع بينهما، وكذا (لا أعطي) و(لا أمنع) في (إنّي)؛ حيث جمعت الواو بين حالتين متقابلتين من حالات تعامل الرّاعي مع الرّعيّة؛ فساغ التّعامل معهما على أنّهما مشتركان في هذا الأمر رغم تقابلهما بين حالة أصحاب الحقوق المستحقّين والطّامعين غير المستحقين طالبي ما ليس لهم.

٥. التّكرار:

حالات التّكرار الكلّيّ: جاءت أبرز حالات التّكرار الجزئيّ في النّصّ العمريّ على النّحو الآتي:

- **لفظ الجلالة (الله)**

إنّ أشيع حالات التّكرار الكلي في الخطبة تكرارُ لفظ الجلالة (الله)، فقد ذُكِرَ في النّصّ إحدى عشرة مرّة في البنى النّصّيّة كلّها عدا الخامسة، وقد ألحّ عمرُ على إعادة ذكره اسمًا صريحًا رغم إمكانيّة استبدال الضّمير المتّصل به؛ ففي البنية الثّانية: "أوصيكم بتقوى الله؛ فإنّ تقوى الله خَلَفُ كلّ شيء، وليس من تقوى الله عزّ وجلّ خَلَف"، كان بمكنته أن يقول: "أوصيكم بتقوى الله؛ فإنّ تقواه خَلَفُ كلّ شيء، وليس من تقواه عزّ وجلّ خَلَف"، والشيء نفسه في البنية الأخيرة: "مَن أطاع الله فقد وجبتْ طاعته، ومن عصى الله فلا طاعة له. أطيعوني ما أطعتُ الله عزّ وجلّ، فإذا عصيتُ الله فلا طاعة لي عليكم"، فلماذا يا ترى؟!

إنّ تكرارَ لفظِ الجلالة (الله) في النّصّ على هذا النّحو –وكأنّه مداهَمةٌ نصّيّةٌ مِن جميع الجهات– تكرارٌ لنقطة الارتكاز الأساسيّة الأكثر حساسيّة، التي اتّجهَتْ

صوبَها المعطياتُ النّصّيّة المستدعاة كلُّها، فـــ(الله) يُمثّلُ الحقيقةَ الكبرى العظمى ومصدرَ التّشريع في دين الإسلام الذي يتّخذه عمرُ نهجًا في سياسته رعيّتَه، فكان التّكرارُ الوسيلةَ التي أدّتْ دورًا كبيرًا في ترابط النّصّ واتّساقه؛ لأنّ النّصّ كلَّه يدور في فلك هذه الوجهة التي يريد عمرُ ردَّ رعيّته إليها، فالمعطياتُ المذكورةُ في النّصّ (التّقوى والعمل للآخرة وإصلاح السّرائر وإكثار ذكر الموت والاستعداد له، وضبط الإنفاق الماليّ وفق الحقّ والباطل، وضبط علاقة الرّعيّة براعيها بمدى التزامه طاعة الله)؛ كلُّها أمرَ (اللهُ) بها، وكلُّها تهدف إلى رضا الله، وبهذا يتّضح أنّ تكرار لفظ الجلالة على ذلك النّحو، سَلَّطَ الضوء كثيرًا على بؤرة الرّبط الأساسيّة التي تشدّ المعطيات النّصّيّة كلّها، التي جاءتْ متقاربةً دلاليًّا لتخدم قضيّة النّصّ، وجعل للنّصّ هويّة واضحة؛ فضلًا عن أثره على المستوى المعجميّ للنّصّ ودلالته؛ فقد استدعى كثيرًا من الألفاظ النّصّيّة المتناسبة معه من حيث العظمة مثل (عزّ وجلّ) و(تبارك وتعالى) وغيرها.

وإنّ تكريرَ عمرَ إيّاه بهذا الإصرار والوفرة نسبةً إلى حجم النّصّ، إلحاحٌ منه على المعطى النّصّيّ الأهمّ في النّصّ، فهو مهتمٌّ به كثيرًا؛ وهذا يُعَدُّ تعبيرًا عن الباعث النّفسيّ للمتكلّم وواقع قلبه، فاتّجه إليه بتكريره في النّصّ مُنشغِلًا به عمّا سواه، فاللهُ -في قلب عمر- الخالقُ المدبّرُ المعبودُ ورضاه هو الأصل والهدف المسعيّ إليه، وفي إعادة ذكره مرّاتٍ لذّةٌ ورجاء، وتثيرُ نفوس المتلقّين وتستميل قلوبهم فيصغون ويستجيبون أكثرَ لأنّ العبارة المكرَّرة ترفع مستوى الشّعور إلى درجةٍ غير اعتياديّة وتنبئ المتلقّي بمدى كثافة الذّروة العاطفيّة في النّصّ[٤٥].

(٤٥) ينظر: عز الدين علي السّيّد، **التّكرير بين المُثير والتّأثير**، دار عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٩٨٦م، ص ص٢٨٢-٢٨٣.

- **أداة التّوكيد (إنّ)**

تكرّرتْ في النّصّ سبعَ مرّات شائعةً فيه مُفْتَتِحًا بها الأفكارَ النّصّيّةَ الأساسيّةَ دعائمَ مشروع خِلافته، حيث وردتْ في البنية الثّانية مرّةً واحدةً مؤكِّدةً أنّ "تقوى الله خَلَفُ كلّ شيء"، وفي البنية الثّالثة مرّةً واحدةً مؤكِّدةً أنّه "مَن عملَ لآخرته كفاه الله تبارك وتعالى أمرَ دنياه"، وفي البنية الخامسة مرَّتين لتوكيد أنّ الموتَ "هادمُ اللّذّات" وأنّ "مَن لا يذكر مِن آبائه –فيما بينه وبين آدم عليه السّلام– أبًا حيًّا لَمُعْرِقٌ له في الموت"، وفي البنية السّادسة ثلاثَ مرّاتٍ مؤكِّدةً أنّ "هذه الأمّة لم تختلفْ في ربّها عزّ وجلّ، ولا في نبيّها صلّى الله عليه وسلّم، ولا في كتابها" وأنّ الخلافَ وَقَعَ "في الدّينار والدّرهم" وأنّ عمرَ لن يعطيَ أحدًا باطلاً ولن يمنع أحدًا حقًّا.

مِن الواضح أنّ عمر يسعى حثيثًا إلى تقرير هذه المعاني المؤكَّدة بـ(إنّ) في نفوس مستمعيه، فكرّر استعمال هذه الأداة لهذا الغرض في أمورٍ مهمّةٍ يترتّبُ عليها صلاحُ الفردِ والمجتمعِ ثمّ رضا الله تعالى في الآخرة، وبنسيانها أو التّغافلِ عنها أو عدمِ رسوخها في الذّهن يُسْتَهانُ بقدْرها فتضيع هذه الغاية العظمى؛ فالموقف موقفٌ جسيمٌ له ما بعده، فحَسُنَ التّكرار له لاحتياج الموقف إلى إستراتيجيّة واضحة، والمتكلِّمُ يحكم أعظمَ مُلْكٍ في الدّنيا حينئذ!

وقد أدّتْ هذه الأداة دورَ قاعدةٍ للرّبط النّصّيّ جمعتْ فيها المعطياتِ النّصّيّةَ كلَّها في بوتقةٍ واحدةٍ هي كونُها حقائقَ مؤكَّدَةً راسخةً لاستمدادها من مصدرِ التّشريع وسيرة الرّسولِ –صلّى الله عليه وسلّم– وخلفائه الراشدين رضي الله عنهم، فضلًا عن أنّ هذه الأداة –بتكرارها نحو ما جاء في النّصّ– أدّتْ دور المنبِّه المُوقِظ لذهن المستمع، فما أن ينتهي من استقبال فكرةٍ نصّيّةٍ حتّى تقرع ذهنه مرّة أخرى في مطلع الفكرة التّالية فيبقى منشدًّا نحو مرامي هذه الأفكار.

- **تقوى الله**

وقد تكرّرتْ في البنية النّصّيّة الثّانية التي جعلَ عمرُ "التّقوى" فيها أساسًا قاعديًّا إجرائيًّا أوّلَ في مشروعه النّهضويّ، تنبعثُ منه سائرُ الإجراءات الأخرى. كرّرها ثلاثَ مرّاتٍ: "أُوْصِيكُمْ بِتقوى الله؛ فإنَّ تقوى اللهِ خَلفُ كُلِّ شيء، وليس مِن تقوى اللهِ عزَّ وجَلَّ خَلف"، وقد كان بمكنته أيضًا أن يستعيض عن إعادة ذكرها بالضّمير فيقول: "أوصيكم بتقوى الله، فإنّها خلفُ كلّ شيء، وليس منها خلف"، لكنّه أبى لأهميّتها الكبرى فيما يصبو إليه، وقد أسهم ذلك الإلحاحُ في الرّبط النّصّيّ على مستوى هذه البنية بتكثيف الإحالة عليها ولفت انتباه المتلقّي نحو هذه القضيّة المهمّة وربطه وثيقًا بها لتترسّخ في قلبه فيصدر منها في اتّباعه سائر الإجراءات التّالية.

هذا، وقد كرّر في الخطبة بعض الكلمات مرّتين أو ثلاثة أسهمت جزئيًّا في ترابط النّصّ على مستوى الجملة والبنية. وهي:

- **خَلَف**

كرّرها مرّتين في البنية النّصّيّة الثّانية: "أُوْصِيكُمْ بِتقوى الله؛ فإنَّ تقوى اللهِ خَلفُ كُلِّ شيء، وليس مِن تقوى اللهِ عزَّ وجَلَّ خَلف". جاءت في الأولى في سياقِ توكيدٍ بـ(إنّ) مضافًا إليها "كلّ شيء" التّركيبُ الإضافيُّ المفيدُ استغراقَ العموم، وفي الثّانية في سياقِ نفيٍّ بـ(ليس) مفيدٍ للعموم أيضًا؛ فربطتْ بين سياقَي الإثبات والنّفي لحقيقةٍ واحدةٍ هي أنّ تقوى الله أساس كلّ شيء وهو عينُ مراد المتكلِّم في هذه البنية.

- **الآخرة**

كرّرها مرّتيْنِ في البنية النّصّيّة الثّالثة الخاصّة بموضوع الآخرة: "واعْمَلُوا لِآخرتِكم؛ فإنّه مَن عَمِلَ لآخرتِه كَفاهُ اللهُ تبارك وتعالى أمْرَ دُنياه": في المرّة الأولى

مضافةً إلى ضمير الجمع المخاطَب في سياقِ جملةِ طلب، فينشأ السّؤال: لمَ نعمل للآخرة؟ فتأتي جملةُ التّعليل مبدوءةً بفاء الرّبط السّببيّ مع الجملة الأولى معيدًا فيها ذكر (الآخرة) مرَّةً ثانيةً مضافةً إلى ضمير المفرد الغائب، في سياق جملةِ بيانِ سببِ الأمر في الجملة السّابقة، وقد كان بمكنته أيضًا أن يستعيض بالضّمير فيقول: "واعْمَلُوا لِآخرتِكم؛ فإنّه مَن عَمِلَ لها..."، فكرّرَ ليقرّر، لأنّ هذه الكلمة المتكرّرة هي ذاتها موضوع هذه البنية، وأسهم هذا التّكرار في جملتي الطّلب وتعليله في تعميق ترابط الجملتين المترابطتين ترابطًا سببيًّا.

– الموت

وقد ذكرها مرّتين في البنية النّصّيّة الخامسة المتضمّنة حديثه عن الموت: "وأكثروا ذكر الموت، وأحسِنوا الاستعداد قبل أن ينزل بكم؛ فإنّه هادم اللّذّات. وإنّ مَن لا يذكر من آبائه –فيما بينه وبين آدم عليه السّلام– أبًا حيًّا لمُعرِقٌ له في الموت": ذكرها في جملة الاستفتاح وربَطَ الجملَ التّاليةَ بها بضميرين مستتر ومتّصل ومصطلحٍ مرادفٍ واصفٍ: "...قبل أن ينزل (هو) بكم فإنّه هادم اللّذّات"، وجعلها آخرَ كلمةٍ في البنية –بعد عبارةٍ طويلةٍ عن واقع الموت شغلتْ ذهن المتلقّي بالماضي البعيد ومَن ماتوا فيه– لتكون آخر ما يبقى في الذّهن. فكانت هذه الكلمةُ وضمائرُها المربوطةُ بها وما رافقها من مصطلحِ الوصف الرّديفِ وما تبعَها من حقيقةٍ تاريخيّةٍ تبرهنُ حتميّتها بمثابة الرّاصّ الذي كثّف من حضور موضوع البنية على المستوى السّياق اللّغويّ.

– أحدًا

كرّرها مرّتين في البنية النّصّيّة السّادسة التي بيّن فيها حقيقة اختلاف الأمّة، في كونه على الدّينار والدّرهم لا على الله تعالى ولا الدّين ولا النّبيّ عليه السّلام، وشفعها ببيان سياسته في الإنفاق الماليّ: "...وإنّي والله لا أعطي أحدًا باطلاً، ولا

أمنع أحدًا حقًّا"، وهي كلمةٌ منكَّرةٌ أفاد تكرارُها تأكيدَ الحقيقة النّصّيّة المرادة في ذهن المتكلِّم (عدم التّمييز بين النّاس)، فضلًا عما أدّتْه من دورٍ في تناغم السّياق لأنّها تكرّرت في نهاية جملتين متوازيتين موسيقيًّا (لا+ فعل مضارع+ أحدًا): لا أعطي أحدًا/ لا أمنع أحدًا؛ فوصلَ هذا التّناغمُ الصّوتيُّ الجملتينِ وربطَ بينهما موسيقيًّا فتناسقتا.

- **اسمُ الشّرط (مَنْ)**

كرّره مرّتين في البنية النّصّيّة الأخيرة التي ضبطَ فيها علاقة المحكوم بالحاكم، وعزّز تكرارَها بتكاريرَ أخرى استدعتْها ضمن معنى الشّرط، مترابطةٍ كلُّها بفكرةِ هذه البنية والبنية الكلّيّة للنّصّ: "يا أيُّها النّاس! مَن أطاعَ اللهَ فقد وَجَبَتْ طاعتُه، ومَن عصى الله فلا طاعةَ له..."؛ حيثُ تتابعتْ جملتانِ شرطيّتانِ متّحدتان في فكرة البنية الرّئيسة مستفتحتانِ بالأداة ذاتها (مَنْ) التي تفيد العموم، مشتملتان على شرطيْن مربوطيْن مع جوابيهما بأداةٍ واحدةٍ هي الفاءُ في الموضعين، فأسهم هذا التّكرار للأداة (مَن) في توثيق عرا التّرابط النّصّيّ على مستوى سياق البنية الحاليّة مع دلالة النّصّ الكليّة.

- **لا طاعة لـ**

كرّرها مرّتين في البنية النّصّيّة الأخيرة، في سياقين داخليّين متشابهين من حيث حديثُهما عن الموقف المقرّر من عاصي الله: "يا أيُّها النّاس! مَن أطاعَ اللهَ فقد وَجَبَتْ طاعتُه، ومَن عصا الله فلا طاعةَ له. أطيعوني ما أطعتُ اللهَ عزَّ وجلّ، فإذا عصيتُ اللهَ فلا طاعةَ لي عليكم": السّياق الأوّل عامٌّ في كلّ مَن عصى الله، والثّاني خاصّ في احتمال عصيان وليّ الأمر للهَ، والموقف في كليهما واحدٌ مُثِّلَ في هذا التّركيبِ المكرَّرِ (لا طاعة لـ) الذي وصل بين السّياقين وربطهما في الموقف المقرّر الموحَّد من كلتا الحالتين؛ وهذا الموقف نابعٌ من دلالة النّصّ الكلّيّة.

حالات التّكرار الجزئيّ:

استُعْمِلَ في النّصّ عمومًا كلماتٌ بصورٍ مختلفةٍ لكنّ جذرَها واحد، فأسهم ذلك في ترابط الأجزاء النّصّيّة وديمومة اتّصالها وتآلفها، على مستوى البنية النّصّيّة الواحدة متعدّدة الجمل التي يؤدّي كلٌّ منها إلى الأخرى، وبمجموع ذلك كلّه يغدو النّصُّ كلًّا موحَّدًا غيرَ متقطّع ولا مفكَّك:

أ. ففي البنية الثّالثة، استَعمل فعلَ الأمر (اعملوا) وماضيَه (عملَ): "واعملوا لآخرتكم، فإنّه مَن عملَ لآخرته كفاه الله تبارك وتعالى أمر دنياه". وقد أدّى هذا التّكرار الجزئيّ للفعلين أمرًا وماضيًا إلى ترسيخ مبدأ العمل للآخرة في مطلق الزّمن بربط الماضي بالمستقبل، فالجملة الافتتاحيّة لهذه البنية "اعملوا لآخرتكم" أمرٌ يثيرُ في أذهان المتلقّين سؤال (لماذا؟)، فيأتي الجواب بالجملة التّعليليّة التّالية مباشرةً: "فإنّه مَن عمل..." متضمّنة الفعلَ الماضيَ (عملَ) الذي أبقى الذّهن المسكون بالسّؤال مربوطًا بالعمل الذي أُمِرَ به في جملة الافتتاح.

ب. وفي البنية الرّابعة، استعمل فعلَ الأمر (أصلِحوا) ومضارعَه (يُصلح): "وأصلِحوا سرائركم يُصلحِ الله الكريم علانيتكم". فجملةُ افتتاح هذه البنية استُهِلّتْ بالإصلاح أمرًا (أصلِحوا)، فيثور السّؤال (ما النتيجة؟)، فيأتي جواب الطّلب مضارعًا (يصلح)، فتبقى الجملتان الطّلبُ وجوابُه مربوطتين بوثاق الإصلاح القضيّةِ المعالَجة في هذه البنية.

ج. وفي البنية السّادسة، استعمل الفعلَ المضارع (تختلف) وماضيَه (اختلَفوا): "وإنّ هذه الأمّة لم تختلف في ربّها عزّ وجلّ، ولا في نبيّها صلّى الله عليه وسلّم، ولا في كتابها، وإنّما اختلفوا في الدّينار والدّرهم...". فقد قرّرَ عمرُ في هذه البنية باعثَ خلافِ الأمّة أنّه ليس في الأصول (الرّبّ والكتاب والنّبيّ) "لم تختلف"، فيثور السّؤال (ففيمَ اختلفتْ إذن يا عمر؟)، فيأتي الجواب حاصرًا ذلك بـ(إنّما) متلوّةً بالفعل الماضي (اختلفوا) الذي استُعمِلَ مضارعُه في جملة الافتتاح منفيًّا بـ(لم)، وهذا يسهم في ضمان ترابط الجمل بعضها ببعض على مستوى البنية.

د. وأمّا في البنيةِ السّابعةِ الأخيرة، فقد استعملَ مشتقّاتِ الجذْرِ (طيع) بوفرةٍ وتتابعٍ كبيرين مقارنةً بنقيضه (عصي) الذي استعملَ مشتقّاتِه مرّتينِ فقط (عصى وعصيتُ)، وهذا الاستعمالُ يَعكسُ إلحاحَه على مبدأٍ أصيلٍ مركزيٍّ في علاقة الرّعيّة براعيها الذي لا يُعدُّ في نظره إلهًا ولا نصفَ إله بل تابعٌ لأمر الله وسلطته؛ استعملَ الفعلَ الماضي (أطاعَ)، واسمَ مصدره (طاعة) ثلاث مرّات، وأمْرَه (أطيعوني)، وماضيَه (أطعْت): "يا أيُّها النّاس! مَن أطاعَ اللهَ فقد وَجَبَتْ طاعتُه، ومَن عصى الله فلا طاعةَ له. أطيعوني ما أطعتُ اللهَ عزَّ وجلّ، فإذا عصيتُ اللهَ فلا طاعةَ لي عليكم". وما إلحاحُه الشّديدُ بهذه الوفرة التّكراريّة لمشتقّات (طيع) نسبةً لحجم هذه البنية إلّا لزيادة توكيد هذا المبدأ الأصيل في شريعةِ الإسلام، التي تقوم عليها فلسفةُ عمرَ في الحكم والسّياسة (وهو مبدأ الحاكمية لله)، بحيثُ لا يكُ مدخلٌ للتّأويلِ غيرِ المرادِ، فلا يبدو إلى الأذهان إلّا المعنى الذي حولَه يدندن؛ وهو ما يؤدّي إلى ربط الذّهن وإحالته نحو هذه الفكرة الأصيلة المنسجمة مع قضيّةِ النّصِّ المركزيّة التي يدور حولها النّصُّ العمريُّ كلُّه، وربط الوحدات النّصّيّة في هذه البنية بعضها ببعض متلاحمةً تلاحمًا كبيرًا لتخدم قضيّتَها المعالَجَة، وهو ما يزيد من تماسك النّصّ عضويًّا ودلاليًّا لأنّ الألفاظ المكرَّرة تلامس قضيّة البنية الأساسيّة، ولا سيّما أنّها في البنية النّصّيّة الأخيرة آخرِ ما يعلق في الأذهان ويبقى حاضرًا فيها أكثر من غيره لكونه حديثَ عهدٍ بالسّماعِ ما يزال.

٦. التّضامّ

يُلحظ أنّ خطوط سير الألفاظ في الخطبة العمريّة تنتظم وفقَ الآتي:

١. ألفاظ إيمانيّة إجرائيّة: تقوى الله، واعملوا لآخرتكم، وأصلحوا سرائركم، وأكثروا ذِكر الموت وأحسِنوا الاستعداد، وأطاع الله.

٢. ألفاظ مرحليّة: الدّنيا، والموت، والآخرة.

٣. ألفاظ أصوليّة: ربّها، وكتابها، ونبيّها.

أمّا علاقات المصاحبة المعجميّة فتتوزّع وفق العلاقات المذكورة آنفًا:

• التّضادّ التّقابليّ: (آخرة/ دنيا) في البنية الثّالثة: "واعملوا لآخرتكم؛ فإنّه من عمل لآخرته، كفاه الله تبارك وتعالى أمر دنياه". و(سرائر/ علانية) في البنية الرّابعة: "وأصلحوا سرائركم يصلح الله الكريم علانيتكم". و(أعطي/ أمنع) و(باطلاً/ حقًّا) في البنية السّادسة: "...وإنّي والله لا أعطي أحدًا باطلاً، ولا أمنع أحدًا حقًّا". و(أطاع/ عصى) مرّتينِ في البنية السّابعة: "يا أيُّها النّاس! مَن أطاعَ اللهَ فقد وَجَبَتْ طاعتُه، ومَن عصى الله فلا طاعةَ له. أطيعوني ما أطعتُ اللهَ عزَّ وجلّ، فإذا عصيتُ اللهَ فلا طاعةَ لي عليكم".

• التّكامل: (كفاه الله تبارك وتعالى أمر دنياه) في البنية الثّالثة، مع (يصلح الله الكريم علانيتكم) في البنية الرّابعة. و(الموت) مع (هادم اللّذّات) في البنية الخامسة. و(عزّ وجلّ) المرادفة لِلَفظ الجلالة (الله) في البنيات الثّالثة والخامسة والسّابعة، مع (الكريم) في البنية الرّابعة، فقد تكاملت من حيثُ تعظيمها للَفظ الجلالة. فضلًا عن تكامل كلٍّ من (تقوى الله، والعمل للآخرة، وإصلاح السّرائر، وإكثار ذكر الموت والاستعداد له، وطاعة الله) في كونها تدور في فلك الله والعمل بما يرضيه.

• التّضمّن والاشتمال: وردَ في الخطبة العمريّة ألفاظٌ تُعبّر عن علاقة التّضمّن:

أ. (تقوى الله) تتضمّن جميع الأعمال القلبيّة (كالإيمان بأركان الدّين والتّوكّل)، والجارحيّة (كالزّكاة وقضاء حوائج النّاس)، واللّسانيّة (كذكر الله)؛ التي تندرج ضمن ما يُرضي الله تعالى ويُجنّبُ سخطه. وقد أوردَ في خطبته من ذلك: "اعملُوا لآخرتكم" و"أصلِحوا سرائركم" و"أكثروا ذكر الموت وأحسِنوا الاستعداد" و"مَنْ أطاع الله فقد وجبت طاعته، ومن عصى الله فلا طاعة له" و"أطيعوني ما أطعتُ اللهَ عزَّ وجلّ، فإذا عصيتُ اللهَ فلا طاعةَ لي عليكم".

ب. (كلّ شيء) تتضمّن –استغراقًا– أحوالَ الإنسان كلَّها.

ج. (الدّنيا) و(الآخرة): فالأولى تتضمّن مراحل حياة الإنسان الأولى من طفولته حتّى شيخوخته، والثّانية تتضمّن مراحل ما بعد الموت من القيامة والحشر والحساب...

د. (سرائركم) و(علانيتكم): تتضمّن الأولى كلّ ما يضمره الإنسان، والثّانية كلّ ما يتّصل بعالَم المشاهدة من أمور لا تُحصى.

هـ. (اللّذّات) تتضمّن كلّ ما يجلب متعة كالطّعام والشّراب والمال والشّهوات...

و. (آبائه): تتضمّن كلَّ مَن سبق الإنسانَ من آبائه الذين انفلق من أصلابهم.

ز. (الأمّة): تتضمّن الأجيال السّابقة حتى عهد عمر: الجيل الأوّل المؤسِّس من السّابقين الأوّلين في العهد النّبويّ، والجيل الرّاشديّ، ثمّ الجيل الأمويّ.

ح. (النّاس): تتضمّن كلَّ مَن يتلقّى الخطاب العمريّ مِن المؤيّدين والمعارضين، وطبقات المجتمع آنئذٍ من الأحرار والعبيد، والخواصّ والعوامّ،...

٧. التّعْريف والتّنْكير

وُظِّفَت هاتان الظّاهرتانِ في الخطبة العمريّة توظيفًا خدم قضيّة النّصّ ومراميه، وكان للتّعريف النّصيبُ الأكبر لأنّ النّصّ يُؤسِّس لمعالم يسير عليها النّاس في سياقِ مشروعٍ سياسيّ عامّ، فالموقف يلزمه الوضوح لا الغموض والإبهام، وذلك على النّحو الآتي: فلفظ الجلالة (الله) و(نبيّه) و(الضّمائر الفرديّة الجماعيّة) في البنية النّصّيّة الأولى، وقد شاعتْ في سائر بنى النّصّ الأخرى غيرَ مرّة، و(تقوى الله) مرّتين في البنية الثّانية، و(آخرتكم وآخرته) و(أمر دنياه) في البنية الثّالثة، و(سرائركم) و(علانيتكم) في الرّابعة، و(الموت) و(هادم اللّذّات) و(آبائه) و(آدم) في الخامسة، و(هذه الأمّة) و(ربّها) و(نبيّها) و(كتابها) و(الدّينار والدّرهم) في السّادسة، و(النّاس) و(طاعته) في السّابعة:

فـ(اللهُ) تعالى، المحمودُ في البنية الأولى أعرفُ المعارف قاطبةً، و(الرّسولُ) عليه السّلام المصلَّى عليه في البنية الأولى، هما أصلُ التّشريع الإسلاميّ الذي يتّكئ عليه عمرُ في مشروعه السّياسيّ، وقد شكّلَا معًا قطبَي الرّحا اللّذينِ سارت المعطياتُ النّصّيّة كلُّها صوبهما، فشكّلَا نقطة ارتكاز أساسيّة ربطتْ بنيات النّصّ وشدّتْها بعضَها ببعض، وما جاء بعدهما من معارف صدرَ عنهما وأدّى إليهما:

فـ(تقوى) في البنية الثّانية لم ترد وحدها بل مضافة إلى (الله) المستفتح به في البنية الأولى، فيبقى الذّهن مشدودًا نحو هذه الغاية العظمى، ووورودها مرّتين أخريين في البنية ذاتها زاد من عرا هذا الرّبط ورسّخه فلا ينصرف عنه الذّهن مهما تشتّت نظرًا لكثافة رسوخه، و(آخرتكم وآخرته) في البنية الثّالثة تدلّان على مآل المصير إلى (الله) الغاية ذاتها المستفتح بها، والعمل لها يُصلِح (الله) به أمر (دنياه)، و(سرائركم) و(علانيتكم) في البنية الرّابعة مربوطتان كلتاهما بتقوى الله الوارد ذكرها في بنيةٍ سابقة، و(الموت/ هادم اللّذّات) و(الاستعداد) له المذكوران في الخامسة لاحقان مفسّران للعمل للآخرة المذكورة في بنيةٍ سابقة لأن الموت أوّل منازلها، و(آبائه) تحيل إلى الأجيال السّابقة التي قضت بالموتِ محورِ حديث هذه البنية، ولعلّه بهذا يبين مقدار التّرابط الكبير بين هذه المعارف الوارد ذكرها، الموظّفة لتخدم قضيّة النّصّ، فكلٌّ منها يؤدّي إلى الآخر ويصدر منه.

وبعْدَ أنْ أسّسَ عمرُ بذكْرِ هذهِ المعارفِ المعالمَ الكبرى لمشروع خلافته فيما مضى من بنيات، انعطفَ لبيانِ موْقفِه ممّا جرى من الأحداثِ السّابقةِ مسْتفْتِحًا بـ(هذه الأمة) البنيةَ السّادسة، مَعْرفتينِ: اسم إشارةٍ متبوعًا بـ(أل) العهديّة عهدًا ذهنيًّا، فلمْ يكتفِ بـ(الأمّة) وحدَها حتّى لا يُحْتَمَلَ كونُ (أل) فيها (أل الجنسيّة)، بل أشارَ بـ(هذه) حتّى لا ينصرفَ ذهنُ المتلقّي لأمّةٍ أخرى غيرِها، فأشار إلى أمّةٍ معروفةٍ لدى مستمعيه بالعهْد الذّهنيّ، ولولا معرفة المتلقّين بها بما رُوِيَ مِن

تاريخها ما أدركوا مراده بـ"الأمّة"[٤٦]؛ مقرِّرًا الباعث الأساسيّ لما وقع من خلاف (الدّينار والدّرهم)، لا (ربّها) ولا (كتابها) ولا (نبيّها)؛ لم تختلفْ في هذه المعارف المذكورة، فالرّبّ معروفٌ بأسمائه وصفاته، وكذا الكتابُ والنّبيّ، وهذه المعارف الثّلاثة هي ذاتها التي استفتح بها خطبته في البنية الأولى، وهو ما يسهم في إبقاء النّصّ سائرًا في بوتقة واحدة.

وأمّا المعارفُ المختومُ بها النّصُّ في البنية الأخيرة، فكانت (النّاس) المنادى عليهم، وهذه المرّة التّعريفُ بـ(أل) الجنسيّة الاستغراقيّة التي تشمل أصنافَ متلقّيه كلّهم، مقرِّرًا أنَّ مَنْ أطاع (الله) -بؤرة النّصّ الكبرى المستفتح بها والسّائرة نحوها بنيات النّصّ جميعها- وجبتْ (طاعته)، مكرِّرًا هذا الاسم المعرفة غير مرّة في ذاتِ البنية (٤ مرّات)، لترسيخ الفكرة في الذّهن، وهذا يعمّق عرا ترابط النّصّ، فما استفتح به نصّه ها هو يختم به مكرورًا مكثَّفًا، ولم يغبْ حضورُه عن سائر البنى السّابقة؛ الأمر الذي يحقّق للنّصّ الوحدة العامّة والانسجام والتّرابط.

أمّا ظاهرةُ التّنكير، في النّصّ العمريّ، فكان نصيبُها أقلّ، فكما سَبَقَ أنْ ذُكِرَ، إنّ هذا النّصّ يؤسّسُ لمعالمَ واضحةٍ يُرادُ لمتلقّيه أن يسيروا وفقَها لتحقيق الإصلاح وتصحيح المسير، فناسب -والحال هذه- أنْ تشيع فيه المعارفُ أكثر من النّكرات، فلمْ تُسْتعمَلِ النّكرةُ إلّا سبع مرّات للدّلالة على العموم المطلق مسبوقًا غالبُها بالنّفي، على النّحو الآتي:

١. في البنية الثّانية، في تقريره مُثْبِتًا أنّ "تقوى الله خلفُ كلِّ شيء، وليس من تقوى الله عزّ وجلّ خلف"، استعمل كلمتينِ موغلتينِ في التّنكير (كلّ وشيء)

(٤٦) ينظر: فاضل صالح السّامرّائيّ، **معاني النّحو**، ٤ج، دار الفكر للطّباعة والنّشر والتّوزيع، عمّان، ط١، ٢٠٠٠م، ج١، ص١٠٨. فقد تحدّث عن التّعريف بـ(أل) ودور المعرفة السّابقة لأطراف التّواصل في هذه المسألة.

للدّلالة على شمول التّقوى خلفًا لكلّ ما يُدركه النّاس وما لا يدركونه من الأقوال والأفعال والأحوال. وفي تقريره نافيًا بـ(ليس) أنْ يكون شيءٌ سوى التّقوى خلفًا، في الجملة التّالية، استعمل (خلف) النّكرة لخدمة هذا الغرض.

٢. وفي البنية الخامسة، التي خصّصها للحديث عن الموتِ هادمِ اللّذّات ولزوم إحسان الاستعداد له، لافتًا إلى هلاك الأجيال السّالفة من الآباء والأجداد حتى آدم عليه السّلام دليلاً حاضرًا على هذه القضيّة: "وإنَّ مَن لا يَذْكُرُ مِن آبائِه – فيما بينَه وبين آدمَ عليه السّلامُ– أبًا حيًّا لَمُعْرِقٌ له في الموت"؛ استعمل كلمة (أبًا) النّكرة الموصوفة بـ(حيًّا) في سياقٍ منفيٍّ أيضًا بـ(لا)، للدلالة على عموم الأجيال السّالفة.

٣. وفي البنية السّادسة، التي خصّصها لبيان موقفه من الخلافات التي وقعتْ بين جماعات الأمّة مقرّرًا مردَّها إلى الدّينار والدّرهم، وأنّ سياسته الماليّة تقوم على الحقّ والعدل: "وإنّي واللهِ لا أُعْطي أحدًا باطلًا، ولا أَمنعُ أحدًا حقًّا"؛ استعملَ كلمات (أحدًا مرّتين، وباطلاً، وحقًّا) نكراتٍ مسبوقاتٍ بنفي أيضًا بـ(لا) مرّتين، للدلالة على العموم المطلق فيما يتعلّق بانطباق المعيار المعتبر في إدارة المال، فلا أحدَ –وإن علا– خارجٌ عنه مهما كان، وتحت أيّ ذريعةٍ واهيةٍ استكان.

٤. وفي البنية الأخيرة، التي قرّر فيها طبيعة العلاقة الشّرعيّة بين الرّعيّة وراعيها مقرّرًا أنّ: "مَن عصى الله فلا طاعةَ له"، وَ: "فإذا عصيتُ اللهَ فلا طاعةَ لي عليكم"؛ استعمل (طاعة) النّكرة مرّتين مسبوقة بنفي أيضًا بـ(لا) النّافية للجنس المطلق.

يَظهرُ أنّ كلتا الظّاهرتين، التعريف والتّنكير، قد استُعمِلتا في النّصّ العمريّ استعمالاً خدم قضيّة النّصّ ورؤاه، في معطياته النّصّيّة المقصودة والعامّة الشّائعة، استعمالاً أسهم في ترابطه وانسجامه وتفاعله مع المتلقّي.

الخاتمة

بعدَ قراءةِ خطبةِ أو خطابِ بيعةِ عمرَ بن عبدالعزيز وتحليلِها ونقدِها والوقوفِ على أبرز أدوات ترابطها النّصّيّ ضمن الرّؤية الدّلاليّة الكلّيّة للنّصّ؛ خُلِصَ إلى النّتائج الآتية:

– لعمرَ بن عبدالعزيز طريقةٌ خاصّةٌ في توظيف أدوات التّرابط النّصّيّ في تحقيق نصّيّة النّصّ، لأنّ العناصر النّصّيّة المطروحة، كلماتٍ وجملاً وترتيبًا، في خطابه، تعكس ترتيبَها في نفسه قبل استوائها نصًّا، فظهر النّصُّ واضحَ الدّلالة غيرَ عسيرِ الفهم ولا ملتبسٍ على جمهور المستمعين الذين كانوا من عامّة النّاس وخواصّهم، موافقًا حالَهم واستعداداتهم للتّلقّي.

– أدّى موضوعُ نصِّ خطبةِ البيعة العمرية (مشروع الخلافة) دورًا رئيسًا في تكوين النّصّ وسيرورة بناه الكبرى وعناصره المعجميّة والتّركيبيّة وترابطها شكلاً ومضمونًا؛ وهو ما أدّى إلى انتظامه نصًّا متماسكًا وأنموذجَ خطابٍ يحتذى.

– وَظَّف النّاصُّ أدواتٍ ترابطيّة عدّة نَسَجت علاقات البنى النّصّيّة وأسهمت في تحقيق وحدة النّصّ وانتظام عناصره وترابطها وصناعة المعاني النّصّيّة، وأبرزها: الإحالة والاستبدال والحذف والعطف والتّكرار والتّضامّ والتّعريف والتّنكير. وكان الدّور الأكبر للإحالة والعطف والتّكرار.

– توزّعت الإحالة بضميرَي الجمع المخاطَب والمفرد، في النّصّ بصورةٍ لافتةٍ تنبئ ببعدٍ فكريٍّ في ذهن المتكلم ووعيه، وهو أنّ الإصلاح يقوم على الفرد والمجتمع معًا؛ لأنّهما يحيلان إلى المحورين الرّئيسيْن المستهدفين من مشروع خلافة عمر موضوعِ النّصِّ بنيتِه الكلّيّة. وقد شكّلَا بؤرتَي ربطٍ أساسيّتين أدّتَا دورًا كبيرًا في ترابط التّراكيب بإسناد الأفعال إليهما بنحوٍ متلائم.

– ظهر الاستبدال في الخطبة العمريّة على مستوى التّركيب وأسهم في صناعة المعنى واستدعاء عناصر نصّيّة متآلفة دلاليًّا مع موضوع النّصّ ومقاصد المتكلم.

– أدّى الحذف في النّصّ دوره في ترابط النّصّ على المستوى التّركيبيّ وصناعة المعنى، اعتمادًا على السّياق اللّغويّ والقرائن اللّفظيّة وقوانين الصّناعة النحويّة وما استقرّ في وعي المتكلم والمتلقّي.

– أدّى العطف بالواو دورًا كبيرًا جدًّا في ترابط النّصّ بالجمع بين الألفاظ والجمل والبنى الكبرى، بروابطَ تركيبيّةٍ وعلاقات معنويّة مشتركة تدور حول فكرة النّصّ المحوريّة.

– وُظِّف التّكرار بأنواعه كافّة، والتّضامّ، في ترابط النّصّ واتّساق مستواه المعجميّ وصناعة المعاني النّصّيّة، وأدّى تكرار لفظ الجلالة (الله) الدّور الأكبر في ترابط البنى النّصّيّة نحو موضوع النّصّ واستدعاء العناصر المعجميّة المتآلفة، انسجامًا مع مقاصد النّصّ، فكان هذا اللّفظ الجليل البؤرة المركزيّة الكبرى في النّصّ. وأسهم التّضامّ بعلاقات التّقابل والتّضادّ والتّكامل بين أزواج الكلمات في صناعة المعاني النّصّيّة المنسجمة مع موضوع النّصّ.

– انسجمت المعارفُ والنّكراتُ في النّصّ مع سياقها المعنويّ وما استقرّ في أذهان المتلقّين من معارف مسبقة.

• التّوصية: خصُّ نصوص الخليفة عمر بن عبدالعزيز من خطب ووصايا ورسائل بدراساتٍ (رسائل وأطاريح وأبحاث)، بمناهجَ نقديةٍ ورؤًى نصّيّةٍ متعدّدة، لأنّها نصوصٌ مكتنزةٌ.

استخدام الاختبار التائي (T-Test) في برنامج الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS) في بحوث تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها

عاصم علي(*)

فائزة بنت مجاهر(**)

الملخّص

هدفت هذه الدراسة إلى معرفةِ النسبة المئوية من بحوث تعليم اللغة العربية التي يُستخدم فيها الاختبار التائي(T-Test)، في برنامج الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS)، لتحليل البيانات الكمية، والكشفِ عن أخطاء استخدام الاختبار التائي فيها، وتحديدِ نوع الأخطاء المرتكبة عند استخدام الاختبار التائي في هذا البرنامج. وجُمعت بيانات البحث عن طريق التحليل النوعي لعينة مكونة من (٣٠) رسالة جامعية في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، في مكتبة الجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا، التي طُبِّقَتِ الدراسة الكمية فيها. وقد اتبعت هذه الدراسةُ المنهجَ التحليلي النقدي القائم على تحليلِ استخدام الاختبار التائي فيها، والتعليقِ على الأخطاء المرتكبة فيها، مع تحديد أنواعها. وتوصلت في نتائجها إلى أن أغلب بحوث تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها التي يُطَبَّقُ فيها التحليل الاستدلالي تَسْتَخْدِمُ الاختبار التائي من أجل تحليل البيانات الإحصائية. وكانت معظم البحوث التي يُوظَّف فيها الاختبار التائي لا تخلو من الأخطاء، ومن أبرزها الأخطاء في استخدام الاختبار التائي

(*) قسم اللغة العربية وآدابها، كلية عبدالحميد أبو سليمان لمعارف الوحي والعلوم الإسلامية، الجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا.

(**) معلمة في وزارة التربية والتعليم الماليزية.

تاريخ تسلّم البحث ١١/ ٨/ ٢٠٢١م وتاريخ قبوله للنشر ٥/ ١٢/ ٢٠٢١م.

دون النظر إلى شروطه الأساسية، بنسبة (٦٠٪)؛ ثـمّ الأخطاء في عـدم ذكـر الـدليل على استخدام الاختبار التائي في تحليـل البيانـات، بنسـبة (٢٠٪)؛ واسـتخدام الاختبـار التـائي مـرات عديـدة للمتغيـرات التابعـة الكثيـرة، بنسـبة (١٣.٣٠٪). واسـتخدامه للقياسـات المتكررة، بنسبة (٦.٧٠٪).

الكلمات المفتاحية: الاختبار التائي، أنواع الأخطاء، وصف الأخطاء.

Using the T-Test in the Statistical Package for the Social Sciences in Research on Teaching Arabic to Non-Native Speakers

By:

Asem Ali

Faiza bint Mujahir

Abstract

This article attempts to find out the frequency of studies in which the T-test is used in teaching Arabic as a second language, and to analyze the possibility of committing errors in analyzing statistical data by using the test. The article also investigates the types of errors related to the way the test is used. The data is collected from 30 related M.A. theses located in the library of the International Islamic University of Malaysia. The study uses a critical-analytical approach by analyzing T-test usage, evaluating errors committed therein, and identifying their types. The findings reveal that most of the studies in Teaching Arabic as a Second Language applying inferential analysis choose the T-test in analyzing statistical data and shows that most of them contain errors.

Key terms: T-test, Types of errors, Description of errors.

شاع استخدام برنامج الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS) بوصفها أداة تحليل للبيانات المجمّعة في بحوث علمية نظراً لسهولة استخدامها للمبتدئين، ودورها في تسهيل عمل الباحثين في أمور الإحصاءات؛ حيث إنه يساعدهم على تحليل البيانات العددية دون الحاجة إلى معرفة القواعد الحسابية والقواعد الإحصائية بالتفصيل، ومن جانب آخر لا تستثنى معظم البحوث في مجال تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها من استخدامها من أجل تحليل البيانات بطريقة سريعة وسهلة؛ إذ توجد اختبارات عديدة في هذا البرنامج للكشف عن دلالة الفروق بين المتوسطات، منها الاختبار التائي (T-Test).(١) ويُعدُّ هذا الاختبار من أهمّ الاختبارات الإحصائية وأكثرها استخداماً في البحوث العلمية،(٢) وينقسم الاختبار التائي إلى قسمين رئيسين؛ الاختبار التائي لعينة واحدة، والاختبار التائي لعينتين، ويندرج تحت الاختبار التائي لعينتين اختباران، هما: الاختبار التائي لعينتين مستقلتين، والاختبار التائي لعينتين مرتبطتين.(٣) وهناك شروط كثيرة لا بد للباحث من الاطلاع عليها لتحديد نوع الاختبار التائي

---

(١) إلياس يوسف، **الإحصاء التربوي**، دار الإعصار العلمي، عمّان، ط١، ٢٠١٥م، ص٢٢١.

(٢) انظر: Younis Skaik, **"The bread and butter of statistical analysis"t-test": Uses and misuses"**, *Pakistan Journal of Medical Online*, Vol. 31, No. 6, 2015, p. 2.

(٣) انظر: Guangping Liang, Wenliang Fu, Kaifa Wang, "**Analysis of t-test misuses and SPSS operations in medical research papers**", *Burns & Trauma*, Vol. 7, No. 31, 2019, p. 1.

الملائم تطبيقه في تحليل البيانات،[٤] ومن ثم يستطيع الباحث الحصول به على النتيجة الإحصائية الصحيحة.

تعرف الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية:

(Statistical Package for Social Sciences) (SPSS)

أنها حزم حاسوبية متكاملة لإدخال البيانات وتحليلها،[٥] ويُعدُّ هذا البرنامج من أوسع البرامج الآلية التي انتشرت واستُخدِمت في البحوث العلمية في شتى المجالات، على الرغم من إنشائه لغرض البحوث الاجتماعية أصلاً؛ وذلك نظراً إلى ما يتمتع به البرنامج من مزايا تجعله المفضل لدى الباحثين في تحليل البيانات، ولا سيما الذين يستخدمون المنهج الكمي في إجراء بحوثهم، ومن أبرز هذه المزايا: سهولة استخدامه، ووضوح تعليماته وتوافقه مع تطبيقات ميكروسوفت (Microsoft) الأخرى؛ إذ يستطيع الباحثون الذين يستخدمونه نقل نتائج تحليلاتهم الإحصائية بسهولة إلى برامج الأوفيس (Office) الأخرى، سواء كان برنامج الكتابة (Word)، أو العروض التقديمية (PowerPoint)، أو غيرهما من التطبيقات؛[٦] ولكن لكل برنامج خصائص وسمات؛ إذ نجد بعض السمات المتوافرة في برنامج الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية، منها: تركيزه على الأساليب الإحصائية المستخدمة بشكل أساسي في العلوم الاجتماعية؛ حيث من

---

(٤) انظر: Guangping Liang, Analysis of t-test misuses and SPSS operations in medical research papers, p. 1.

(٥) انظر: أحمد حسين بتال، **مقدمة في البرنامج الإحصائي**، ٢٠٠٥م، ص٣، موقع إلكتروني: https://www.kau.edu.sa/Files/0000837/files/11794_spss_ahd.pdf

(٦) محمود عبدالحليم منسي وخالد حسن الشريف، **التحليل الإحصائي للبيانات باستخدام برنامج SPSS**، ٢ج، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، ٢٠١٤م، ج١، ص١٩.

الممكن تغيير نتائجه عند تغيير ترتيب إدخال المتغيرات، ولا يمكن التأكّد من صحة الحل إلا بالتجريب مرة أخرى، وذلك بإدخال المتغيرات بترتيب مختلف، ومقارنة النتائج. وهذا البرنامج غير قادر على التعامل مع ملفات البيانات الكبيرة جداً.(٧)

إن تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها بدأ منذ زمن طويل لغرض ديني في البداية من أجل فهم النصوص الدينية وما يتعلق بها، وقد زاد عدد المهتمين والراغبين في تعلم اللغة العربية من أنحاء العالم؛ كونها لغة العلم والمعرفة ولغة القرآن الكريم، كما هو الحال في بعض الدول الإسلامية كماليزيا وبروناي وإندونيسيا وباكستان وغيرها من الدول الإسلامية.

هناك ثلاثة أهداف رئيسة لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها: أولها ممارسة الطالب للغة العربية بالطريقة التي يمارسها الناطق الأصلي باستيعاب المهارات اللغوية الأربع: الاستماع، والكلام، والقراءة، والكتابة. وثانيها معرفته لخصائص اللغة العربية وما يميزها من غيرها من اللغات، من حيث الأصوات، والمفردات، والتراكيب، والمفاهيم. وثالثها تَعرُّفه على الثقافة العربية، وإلمامها بخصائص العرب، والبيئة التي يعيش فيها، والمجتمع الذي يتعامل معه؛(٨) فالتحليل الإحصائي هو شيء أساسي في البحوث العلمية للحصول على نتائج موضوعية،

(٧) انظر: محمد صبحي أبو صالح وعدنان محمد عوض، **مقدمة في الإحصاء: مبادئ وتحليل باستخدام SPSS**، دار المسيرة؛ عمّان، ٢٠٠٤م، ص١٢٧ وما بعدها. وانظر: إيمان سعده، **ما هو برنامج SPSS؟، وما هي ميزاته وعيوبه؟**، موقع إلكتروني:

https://www.sea-stat.com/scientific_references

شوهد في ١ يوليو ٢٠٢٠م.

(٨) انظر: رشدي أحمد طعيمة، **تعليم العربية لغير الناطقين بها: مناهجه وأساليبه**، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة – إيسيسكو، الرباط، ١٩٨٩م، ص٥٠.

ويمكن الاعتماد عليه، وهو قابل للتكرار،[٩] ويستخدم الباحثون برنامج الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية بشكل واسع لإجراء التحليل الإحصائي للبيانات الكمية؛ لذلك نلفت النظر إلى نقطتين رئيستين لضمان التحليل الإحصائي الصحيح، هما: تحديد أداة البحث الصحيحة، والتحقق ممّا إذا كانت البيانات تلبي الشروط المسبقة لاختبار المعلمة (Parameter)[١٠]. وهناك عوامل عديدة ينبغي أخذها في الاعتبار أثناء اختيار نوع الاختبارات الإحصائية التي ستستخدم في تحليل البيانات الإحصائية.

إن اختيار نوع الاختبار الإحصائي غير الملائم للبيانات يفضي إلى النتيجة الخطأ.[١١] ومن المعلوم أن الاختبار التائي يُستخدم لتحليل البيانات الإحصائية في البحوث العلمية في مجالات شتى، بما في ذلك مجال تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، وعلى الرغم من سهولة استخدامه، فقد وقع بعض الباحثين في الخطأ نتيجة إغفالهم شروط استخدام هذا الاختبار.[١٢]

وجدت الدراسة بحوثًا عديدة تتناول فيها الأخطاء الواقعة أثناء تحليل البيانات وتفسيرها باستخدام برنامج الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS) إلا أن معظمها كانت محصورة في مجالات محددة وفي اللغة الإنجليزية، ولا تتوافر في

---

(٩) انظر: Burak Bahar, Stefan E. Pambuccian, Güliz A. Barkan, Yasemin Akdaş, **"The use and misuse of statistical methods in cytopathology studies: Review of 6 journals**", *Journal of the American Society of Cytopathology*, Vol. 50, No. 1, 2018, p. 8.

(١٠) انظر: Guangping Liang, Analysis of t-test misuses and SPSS operations in medical research paper, p. 4.

(١١) انظر: Younis Skaik, The bread and butter of statistical analysis "t-test": Uses and misuses, p. 2.

(١٢) انظر: المرجع السابق، ص٢.

مجال تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها؛ لذلك ترى الدراسة أهمية إجراء البحث الذي يتناول فيه هذه القضايا في مجال تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها؛ ولذلك فإن هذه الدراسة سوف تبحث في موضوع برنامج الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS) في بحوث تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها والأخطاء التي يقع فيها الباحثون عند تطبيقه.(١٣)

أما حدود الدراسة، فقد اقتصر موضوع البحث على تقييم استخدام الاختبار التائي (T-Test) في برنامج الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS) في بحوث تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها التي توجد فيها البيانات الكمية،

(١٣) انظر من هذه الدراسات السابقة:

Burak Bahar, The use and misuse of statistical methods in cytopathology studies: Review of 6 journals; Guangpiang Liang, Analysis of t-test misuses and SPSS operations in medical research papers; Kyoung Hoon Yim, Francis Sahngun Nahm, Kyoung Ah Han, Soo Young Park, **"Analysis of Statistical Methods and Errors, The Korean Journal of Pain"**, *The Korean Journal of Pain*, Vol. 23, No. 1, 2010; Shabeer Hassan, Rajashree Yellur, Pooventhan Subramani, Poornima Adiga, Manoj Gokhale, Manasa S.Iyer, Shreemathi S. Mayya, **"Research Design and Statistical Methods in Indian Medical Journals: A Retrospective Survey"***, Plos One Journal*, Vol 10, No.4, 2015; Shunquan Wu, Zhichao Jin, Xin Wei, Qingbin Gao, Jian Lu, Xiuqiang Ma, Cheng Wu,1 Qian He, Meijing Wu, Rui Wang, Jinfang Xu, Jia He, **"Misuse of Statistical Methods in 10 Leading Chinese, Medical Journals in 1998 and 2008"**, *The Scientific World Journal*, Vol. 11, No. 3, 2011; Sibel Balci, Özgül Keleş, **Methodological and Statistical Errors Found in Science Education Master's Thesis**, *The International Journal of Educational Researchers*, Vol . 2, No. 5, 2010; Younis Skaik, The bread and butter of statistical analysis "t-test": Uses and misuses.

ويتحدد هذا البحث في بحوث تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها من سنة ٢٠٠٩م حتى سنة ٢٠١٩م، ويقتصر البحث على الرسائل الجامعية في تعليم اللغة العربية المتوفرة في مكتبة الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا. وتُجري الدراسة تحليلاً نقدياً لتقييم استخدام الاختبار التائي، وذلك بتحليل ظاهرة استخدام الاختبار التائي في برنامج الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS) في بحوث تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، ونقد الأخطاء المرتكبة في استخدام هذا الاختبار مع تحديد أنواعها.

أولاً: إجراءات البحث:

١. اختيار (٣٠) عينة من البحوث المعنية التي توجد فيها البيانات الكمية بطريقة عشوائية.

٢. البحث عن البحوث التي يُستخدم فيها الاختبار التائي في برنامج الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS).

٣. تحليل مدى ملاءمة الاختبار التائي مع بيانات الكمية الموجودة، والكشف عن الأخطاء بخصوص استخدام هذا الاختبار.

٤. تحديد نوع الأخطاء المرتكبة عند استخدام الاختبار التائي وتحليلها.

٥. إجراء العمليات الإحصائية المناسبة لعرض النتائج.

رصدت الدراسة عدداً من الدراسات السابقة ذات العلاقة بالدراسة الحالية، منها الدراسة التي أجراها كيون هون يم (Kyoung Hoon Yim) وآخرون بعنوان: (تحليل الأساليب الإحصائية والأخطاء في المقالات المنشورة باللغة

الكورية)،[١٤] وقد هدفت إلى تحليل الأساليب والأخطاء الإحصائية الموجودة في ١٣٩ مقالاً منشوراً في المجلة الكورية لدراسات الألم (Korean Journal of Pain). وأكّدت النتائج أن معظم المقالات تستخدم الاختبار التائي لتحليل البيانات الإحصائية، وتشير النسبة المئوية إلى وجود الأخطاء الإحصائية في معظم المقالات، ووجدت الدراسة هذه أن من أكثر الأخطاء التي وقعت كانت مرتبطة بتطبيق نوع الاختبارات المعلمية للبيانات غير المعلمية. أما الدراسة التي أجراها سيبل بلجي (Sibel Balci) وآخرون الموسومة بـ:(الأخطاء المنهجية والإحصائية المتوافرة في رسائل ماجستير تعليم العلوم)،[١٥] فقد أبرزت الأخطاء المنهجية والإحصائية الموجودة في رسائل الماجستير في مجال تعليم العلوم التي تتوافر في المركز الوطني للرسائل الجامعية في تركيا، واكتشف الباحثون توظيف الاختبارات المعلمية في بعض المقالات دون التأكد من وجود التوزيع الطبيعي للبيانات. وأجرى شانكوان يو (Shunquan Wu) وآخرون الدراسة الموسومةبـ: (سوء استخدام الأساليب الإحصائية في المجالات الطبية الصينية العشرة في سنة ١٩٩٨م و٢٠٠٨م)،[١٦]

(١٤) انظر: Kyoung Hoon Yim, Francis Sahngun Nahm, Kyoung Ah Han, Soo Young Park, **"Analysis of Statistical Methods and Errors in the Articles Published in the Korean Journal of Pain"**, *The Korean JournalofPain*,Vol. 23, No. 1, 2010.

(١٥) انظر: Sibel Balci, Özgül Keleş, **"Methodological and Statistical Errors Found in Science Education Master's Theses"**, *The International Journal of Educational Researchers*, Vol . 2, No. 5, 2010.

(١٦) انظر: Shunquan Wu, Zhichao Jin, Xin Wei, Qingbin Gao, Jian Lu, Xiuqiang Ma, Cheng Wu,1 Qian He, Meijing Wu, Rui Wang, Jinfang Xu, Jia He, **"Misuse of Statistical Methods in 10 Leading Chinese Medical Journals in 1998 and 2008"**, *The Scientific World Journal*, Vol. 11, No. 3, 2011.

واستنتج البحث أن استخدام الاختبار التائي لمقارنة المجموعات المتعددة هو أكثر الأخطاء شيوعاً في كلتا السنتين، وانخفض عدد الأخطاء الإحصائية في المقالات المنشورة في سنة ٢٠٠٨م.

وأجرى يونيس شيخ (Younis Skaik) الدراسة المعنونة بـ(أساس التحليل الإحصائي "الاختبار التائي": استخدامه وسوء استخدامه)،[١٧] للكشف عن سوء استخدام الاختبار التائي في مجال الطب الحيوي. وتوصلت الدراسة إلى أن سوء استخدام الاختبار التائي يمكن أن يؤدي إلى انحراف البحث عن طريقه الصحيح، ومن ثم يؤدي إلى النتيجة الخطأ، وبيَّن الباحث أنواع الاختبارات التائية الموجودة، ومعايير استخدام كل منها، وكتب بعض التنبيهات للباحثين عن استخدام الاختبار التائي في البحث العلمي، منها عدم توظيف الاختبار التائي لعينة واحدة على حجم العينة الصغيرة (أقل من ١٥ فرداً) الذي يوجد في بياناته القيمة الشاذة أو التوزيع الملتوي، ورأى أنه إذا كان حجم العينة متوسطة (على الأقل ١٥ فرداً)، ينصح بعدم استخدام الاختبار لعينة واحدة إذا كان هناك توزيع ملتو متطرف، وإذا كانت البيانات اسمية أو متقطعة، فلا ينبغي على الباحث استخدام الاختبار التائي لعينتين، ونبه الباحث إلى استخدام الاختبار التائي لعينتين مرتبطتين بدلاً عن استخدام الاختبار التائي لعينتين مستقلتين في حالة حصول مجموعة واحدة على علاجين مختلفين في وقتين مختلفين، ويلزم استخدام نوع الاختبار التائي لعينة واحدة عند المقارنة بين مجموعة واحدة بالمعيار الذهبي، وعند وجود مجموعة عينات أكثر من اثنتين؛ فلا بد من استخدام اختبار تحليل التباين (ANOVA). هناك دراسة أجراها شبير حسن وآخرون بعنوان: (تصميم البحث

(١٧) انظر: Younis Skaik, The bread and butter of statistical analysis "t-test": Uses and misuses.

والطرق الإحصائية في المجلات الطبية الهندية: مسح بأثر رجعي)،[١٨] بغية جمع جودة مناهج البحث والتحليلات الإحصائية المستخدمة في المجلات الطبية الهندية المختارة وفحصها في سنة ٢٠٠٣م و٢٠١٣م. واستنتج الباحثون أن معظم الأخطاء الشائعة التي يقع فيها الباحثون تختص باستخدام الاختبار التائي لمجموعة متعددة من عينات البحث بدلاً عن استخدام اختبار تحليل التباين (ANOVA)، وتنخفض الأخطاء المرتبطة بالتحليل الإحصائي في المجلات المنشورة في سنة ٢٠١٣م، وأجرى مجموعة من الباحثين الدراسة المعنونة بـ(استخدام الأساليب الإحصائية في دراسات الباثولوجية الخلوية وسوء استخدامها: مراجعة ٦ مجلات)،[١٩] وكشفت عن الاختبار الذي يُستخدم كثيراً لتحليل البيانات وهو الاختبار التائي. ومن الأخطاء الشائعة التي يقع فيها الباحثون تلك التي تتعلق بعجزهم عن اختيار نوع الاختبار الصحيح للبيانات الموجودة لديهم، وكذلك توظيف الاختبارات المعلمية للبيانات غير المعلمية، واستخدام الاختبار التائي لعينتين مستقلتين للبيانات التي تناسب تحليلها باستخدام الاختبار التائي لعينتين مرتبطتين، واستخدام الاختبار التائي لمجموعة متعددة من عينات البحث. وأجريت الدراسة المعنونة بـ(تحليل سوء استخدام الاختبار التائي وعمليات في برنامج الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS) في الأوراق البحثية الطبية)،[٢٠] بهدف تحليل سوء استخدام الاختبار التائي في أوراق البحث الطبية، وتوصلت إلى الأخطاء المعروفة والشائعة، منها الخطأ في توظيف الاختبار التائي للبيانات التي لا تتسم

(١٨) انظر: Shabeer Hassan, Rajashree Yellur, Pooventhan Subramani, Poornima Adiga, Manoj Gokhale, Manasa S.Iyer, Shreemathi S. Mayya, Research Design and Statistical Methods in Indian Medical Journals: A Retrospective Survey.

(١٩) انظر: Burak Bahar, The use and misuse of statistical methods in cytopathology studies: Review of 6 journals.

(٢٠) انظر: Guangpiang Liang, Analysis of t-test misuses and SPSS operations in medical research papers.

بالتوزيع الطبيعي، وسوء استخدام الاختبار التائي لعينتين مستقلتين للبيانات التي لا تناسب تحليلها بوساطته.

التعقيب على الدراسات السابقة:

بناءً على مراجعة الدراسات السابقة ومقارنتها بالدراسة الحالية ومدى إمكانية الاستفادة منها، توصلت الدراسة إلى الأمور الآتية:

١. كل الدراسات السابقة تشير إلى وجود الأخطاء المتعلقة استخدام الاختبار التائي في البحوث العلمية.

٢. معظم الدراسات السابقة تركز على الأخطاء في استخدام الاختبار التائي في مجال العلوم.

٣. بعض الدراسات السابقة يُشهد فيها الانخفاض في عدد الأخطاء الإحصائية عبر الزمن.

٤. معظم الدراسات السابقة تفحص الأخطاء الإحصائية في المجلات المنشورة.

وأفادت الدراسة من الدراسات السابقة في الجوانب الآتية:

أ. تأكيد احتمالية وجود الأخطاء المتعلقة بسوء استخدام الاختبار التائي في البحوث العلمية.

ب. دعم نتائج الدراسة الحالية، ومناقشتها، ومقارنتها بنتائج الدراسات السابقة.

ج. مساندة الدراسة لمعرفة معايير استخدام الاختبار التائي في تحليل البيانات للبحوث العلمية.

د. مساعدة الدراسة في الكشف عن أنواع الأخطاء المرتبطة بالاختبار التائي.

يمكن رؤية أن الدراسات السابقة تتعلق بأخطاء استخدام الاختبار التائي في تحليل بيانات كثيرة، ومعظمها في مجال العلوم التجريبية، سوى واحد في مجال تعليم العلوم، وأن هناك حاجة ملحة للبحث في هذا الموضوع في مجال تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، وتلحظ الدراسة إلى أن هناك نقصاً وغياباً في إجراء البحث عن سوء استخدام الاختبار التائي في اللغة العربية.

أولاً: مفهوم الاختبار التائي وأنواعه وشروط استخدامه:

التأطير النظري للبحث:

١. **مفهوم الاختبار التائي**: توجد اختبارات للكشف عن دلالة الفروق بين المتوسطات، من بينها الاختبار التائي الذي سيركز البحث عليه. والمقصود بالاختبار التائي هو الاختبار الذي يُستخدم للكشف عن دلالة الفروق بين المتوسطات ووجه الاختلاف بينها، ويصلح توظيفه للمقارنة بين مجموعتين في الحد الأقصى.(٢١) وهذا الاختبار يندرج تحت الإحصاءات المعلمية (Parametric Statistics)؛(٢٢) فمن إيجابيات هذا النوع من الإحصاءات توفير المعلومات الكاملة عن مجتمع البحث، ومن حيث القوة؛ فهي أكثر قوة من الإحصاءات اللامعلمية (Non Parametric Statistics) عندما تُستوفى

(٢١) انظر: أحمد الرفاعي غنيم ونصر محمود صبري، **التحليل الإحصائي للبيانات باستخدام SPSS**، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص١٢٣.

(٢٢) انظر: Vimala Veeraraghavan, Suhas Shetgovekar, *Textbook of Parametric and Nonparametric Statistics*, New Delhi: SAGE Publications India, 2016, p. 33.

الافتراضات.[٢٣] ولا بد من الاطلاع على الشروط المحددة له قبل استخدام الاختبار التائي لتحليل البيانات الإحصائية في البحث.

٢. **أنواع الاختبار التائي**: ينقسم الاختبار التائي إلى قسمين رئيسين: الاختبار التائي لعينة واحدة، والاختبار التائي لعينتين. ويندرج تحت الاختبار التائي لعينتين اختباران، هما الاختبار التائي لعينتين مستقلتين، والاختبار التائي لعينتين مرتبطتين.[٢٤] وتتلخص أنواع الاختبار التائي في البيانات الآتية:

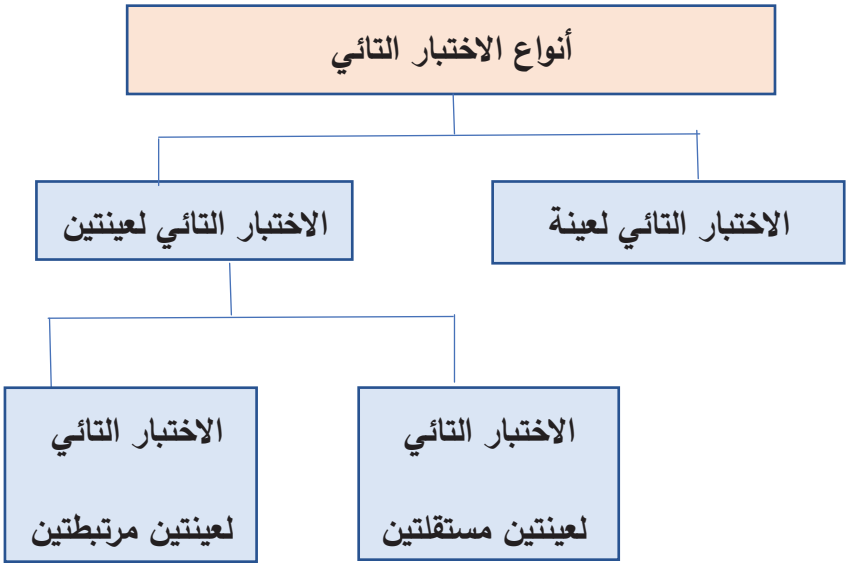

(٢٣) انظر: Vimala Veeraraghavan, Suhas Shetgovekar, Textbook of Parametric and Nonparametric Statistics, p. 33.

(٢٤) انظر: Guangping Liang, Analysis of t-test misuses and SPSS operations in medical research papers, p. 2.

يُستخدم الاختبار التائي لعينة واحدة في مقارنة المتوسط الحسابي لمجموعة واحدة بقيمة مفترضة للمجتمع.[٢٥] مثال على ذلك، المقارنة بين عدد الساعات التي يستغرقها معلمو اللغة العربية لدرس واحد في الواقع بعدد الساعات التي تحددها المدرسة لمعلمي اللغة العربية من أجل ذلك.

أمّا الاختبار التائي لعينتين فهو لغرض تحديد إمكانية وجود فرق جوهري في المتوسط الحسابي بين مجموعتين؛ فالاختبار التائي لعينتين مستقلتين يطبّقه الباحث أو الباحثة في المقارنة بين مجموعتين مستقلتين. ومن المهم جدّاً أن تكون كل مجموعة مستقلة وغير مرتبطة بالأخرى؛ مثلاً المقارنة بين درجة الاختبار النهائي التي حصل عليها الطلبة في مادة اللغة العربية في الفصل (أ)، والفصل (ب)؛ إذ يصلح استخدام الاختبار التائي لعينتين مرتبطتين لقياس ظاهرة معينة في ظروف مختلفة، على سبيل المثال قياس مدى استيعاب الطلبة في فصل واحد لموضوع ما، قبل الدرس وبعده.

٣. شروط استخدام الاختبار التائي: يعد الاختبار التائي أحد الاختبارات المعلمية (Tests Parametric) فيجب أن تتوفر في البيانات شروط معينة من أجل استخدام الاختبار التائي لتحليلها، ومن هذه الشروط، ما يأتي:[٢٦]

أ. أن يكون المتغير التابع المتضمن في البحث من نوع البيانات المستمرة، وليس من نوع البيانات الفئوية.

---

(٢٥) انظر: Guangping Liang, Analysis of t-test misuses and SPSS operations in medical research papers, p. 3.

(٢٦) انظر: Vimala Veeraraghavan, Suhas Shetgovekar, Textbook of Parametric and Nonparametric Statistics, p. 121.

ب. أن يكون توزيع المتغير في البحث توزيعـًا طبيعيـًا في مجتمع البحث.

ج. أن تكون كل درجة من المتغير التابع مستقلة.

د. أن يكون هناك تباين متجانس في مجتمع البحث.

هـ. اختيار عينة البحث بشكل عشوائي.

ذكر إلياس في كتابه "الإحصاء التربوي" شروطـًا كثيرة لتوظيف الاختبار التائي في تحليل البيانات الإحصائية، منها:(٢٧)

- أن يكون حجم العينة كبيراً (٣٠ فأكثر).
- أن يكون الفرق بين حجمي العينتين صغيراً نسبيـًا (في حدود ٣٠ درجة).
- مـدى تجـانس العينتـين: يُحسـب التجـانس باسـتخدام معادلـة النسـبية الفائيـة المحوسـبة (Computerized f Equation) بقيمـة (ف) الجدوليـة، وذلـك لتحديد المعادلة المناسبة مـن معـادلات (ت). ويعتمـد قيـاس الفـروق في الأداء على طبيعة المجموعات.

وبالنسبة إلى مصطلح "التوزيع الاعتدالي" (Normal Distribution) الذي يُعدُّ من أحد شروط توظيف الاختبار التائي في تحليل البيانات الإحصائية، نستطيع أن نتأكد منه بالنظر إلى مواصفات المنحنى الاحتمالية، فمن مواصفات منحنى الاحتمال الطبيعي (Normal probability curve) ما يأتي:(٢٨)

- أن يكون منحنى الاحتمال الطبيعي متماثلاً في طبيعته.

---

(٢٧) إلياس يوسف، الإحصاء التربوي، ص٢٢٢.

(٢٨) انظر: Vimala Veeraraghavan, Suhas Shetgovekar, Textbook of Parametric and Nonparametric Statistics, p. 146.

- أن يكون منحنى الاحتمال العادي أحادي النمط؛ إذ يكون فيه المنوال الواحد بالنظر إلى وجود النقطة القصوى الواحدة فيه.
- أن يقع المنوال، والمتوسط الحسابي، والمتوسط في النقطة نفسها.
- أن يعرض منحنى الاحتمال الطبيعي نقطة الانعطاف (point of influx)، فالمقصود بنقطة التدفق هو النقطة التي تشير إلى تغيير منحنى من محدب إلى مقعر، وتقع هذه النقطة في (±١) الانحراف المعياري.

ثانيًا: أنواع الأخطاء المرتكبة في استخدام الاختبار التائي:

ثمة أخطاء متنوعة ارتكبها الباحثون في استخدام الاختبار التائي لتحليل البيانات الإحصائية في أبحاثهم، وتشير بعض البحوث إلى هذه الأخطاء بشتى أنواعها، من بينها خطأ سوء استخدام الاختبار التائي للبيانات التي لا يكون توزيعها توزيعًا اعتداليًا. ومن المعلوم أن أحد شروط توظيف الاختبار التائي في تحليل البيانات هو أن يكون التوزيع لتلك البيانات توزيعًا اعتداليًا، وإذا كانت تلك البيانات لا يُستوفى فيها ذلك الشرط، فلا بد من استخدام اختبار آخر أكثر ملاءمة معها.(٢٩)

ثمة بعض الباحثين الذين استخدموا الاختبار التائي لعينتين مستقلتين للبيانات، رغم أن استخدام الاختبار التائي لعينتين مرتبطتين هو الأنسب لتحليلها، والعكس صحيح؛ على سبيل المثال، هناك من استخدم الاختبار التائي لعينتين مستقلتين للكشف عن تأثير الدواء المعين في المجموعة الواحدة؛ علمًا أن الاختبار الأكثر ملاءمة مع هذا النوع من البيانات هو الاختبار التائي لعينتين مرتبطتين.(٣٠)

---

(٢٩) انظر: Syunquan Wu, Misuse of Statistical Methods in 10 Leading Chinese Medical Journals in 1998 and 2008, p. 2111.

(٣٠) المرجع السابق، ص٢١١١.

ومن الأخطاء الأخرى التي وقع فيها الباحثون أثناء تحليل بياناتهم باستخدام الاختبار التائي: استخدام الاختبارات التائية لمجموعات متعددة؛ فينبغي على الباحثين أن يأخذوا في الحسبان أن الاختبار التائي بشتى أنواعه يصلح استخدامه لمجموعتين في الحدّ الأقصى؛ فإذا كان عدد المجموعات أكثر من اثنتين؛ فلا بد للباحث اختيار الاختبارات الأخرى الأكثر مناسبة لتلك البيانات، مثل تحليل التباين وغيره.(٣١)

وفضلاً عن ذلك، أخطأ الباحثون في استخدام الاختبار التائي للبيانات اللامعلمية؛(٣٢) إذ أُجري الاختبار التائي على البيانات اللامعلمية، على الرغم من عدم تلبيتها شروط إجراء الاختبار عليها، ولا بد للباحث اختيار اختبار تكون مواصفاته أكثر ملاءمة للاختبارات اللامعلمية مثل اختبار ويلكوسون لعينة واحدة (1 Sample Wilcoxon test)، واختبار مَن-ويتني (Man-Whitney Test)، وغيرهما.

أسباب وقوع الخطأ في استخدام الاختبار التائي: من الأسباب التي أدت إلى وقوع الباحثين في الخطأ عند استخدامهم الاختبارات الإحصائية التي تضم الاختبار التائي عدم الاهتمام بالخصائص التوزيعية للمتغيرات وطبيعة البيانات(٣٣) التي تؤدي دوراً مهماً في تحديد نوعية الاختبارات الملائمة لبيانات البحث.

---

(31) Syunquan Wu, Misuse of Statistical Methods in 10 Leading Chinese Medical Journals in 1998 and 2008, p. 2111.

(٣٢) انظر: المرجع السابق، ص٢١١١.

(٣٣) انظر: المرجع السابق، ص٢١١١.

ومن جانب آخر، نجمت هذه الأخطاء بسبب عدم معرفة الباحثين الشروط الأساسية لاختيار الاختبارات الملائمة لبيانات البحث؛[٣٤] فلكل اختبار إحصائي شروط خاصة به لا بد من أخذها في الاعتبار قبل توظيفها في تحليل البيانات المعينة، كذلك فإن عدم توافر الموارد الكيفية قد يؤدي إلى ارتكاب الباحثين للخطأ في استخدام الاختبار التائي بشكل غير مباشر؛[٣٥] إذ إنّ بعض الباحثين ليس لديهم الوقت لإجراء الاختبارات الأخرى لفحص مدى صلاحية البيانات للاختبار الإحصائي المعين، أو نقص الأموال للحصول على المساعدة من الخبراء في مجال الإحصاء أو الحضور في البرنامج الخاص في تعليم الباحثين وتدريبهم على كيفية استخدام الاختبارات الإحصائية استخداماً صحيحاً.

ثالثاً: تحليل النتائج ومناقشتها:

يهدف هذا البند إلى عرض تحليلات إحصائية لهذا البحث ومناقشة نتائجها للإجابة عن أسئلة البحث في استخدام الاختبار التائي في بحوث تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، والأخطاء المرتكبة أثناء استخدامها لتحليل البيانات مع بيان نوع تلك الأخطاء بالتفصيل. وقد جُمعت المعلومات والبيانات عن طريق الاطلاع على الرسائل الجامعية المتوافرة في مكتبة الجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا وقراءتها قراءة متأنية.

النسبة المئوية في بحوث تعليم اللغة العربية التي يستخدم فيها الاختبار التائي:

يتناول هذا البحث النسبة المئوية في بحوث تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها

(٣٤) انظر: Syunquan Wu, Misuse of Statistical Methods in 10 Leading Chinese Medical Journals in 1998 and 2008, p. 2111.

(٣٥) انظر: Andrew W. Browna, Kathryn A. Kaisera, David B. Allisona, **Issues with data and analyses: Errors, underlying themes, and potential solutions**, Proceedings of the National Academy of Sciences, Mar 2018, 115, p. 11.

التـي تُسـتخدم فيهـا الإحصـاءات الوصـفية والإحصـاءات الاسـتدلالية، ونـوع الإحصاءات الاستدلالية الأكثر استخداماً فيها، وأنواع الاختبار التائي المفضلة في هذه البحوث، وعدد البحوث التي يُستخدم فيها أكثر من اختبار تائي واحد لتحليل البيانات.

وصف استخدام الإحصاءات الوصفية والإحصاءات الاستدلالية في بحوث تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها

نوع الإحصاءات المستخدمة	التكرار	النسبة المئوية
الإحصاءات الوصفية	١١	٣٦.٦٪
الإحصاءات الاستدلالية	٩	٣٠٪
البحوث التي لا تتوافر فيها الإحصاءات الوصفية والاستدلالية	١٠	٣٣.٤٪
المجموع	**٣٠**	**١٠٠**

الجدول رقم (١): استخدام الإحصاءات الوصفية والإحصاءات الاستدلالية في بحوث تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها

يتبين لنا من الجدول رقم (١) أن معظم البحوث لم تُستخدم الإحصاءات فيها، وعددها (١٠) بحوث، وجاءت بنسبة (٣٣.٤٪)، وأن البحوث التي تكتفي بتوظيف الإحصاءات الوصفية من أجل تحليل البيانات الاستدلالية فيها؛ قد بلغ عددها (١١) بحثاً، ونسبتها (٣٦.٦٪)، وأن البحوث التي توجد فيها الإحصاءات الاستدلالية عددها (٩) بحوث، ونسبتها (٣٠٪).

وصف نوع الإحصاءات الاستدلالية المستخدمة في بحوث تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها

الاختبارات وتحليل البيانات	التكرار	النسبة المئوية
تحليل التباين	٢	٦.٦٪
بحوث لا يتوافر فيها تحليل التباين	٢٨	٩٣.٤٪
المجموع	**٣٠**	١٠٠٪

الجدول رقم (٢): الاختبارات وتحليل البيانات في بحوث تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها

يلحظ من البيانات السابقة في استخدام تحليل التباين لتحليل البيانات، أن ثمّة بحثين اثنين فقط يُستخدم فيهما هذا الاختبار، بنسبة (٦.٦٪)؛ وهي نسبة قليلة جداً، أما البحوث التي لا يتوافر فيها تحليل التباين فعددها (٢٨) بحثاً، وجاءت بنسبة (٩٣.٤٪). وهذا يدل على قلة استخدام تحليل التباين في البحوث؛ ربما لطبيعة الموضوع أو التركيز على الاختبار التائي بأنواعه.

وصف أنواع الاختبار التائي المستخدمة في بحوث تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها

نوع الاختبار التائي	التكرار	النسبة المئوية
الاختبار التائي لعينة واحدة	١	٣.٤٪
الاختبار التائي لعينتين مستقلتين	٥	١٦.٦٪
الاختبار التائي لعينتين مرتبطتين	٧	٢٣.٤٪
بحوث لا يتوافر فيها الاختبار التائي لعينة واحدة، ولعينتين مستقلتين أو مرتبطتين	١٧	٥٥.٦٪
المجموع	**٣٠**	**١٠٠٪**

الجدول رقم (٣): نوع الاختبار التائي المختار في بحوث تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها

يتضح من الجدول رقم (٣) أن نوع الاختبار التائي الأكثر استخداماً هو الاختبار التائي لعينتين مرتبطتين، وهو بنسبة (٢٣.٤٪)، ويليه الاختبار التائي لعينتين مستقلتين وهو بنسبة (١٦.٦٪)؛ أما نوع الاختبار التائي الأقل استخداماً فهو الاختبار التائي لعينة واحدة، وهو بنسبة (٣.٤٪). ولوحظ أن معظم البحوث التي يُستخدم فيها الاختبار التائي لعينتين مرتبطتين تُجرى بالاختبار القبلي والاختبار البعدي فيها من أجل معرفة وجود فروق ذات دلالة إحصائية بينهما، بينما كانت نسبة البحوث التي لا يتوافر فيها الاختبار التائي لعينة واحدة، ولعينتين مستقلتين أو مرتبطتين (٥٦.٦٪)، بعدد (١٧) بحثاً.

وصف عدد الاختبارات التائية المستخدمة في بحوث تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها

عدد الاختبارات التائية المستخدمة	التكرار	النسبة المئوية
استخدام اختبار تائي واحد	٦	٪٢٠
استخدام أكثر من اختبار تائي واحد	٣	٪١٠
بحوث لا يتوافر فيها استخدام اختبار تائي واحد، أو أكثر من اختبار تائي واحد	٢١	٪٧٠
المجموع	**٣٠**	٪١٠٠

الجدول رقم (٤): عدد الاختبار التائي المستخدم في بحوث تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها

يتضح من الجدول رقم (٤) أن أبحاث تعليم اللغة العربية، التي يُستخدم فيها اختبار تائي واحد لتحليل البيانات، عددها (٦) أبحاث، وهي بنسبة (٢٠٪)، والأبحاث التي يُستخدم فيها أكثر من اختبار تائي واحد، عددها (٣) أبحاث فقط، وهي بنسبة (١٠٪)؛ بينما النسبة الكبيرة من العينة المختارة الأصلية، هي البحوث التي لا يتوافر فيها استخدام اختبار تائي واحد، أو أكثر من اختبار تائي واحد، وعددها (٢١) بحثًا، بنسبة عالية جداً هي (٧٠٪).

رابعًا: نوع الأخطاء في استخدام الاختبار التائي:

يبين هذا المبحث أنواع أخطاء استخدام الاختبار التائي في بحوث تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، وسوف نعرضها، ونبين أكثر الأنواع التي يقع فيها

الباحثون، مع الإتيان بالأمثلة عليها. وتُقسَّم الأخطاء باستخدام الاختبار التائي إلى أنواع عديدة، من بينها أخطاء استخدام الاختبار التائي دون النظر إلى شروطه الأساسية، ولا يُجرى فيه اختبار التوزيع الطبيعي، واختبار التجانس، والعينة غير العشوائية. ومن الأخطاء الأخرى استخدام الاختبار التائي مرات عديدة للمتغيرات التابعة الكثيرة، وعدم ذكر الدليل المبرهن على استخدام التائي في تحليل البيانات، واستخدام الاختبار التائي للقياسات المتكررة. وهذه الأخطاء ستُبيَّن بالتفصيل مع الإتيان بالأمثلة عليها، على النحو الآتي:

١. استخدام الاختبار التائي دون النظر إلى شروطه الأساسية: على الباحث أن يولي نظره إلى الشروط المحددة لاستخدام الاختبار التائي قبل توظيفه لتحليل البيانات الإحصائية، من بينها اختيار عينة البحث بشكل عشوائي، ويجب أن يكون توزيع المتغير في البحث توزيعًا اعتداليًا، وأن يكون هناك تباين متجانس في مجتمع البحث؛[٣٦] ومع ذلك، وجدنا عدداً لا بأس به من بحوث تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها التي لم تتوافر فيها هذه الشروط المذكورة، على سبيل المثال، هناك بعض البحوث التي يُستخدم فيها الاختبار التائي على الرغم من كون عينته غير عشوائية، فهناك بحوث يكون نوع العينة فيها قصدية، ولكن يُستخدم الاختبار التائي بشتى أنواعه لتحليل بيانات البحث. وبالنسبة إلى شرط توزيع المتغير توزيعًا اعتداليًا، رأينا أن بعض البحوث لم يُجرَ فيها اختبار التوزيع الاعتدالي وهو مهم جداً في توظيف الاختبار التائي لتحليل بيانات البحث، ووجدنا بعض البحوث المستخدم فيها الاختبار التائي، لم يتوافر فيها الاختبار للتأكد من التباين المتجانس في مجتمع البحث، مع أن هذا الاختبار ضروري قبل اتخاذ قرار استخدام نوع الاختبارات المناسبة لتحليل البيانات.

(٣٦) انظر: Vimala Veeraraghavan, Suhas Shetgovekar, Textbook of Parametric and Nonparametric Statistics, p. 121.

٢. استخدام الاختبار التائي مرات عديدة للمتغيرات التابعة الكثيرة: ثمّة دراسات يُستخدم فيها الاختبار التائي لعينتين مستقلتين للمقارنة بين المتخصصين في اللغة العربية وغير المتخصصين فيها في استراتيجيات تعلم المفردات، ولوحظ أن الباحث الواحد قد كرَّر الاختبار التائي مرات عديدة للمقارنة بين المتغيرات الكثيرة. وهذه عملية قد تؤدي إلى زيادة احتمال الوقوع في الخطأ من النوع الأول (Type 1 Error)، وفي غالب الأحيان، هذا النوع من الخطأ يُسمح له في البحث بنسبة (٥٪) في التحليل الإحصائي؛ ولكن إذا أجرى الباحث الاختبار التائي مرات عديدة، صار احتمال الوقوع في هذا النوع من الخطأ أكبر من نسبته المسموح بها.(٣٧)

٣. عدم ذكر الدليل المبرهن على استخدام الاختبار التائي في تحليل البيانات: من الملاحظ أن بعض البحوث لم يعرض فيها جدول البيانات التي تشير إلى استخدام الاختبار التائي أثناء تحليل البيانات الإحصائية، مع أن الباحثين يذكرون فيها أنهم سيوظفون الاختبار التائي، مثال على ذلك، البحث الذي يدّعي صاحبه أنه يُوظِّف الاختبار التائي لعينتين مستقلتين للكشف عن احتمال وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين الذكور والإناث في استخدام استراتيجيات تعلم اللغة العربية، ومع ذلك، لم تتوافر فيه البيانات التي تدل على استخدامها، وفضلاً عن ذلك، يوجد البحث الذي يُستخدم فيه أكثر من اختبار تائي واحد؛ إذ يُستخدم فيه اختبار تائي لعينة واحدة، واختبار تائي لعينتين مرتبطتين، والاختبار التائي لعينتين مستقلتين، ولكن تنقصه البيانات التي تدل على توظيف الاختبار التائي للعينة الواحدة؛ فهذا النوع من الخطأ لا يُتوقع حدوثه في الرسائل الجامعية؛ لأن ذكر البيانات التي تبرهن على استخدام التحليل الإحصائي يُعدُّ أمراً أساسيًا ومهمًا للغاية في البحث العلمي.

---

(٣٧) انظر: One Way ANOVA
https://statistics.laerd.com/statistical-guides/one-way-anova-statistical-guide-2.php seen on 17 December 2020.

٤. استخدام الاختبار التائي للقياسات المتكررة: ثمة دراسة تسعى إلى البحث عن فاعلية تطبيق برنامج الشعر الإلكتروني مع طلبة اللغة العربية في ضوء الجنس؛ حيث يُستخدم فيه الاختبار التائي لعينتين مرتبطتين من أجل قياس الفروق بين أفراد العينة نفسها أكثر من مرة بعد إجراء بعض التغييرات على أوضاع العينة في كل مرة. وفي الحقيقة، هذا الاختبار لا يكون مناسبًا لتوظيفه للقياسات المتكررة، بل من المستحسن أن يستخدم تحليل التباين للقياسات المتكررة إذا أُستوفيت شروطه.

وصف أنواع الأخطاء في استخدام الاختبار التائي في بحوث تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها

أنواع الأخطاء	التكرار	النسبة المئوية
استخدام الاختبار التائي دون النظر إلى شروطه الأساسية	٩	٣٠٪
استخدام الاختبار التائي مرات عديدة للمتغيرات التابعة الكثيرة	٢	٦.٦٪
عدم ذكر الدليل المبرهن على استخدام الاختبار التائي	٣	١٠٪
استخدام الاختبار التائي للقياسات المتكررة	١	٣.٤٪
هناك أخطاء في البحوث التي تستخدم الاختبار التائي دون النظر إلى شروطه الأساسية الأكثر تكراراً للمتغيرات التابعة، ولا تذكر الدليل المبرهن على استخدام الاختبار التائي، وتستخدم الاختبار التائي للقياسات المتكررة	١٥	٥٠٪
المجموع	**٣٠**	١٠٠٪

الجدول رقم (٥): أنواع الأخطاء في استخدام الاختبار التائي في بحوث تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها

بالنظر إلى الجدول السابق رقم (٥)، تظهر لنا الأخطاء في استخدام الاختبار التائي دون النظر إلى شروطه الأساسية الأكثر تكراراً؛ حيث بلغت (٩) أخطاء، ونسبتها (٣٠٪)، وتتضمن أخطاء عدم إجراء اختبار التوزيع الاعتدالي، وعدم إجراء اختبار التجانس، والعينة غير العشوائية، وتليها في المرتبة الثانية أخطاء عدم ذكر البيانات الإحصائية التي تدل على استخدام الاختبار التائي في البحث ويبلغ عددها (٣) أخطاء، ونسبتها (١٠٪)، ثم هناك أخطاء استخدام الاختبار التائي مرات عديدة للمتغيرات التابعة الكثيرة، ويبلغ عددها خطأين اثنين، وبنسبة (٦.٦٪). وأقلها أخطاء استخدام الاختبار التائي للقياسات المتكررة التي يكون عددها (١) بنسبة (٣.٤٪). أما البحوث التي تتوافر الأخطاء فيها والتي تستخدم الاختبار التائي دون النظر إلى شروطه الأساسية الأكثر تكراراً للمتغيرات التابعة، ولا تذكر الدليل المبرهن على استخدام الاختبار التائي، وتستخدم الاختبار التائي للقياسات المتكررة، فعددها (١٥) بحثًا، وقد بلغت نسبتها نسبة عالية، هي (٥٠٪).

الخاتمة:

تُناقش في هذا المبحث النتائج التي توصل إليها هذا البحث، بخصوص أسئلة البحث التي تهدف إلى الكشف عن النسبة المئوية في بحوث تعليم اللغة العربية التي يستخدم فيها الاختبار التائي، ومعرفة احتمال وجود أخطاء استخدام الاختبار التائي، وتحديد أنواع الأخطاء في استخدامه.

١. النسبة المئوية في بحوث تعليم اللغة العربية التي يُستخدم فيها الاختبار التائي: اتضح من النتائج أن معظم البحوث في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها تميل إلى استخدام الإحصاءات الوصفية لتحليل بياناتها، وأن معظمها تختار الاستبانة أداة لجمع البيانات؛ فيُكتفى بتحليل الاستجابة في الاستبانة عن طريق

التحليل الوصفي بذكر التكرار أو العدد، والنسبة المئوية، والمتوسط، والانحراف المعياري؛ وأما البحوث التي يُستخدم فيها التحليل الاستدلالي؛ ففي معظمها يُوظَّف الاختبار التائي، وهذه النتيجة تشير إلى استخدام الاختبار التائي في معظم البحوث لتحليل البيانات الإحصائية التي تتوافق مع دراسة لكيون هونغ ييم.(٣٨) وثمة استخدام في تحليل التباين لتحليل بيانات البحث. أما نوع الاختبار التائي الأكثر استخداماً فهو الاختبار التائي لعينتين مرتبطتين؛ إذ بعض البحوث تختار هذا النوع من الاختبار التائي وتسير على منهج شبه تجريبي، وتستخدمه لقياس الفرق بين متوسط الاختبار القبلي والاختبار البعدي للمجموعة الضابطة والمجموعة التجريبية، ويليه استخدام الاختبار التائي لعينتين مستقلتين. أما الاختبار الأقل استخداماً فهو الاختبار التائي لعينة واحدة، ومن المحتمل أن معظم الموضوعات ومناهج البحث في بحوث تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها لا يناسبها استخدام هذا النوع من الاختبار التائي لتحليل البيانات فيها، ومن الملاحظ أن معظم البحوث التي يُستخدم فيها الاختبار التائي لتحليل البيانات تكتفي بالاختبار التائي الواحد، والبحوث التي يوجد فيها الاختبار التائي الأكثر من واحد فهي تقريباً نصف النسبة المئوية للبحوث التي تكتفي باستخدام الاختبار التائي من نوع واحد، وتُلحظ من البيانات السابقة في استخدام تحليل التباين لتحليل البيانات، قلة استخدام اختبار تحليل التباين في البحوث.

٢. **أخطاء استخدام الاختبار التائي**: تشير النتائج إلى وجود الأخطاء في استخدام الاختبار التائي في بحوث تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها. ومن الملاحظ أن معظم البحوث التي يوظف فيها الاختبار التائي من أجل تحليل

(٣٨) انظر: Kyoung Hoon Yim, Analysis of Statistical Methods and Errors in the Articles Published in the Korean Journal of Pain.

البيانات لا تخلو من هذه الأخطاء، وأما البحوث التي سلمت من هذه الأخطاء فهي محدودة العدد.

٣. أنواع الأخطاء في استخدام الاختبار التائي: تَبيَّن من النتائج أن الأخطاء في استخدام الاختبار التائي في بحوث تعليم اللغة العربية يمكن تقسيمها إلى أربعة أقسام رئيسة؛ أولها الأخطاء في استخدام الاختبار التائي دون النظر إلى شروطه الأساسية، وثانيها الأخطاء في استخدام الاختبار التائي مرات عديدة للمتغيرات التابعة الكثيرة، وثالثها الأخطاء في عدم ذكر الدليل المبرهن على استخدام التائي في تحليل البيانات، ورابعها استخدام الاختبار التائي للقياسات المتكررة. وسيُناقش كل منها بالتفصيل في الفقرات الآتية:

أ. استخدام الاختبار التائي دون النظر إلى شروطه الأساسية: برز من النتائج أن معظم الأخطاء في استخدام الاختبار التائي في بحوث تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، قد جاءت من عدم اهتمام الباحثين بالشروط الأساسية التي لا بد من أخذها في الاعتبار من أجل توظيف هذا الاختبار لتحليل بيانات البحث، وهذه الأخطاء تتوافق مع دراسة لسيبل باجي،[٣٩] وشنقوان وو (Shunquan Wu).[٤٠] ومن بين تلك الشروط التي أهملها الباحثون عدم إجراء اختبار التوزيع الاعتدالي باستخدام اختبار شابيرو–ويلك (Shapiro -Wilk test) لحجم العينة الصغيرة، (٥٠) فأقل، أو اختبار كولموجوروف–سميرنوف (Kolmogorov-Smirnov) لحجم العينة الكبيرة، أكبر من (٥٠)، للتأكد من توزيع البيانات توزيعًا اعتداليًا،[٤١] وعدم

(٣٩) انظر: Sibel Balci. Methodological and Statistical Errors Found in Science Education Master's Theses.

(٤٠) انظر: Shunquan Wu. Misuse of Statistical Methods in 10 Leading Chinese Medical Journals in 1998 and 2008.

(٤١) انظر: Guangping Liang, Analysis of t-test misuses and SPSS operations in medical research papers, p. 2111.

إجراء اختبار التجانس للاختبار التائي لعينتين مستقلتين باستخدام اختبار ليفين (Levene test)، واستخدام نوع العينة غير العشوائية في البحوث.

ب. استخدام الاختبار التائي مرات عديدة للمتغيرات التابعة الكثيرة: تُعدُّ الأخطاء في استخدام الاختبار التائي مرات عديدة للمتغيرات التابعة الكثيرة في المرتبة الثالثة من حيث وقوعها لدى الباحثين في بحوث تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها؛ فاستخدام الاختبار التائي لأكثر من مرة لقياس الفرق بين متوسط العينتين ذات المتغيرات الكثيرة قد يؤدي إلى تجاوز بحث الحد الأقصى للخطأ المسموح به في هذا الاختبار نسبة قليلة جداً.(٤٢) ومن المستحسن أن يختار الباحثون الاختبارات الأخرى مثل تحليل التباين متعدد المتغيرات (MANOVA) إذا استوفت البيانات شروط استخدامه، وغيره التي تدعم هذا النوع من القياس في آن واحد من دون الحاجة إلى تكرار الاختبار لمرات عديدة لتحليل البيانات المعينة.

ج. الأخطاء في عدم ذكر الدليل المبرهن على استخدام الاختبار التائي في تحليل البيانات: تشكل الأخطاء في عدم ذكر الدليل الذي يدل على استخدام الاختبار التائي من أجل تحليل البيانات في بحوث تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها نسبة ١٠٪، وهي في المرتبة الثانية من حيث وقوعها لدى الباحثين. وهذا النوع من الأخطاء يتوافق مع ما وجده بورق بهر؛(٤٣) فلا بد للباحثين أن يأخذوا في الاعتبار ذكر هذه البيانات من الجداول التي تتضمن المعلومات المهمة بخصوص استخدام اختبار التائي لمعالجة بيانات البحث، حتى يكون الأمر

---

(٤٢) انظر: One Way ANOVA
https://statistics.laerd.com/statistical-guides/one-way-anova-statistical-guide-2.php seen on 17 December 2020.

(٤٣) انظر: Burak Bahar, The use and misuse of statistical methods in cytopathology studies: Review of 6 journal.

واضحـاً أمـام الجميـع ولا سـيما قيمـة (P) التـي تُعـدّ مـن أهـم الأشـياء في نتـائج البحـوث التـي يُسـتخدم فيهـا الاختبـار التـائي، ولتفـادي حـدوث الخطـأ في نتـائج البحـث، وحرصـاً علـى المصلحة الذاتيـة. كـذلك لا بـد للباحثين مـن كتابـة رقـم نسخة برنامج الحزمة الإحصائية للعلـوم الاجتماعيـة المسـتخدمة بالتفصيـل؛ لأن النسخ المختلفة قد تسهم في وجود الفروق البسيطة بين النتائج الإحصائية.(٤٤)

د. استخدام الاختبـار التـائي للقياسـات المتكـررة: مـن أنـواع الأخطـاء الأقـل حدوثـاً في استخدام الاختبار التائي في بحوث تعليم اللغة العربية للنـاطقين بغيرهـا هي الأخطاء في استخدام الاختبار التائي للقياسات المتكررة؛ فهذه الأخطاء تتعلق باسـتخدام الاختبـار التـائي لعينتيـن مـرتبطتين لقيـاس التغييـرات التـي حـدثت في مجموعة واحدة أثناء البحث، وهذه الأخطاء تتوافـق مـع دراسـة لشـنقوان وو،(٤٥) وجـوان بينـغ ليـانغ؛(٤٦) فمـن المستحسـن أن يسـتخدم الباحـث تحليـل التبـاين للقياسات المتكررة من أجل هذا الغرض.

ومـن بعـض الاقتراحـات للتقليـل مـن الأخطـاء الموجـودة في اسـتخدام الاختبـار التـائي في بحـث تعليـم اللغـة العربيـة للنـاطقين بغيرهـا استشـارة الباحـث للخـبراء في اسـتخدام الاختبـارات الإحصـائية الصـحيحة، والمشـاركة في البرنـامج الذي يعلم فيه كيفية استخدام الاختبارات الإحصائية الملائمة مع بيانـات البحـث، والإكثـار مـن تطبيـق الاختبـارات الإحصـائية حتـى يكـون مـاهراً في اسـتخدامها استخدامـاً صحيحـاً.

---

(٤٤) انظر: Burak Bahar, The use and misuse of statistical methods in cytopathology studies: Review of 6 journal.

(٤٥) انظر: Shunquan Wu. Misuse of Statistical Methods in 10 Leading Chinese Medical Journals in 1998 and 2008.

(٤٦) انظر: Guangping Liang, Analysis of t-test misuses and SPSS operations in medical research papers.

وخلاصة القول: إن استخدام الاختبارات الإحصائية الصحيحة مهم للغاية لصيانة البحوث العلمية من الأخطاء التي قد تؤدي إلى انحراف البحوث عن مسارها المستقيم، ولكون هذه الاختبارات وسيلة مهمة في معالجة بيانات البحث التي سُتحلَّل وتُفسَّر في نهاية المطاف. ولا شك أن نتائج البحث تُعدُّ من العناصر الرئيسة في البحوث العلمية التي يسعى الباحثون إلى الحصول عليها؛ فلا بد من التأكد من صحتها حتى يستفيد الجميع منها.

سيمائية الفضاء المائي: ماء مَدْيَن في السياق القرآني

سماح السميرات(*)

الملخّص

تناولت هذه الدراسةُ سيمائيةَ الفضاءِ المائي (ماءِ مَدْيَن) التي توجه إليها سيدنا موسى عليه السلام، وشكلت مرحلة مهمة من المراحل التي مر بها، كما تناولت أثرَ هذا الفضاء المائي وعلاماتِهِ الواردةِ في النص القرآني على الشخصيات، ومجريات الأحداث، وكشفت عن النسق الثقافي والاجتماعي للمجتمع من خلال العلامات السيمائية في النص.

الكلمات المفتاحية: سيمائية، البنية العاملية، المربع السيمائي، السقاية، البئر.

(*) باحثة أكاديمية متفرغة. تاريخ تسلّم البحث ١٧/ ٨/ ٢٠٢١م وتاريخ قبوله للنشر ٨/ ١١/ ٢٠٢١م.

The Semiotics of Water in the Holy Qur'ān

By Samaḥ al-Samirat

Abstract

The reader of the Holy Qur'ān cannot miss the frequency of references to water in its various manifestations, whether it is a life-giving element as in the story of the infant Moses, or it is a destructive element as in the story of the flood, or in the story of the drowning of the pharaoh and his companions. The present study explores the semiotics of water and traces its function, with special emphasis on water in Midian, in which Moses meets the daughter of Shuaib, helps her to have her turn at the watering well, and ultimately marries her on condition of serving her father for a number of years.

Key terms: Semiotics, Factor structure, Semiotic square, Watering well.

إن حضور الماء بدلالاته المتعددة، وتسيّده أحياناً في أغلب السياقات القرآنية يستفزّ القارئ ليمتحن هذا الحضور، وأثره من الناحية المضمونية والفنية، كما أن الماء يرتبط بالمكان بعلاقة تلازمية.

وتنبع أهمية هذه الدراسة بتسليطها الضوء على الفضاء المائي (ماء مدين) وعلاماته المائية في قصة سيدنا موسى عليه السلام، وتمتحن حضوره، وتدرس سيمائيته وأثره في الشخوص ومجريات الأحداث؛ فقد وردت في السياق القرآني أفعال السقي، منها: [**استسقى، لا نسقي، وما سقيت** وغيرها]؛ فمفردة الماء لازمت سيدنا موسى عليه السلام كثيراً، فلا بد أن ذلك ينبع من أهميتها الفنية والموضوعية؛ لذلك جاءت هذه الدراسة.

كنت أتمنى أن أجد دراسات نقدية جادة تبحث في الخطابات القرآنية فيما يتعلق بدراسة ماء مدين وفق المناهج الحديثة، ولكن ما زالت الخطى نحو هذا المشروع على سبيل التمثيل، دراسة عزيز العرباوي (رمزية الماء في التراث الشعري العربي)، ودراسة نازك الملائكة (منهجية تكسير البنية البئر المهجورة)، ودراسة أحمد بلحاج آية وارهام (دلالات الماء في شعر عبدالكريم الطبال، التشكلات الدلالية للماء في شعر الشاعر المغربي عبدالكريم الطبال مقاربة مفتوحة)، ودراسة إحسان الديك (البئر بوابة العالم السفلي في الشعر الجاهلي)، ودراسة تيسير عبدالجبار (المكان دلالته ودوره السردي) وغيرها ممّا ضمتها حواشي البحث.

بين يدي النص القرآني والمنهج النقدي (السيمائي sémiotique)

عندما نتوجه إلى دراسة النص القرآني لا بد من منهج نقدي لتحليل النص؛ لأنه من دون منهج تبقى المعطيات خرساء نستنطقها فلا تجيب[١]، وعند النظر إلى السياق القرآني الواردة فيه مياه مدين وعلاقتها مع سيدنا موسى عليه السلام لاحظت وجود علامات كثيرة تنبعث من الفضاء المائي باتجاه المكان والشخصيات والأحداث، فناسب الدراسة السير على المنهج السيمائي؛ لما يمتاز به من قدرة على التحليل والتشريح، والعناية بالجزيئات في النص بوصفه علامة، كما أنه يستجلي جماليات النص القرآني.

وسأحاول عند دراسة نصوص القرآن الاستفادة من نظرية المعاني الأربعة الكامنة في نصوص التوراة والإنجيل (يُعلِّم الحرف الأحداث، والرمز ما عليك الإيمان به، والمعنى الخلقي يُعلِّم ما عليك أن تفعله، والروحانية ما تصبو إليه)؛ فالمعنى الحرفي أو التاريخي، أي معنى الأحداث كما جرت، والمعنى الرمزي أو الروحي حيث يتجلى الإيمان، والمعنى الإنساني أو الخلقي الذي يُعلِّم المؤمن قواعد سلوكه، والمعنى الروحاني الذي يكشف للمؤمن النقاب عن الغاية الأخيرة التي سيبلغها[٢].

---

(١) انظر: عبدالله العروي وآخرون، **المنهجية في الأدب والعلوم الإنسانية**، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط٢، ١٩٩٣م، ص٦.

(٢) انظر: رولان بارت، **التحليل النصي، تطبيقات على نصوص من التوراة والإنجيل والقصة القصيرة**، ترجمة: عبدالكبير الشرقاوي، دار التكوين للتأليف والنشر، دمشق، ٢٠٠٩م، ص١٥.

وقد جرت العادة في الدراسات النقدية أن يُقَدَّمَ إطار نظري يتناول الحديث عن السيمائية وتاريخها واتجاهاتها وغير ذلك، كما تناولت بعض الدراسات مدرسة من مدارس السيمائية، ثم تلج إلى الدراسة التطبيقية لنص مختار، فمنها ما درس النص وفق مدرسة بيرس متناولين (السميوزس، والأيقونة، وغيرها)، ومنها ما يحلل النص مسترشداً بمدرسة غريماس فيدرس (المربع السيمائي، والبنية العاملية، وغيرها)، ومنها ما يُعنى باللغة -وفق مجهودات فرينانـد دوسوسير (Ferdinand de Saussure)- التي تعد المظهر الاستعمالي الأساسي للتواصل بما يقتضيه من نقل الدلالات، على وصفها نتاجاً اجتماعياً لمَلَكة اللسان، ومجموعة التقاليد الضرورية التي يتبناها مجتمع ما؛ ليساعد أفراده على ممارسة هذه الملكة(٣).

ولكني حين شرعت في دراسة الفضاء المائي (ماء مَدْيَنَ) في النص القرآني، بخصوص قصة سيدنا موسى عليه السلام، وجدت أنني أحتاج إلى الاسترشاد بجميع النظريات السيمائية؛ لتتبع دلالات الفضاء المائي لأمنحه حقه من الدرس النقدي، وذلك لأنّ مركز الدلالات ليس في النَّص، بل يُبنى لحظة التأويل من صيغة السؤال ذاتها، ذلك أنَّ النَّص ليس مستودعاً لمضمون ثابت، بل طاقة كامنة تحتاج إلى تحيين، كما أن المؤول لا يبحث عن المعنى في نفسه، بل يعيد بناء قصديَّات جديدة يخفيها الظاهر النَّصي.

إن موضوع السيمائيات باختصار يتحدد في دراسة العلامات التي ينتجها الأفراد الذين ينتمون إلى جماعة معينة؛ فالناس يتواصلون فيما بينهم بفضل أنظمة من العلامات، على حد قول جون دوبو (J. Dubois)، وموضوعها هو دراسة

(٣) انظر: فرينانـد دي سوسير، **علم اللغة العام**، ترجمة: يوئيل يوسف عزيز، دار آفاق عربية، القاهرة، ١٩٨٥م، ص٢٧.

حياة العلامات في كنف المجتمع[٤]، وداخل الحياة الاجتماعية، فتساعدنا العلامات على فهم الوجود الإنساني بأبعاده الفردية والاجتماعية [٥]، وهي بحث في المعنى لا من حيث أصوله، وجوهره، بل من حيث انبثاقه عن عمليات التنصيص المتعددة، ووجودها بوصفها الوعاء الذي تصب فيه السلوكيات الإنسانية، ولا نريد الإطالة في ذلك، ولكننا سنستفيد من جهود السيميائيين في الكشف عن المعنى في مقامه، كما سنبحث عن العلامات التواصلية الكلامية وغير الكلامية، وسيتسع المقام لتطبيقها أكثر من التنظير لها عند دراسة الفضاء المائي (ماء مَدْيَنَ) الذي توجه إليه سيدنا موسى عليه السلام وأثره في الأحداث والشخصيات.

سيمائية التوجه إلى مَدْيَنَ

ولا نستطيع أن نباشر تحليل الماء سيمائياً إلا من خلال توضيح ممتدات هذا الفضاء السابقة، واللاحقة من النصوص القرآنية، فمن الجائر أن نبدأ الدراسة بمجرد دخول موسى عليه السلام إلى منطقة مَدْيَن ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهۡدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ (القصص:٢٢)؛ لأن الحدث بدأ في مصر حين قتل موسى عليه السلام القبطي من غير عمد، وافتضح أمره، وخاف من ظلمهم له، عندها دعا اللهَ أن يهديه سواء السبيل؛ فتحدد المكان، ووقع الاختيار على مَدْيَنَ لتبدأ مرحلة جديدة له كما سيرد.

---

(٤) انظر: فاطمة الزهراء جمعي، **"تحليل سيميائي للخطاب القرآني، سورة الملك أنموذجاً"**، **مجلة المدونة**، المجلد ٥، العدد ٢، ٢٠١٨م، ص٤٨٨، نقلاً عن:

J. Dubois et Autres, *dictionnaire de linguistique*, Larousse-Bordas/VUEFM, 2002, p.434.

(٥) سعيد بنكراد، **السيميائيات مفاهيمها، وتطبيقاتها**، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سورية، ط٣، ٢٠١٢م، ص١٥.

ولابد من الوقوف على التعريف بهذا المكان، الذي صلح أن يكون اسم الأرض التي تقع بين حدود الشام ومصر، وهي أكبر من تبوك، وبها البئر التي استقى منها موسى عليه السلام[٦]، وترجح الأقوال أنها تقع في جنوب الأردن في الكرك تحديداً، بالقرب من مؤتة والله أعلم[٧]. وهي (مَدْيَنُ) كما يضبطها لنا صاحب معجم البلدان[٨]، ولكن أهالي الكرك حاضراً ينطقونها (مِدّينْ).

ووفق مفهوم السيمائيات بكونها علم العلامات، ومصطلح العلامة مرتبط بالمعنى، والسيمائيات تقرُّ بانفتاح المعاني بوصفها قائمة في النص مهما تكن طبيعته، بل لأنها تتولد من طرف متلقيها، ومعاودة إنتاجها من جديد من خلال ما ينتجه كل نص جديد من إمكانات إيحائية، ورمزية متجددة، وغير نهائية، ما دامت تتصل باعتباطية هذه اللغة، أو بالعلامة نفسها، التي تشكل رمزاً حمالاً لمعانٍ متجددة ينتجها المتلقي[٩].

---

(٦) إسحاق بن الحسين المنجم (ت ق٤هـ/ ١٠م)، **آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان**، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ، ص٩١. وشهاب الدين الحموي (ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م)، **معجم البلدان**، ٧ج، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥م، ج٥، ص٧٧. وهناك مصادر كثيرة أكدت وجود البئر في مَدْيَن، منها: أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الإصطخري (ت٣٤٦هـ/ ٩٥٧م)، **المسالك والممالك**، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، د.ت، ص٢٤. وزكريا بن حمد القزويني (ت٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م)، **آثار البلاد وأخبار العباد**، دار صادر، د.ت، بيروت، ص٢٦١. وأحمد بن علي المقريزي (ت٨٤٥هـ/ ١٤٤١م)، **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، ٤ج، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ، ج١، ص٣٤٥.

(٧) لم يثبت تحديد مكانها، واختلفت الأقوال فيها؛ فمنهم من يذكر أنها قريبة من تبوك، ومنهم من يرجح أنها في الأردن، وأنها مِدْين حالياً قريبة من مؤتة، وفيها بئر ماء والله أعلم، ولكننا نذكرها للأخذ بأحد هذه الأقوال وشهرتها.

(٨) انظر: الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٧٧.

(٩) انظر: حسن مسكين، **مناهج الدراسات الأدبية الحديثة: من التاريخ إلى الحجاج**، مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م، ص١٠٣.

لـم يكـن موسـى عليه السلام يعـرف إلـى أيـن يتجـه بعـد أن خـرج مـن مصـر خائفـاً، ومتورطـاً بجريمة قتل، فنجده يطلب العون من الله في اختيار المكان الذي سيتوجه إليه ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهۡدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ (القصص:٢٢)؛ لأنه لم يكن في حالة مستقرة يستطيع معها التخطيط، وكـان خائفـاً، وهمّـه الفـرار والابتعـاد عـن بطـش فرعـون، وهـذا مـا حـدث مـع أصـحاب الكهـف الـذين هربـوا مـن بطـش ملكهـم واسـتعانوا بـالله ﴿إِذۡ أَوَى ٱلۡفِتۡيَةُ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةٗ وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدٗا﴾ (الكهف:١٠) فأرشدهم الله إلى الكهف وهيأه لهم برحمته، وهذا سلوك إنساني بوصفه حالة ثقافية منتجة للمعاني، وحالة وعي معرفي ممتد في حقول معرفية متعددة على حد تعبير سعيد بنكراد(١٠).

ويـذكر بعـض المفسـرين في تأويـل قـول موسـى عليه السلام ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهۡدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ (القصـص:٢٢)، أن الله قـيض لـه الطريـق أي: قصـد الطريـق إلـى مَدْيَنَ، وقال موسى عليه السلام هذا الدعاء لأنه لم يكن يعرف الطريق إليها من قبل(١١)، ومـن الملاحـظ في قولـه ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلۡقَآءَ مَدۡيَنَ﴾ (القصـص:٢٢) غلبـة الفضـاء المكاني وعلاماته في السياق، حيث (توجه) أي: [قصـد مكانـاً مـا] و(تلقـاء) تعني [جهة أو مقابلة وتكون للمكان]، و(مَدْيَنُ) اسم مكان، وهـذه الأمـاكن تلعـب دوراً مهمـاً في الأحداث(١٢)؛ فلا سرد ولا حدث بدون مكـان، ولعـل توجـه موسـى عليه السلام لمَدْيَن يعود للأسباب الآتية:

---

(١٠) انظر: سعيد بنكراد، السيميائيات: مفاهيمها وتطبيقاتها، ص٧.

(١١) انظر: أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت٥١٠هـ/ ١١١٦م)، **معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)**، ٥ج، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٩م، ج٣، ص٥٢٨.

(١٢) انظر: بوريس توماشفسكي، **نظرية المنهج الشكلي: نصوص الشكلانيين الروس**، ترجمة: إبراهيم الخطيب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، والشركة المغربية للناشرين المتحدين، الرباط، ط١، ١٩٨٢م، ص١٨٠.

أولاً: إن سُلطة مَدْيَن لا يملكها فرعون، ولا تدخل تحت سيطرته.

ثانيًا: يذكر القرطبي أن سبب ذهابه لوجود النسب الذي بينه وبينهم؛ لأن مَدْيَنَ من ولد إبراهيم، وموسى عليه السلام من ولد يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم.

ثالثًا: إن مجتمع مَدْيَن مجتمع صالح، ظل يحتفظ بتعاليم النبي شعيب عليه السلام الذي بشر بالتوحيد، حتى قيل إن مَدْيَن اسم القبيلة التي كان منها شعيب عليه السلام[١٣] ويطلق عليهم بنو مديان بن إبراهيم عليه السلام[١٤]، ويذكر القزويني أن مَدْيَنَ بن إبراهيم الخليل جد شعيب عليه السلام هو من بناها[١٥]، ومن سكان مَدْيَن بنو جذام، وشعيب أحد بني وائل من جذام، وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «الإيمان يمان إلى لخم وجذام، صلوات الله على جذام، يقاتلون الكفار على رؤوس الشعف، ينصرون الله ورسوله»[١٦]، وبنو جذام ظل نسبهم ممتداً إلى عهد الرسول ﷺ فعندما وفدوا عليه مبايعين في غزوة تبوك، وكانت مَدْيَن منازلهم قال لهم: (مرحباً بقوم شعيب، وأصهار موسى، ولا تقوم الساعة حتى يتزوج فيكم المسيح ويولد له)[١٧]، بالإضافة إلى أن والد الفتاتين اسمه شعيب، وهو رجل صالح، وبهذا يكون المجتمع المكون لمنطقة مَدْيَن مجتمعاً أكثر صلاحاً من مصر.

---

(١٣) انظر: الإصطخري، المسالك والممالك، ص٢٤. وانظر: الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٧٧.

(١٤) انظر: المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج١، ص٣٤٥.

(١٥) انظر: القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص٢٦١.

(١٦) جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ/ ١٥٠٥م)، **جامع الأحاديث**، ١٢ج، دار الإفتاء المصرية ووزارة الأوقاف الكويتية، ط١، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ج٣، ص٨٩٩، حديث رقم (١٠٦٠٧).

(١٧) انظر: المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج١، ص٣٤٥.

ويمكن القول إن (مَدْيَنَ) الواردة في النص القرآني ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ﴾ (القصص:٢٢) علامة تحيل إلى كيان مادي يتمتع بطاقة تواصلية قوية، وبقدرة إبلاغية، من خلال الإحالة على الواقع وتجسيده، أو أن تقوم العلامة اللغوية على مواضعة عرفية بينها وبين موضوعها[١٨]؛ فالمكان هو (العمود الفقري لأي نص، بدونه تسقط تلقائيًا العناصر المشكلة له)[١٩]، وقد أشار القرآن إلى الحالة التي كان فيها موسى عليه السلام لدن خروجه من مصر، متورطًا بجريمة قتل ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾(القصص:١٥)، وافتضح أمره، واهتزت صورة الصلاح والنخوة عنده من قبل الناس، وصار في نظرهم جباراً يفتك بالناس ﴿أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ (القصص:١٩)، ومتوتراً وخائفًا ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ (القصص:٢١)، وفاراً من ذنبه ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾ (الشعراء:٢١)، ومهددًا بالقتل ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾ (القصص:٢٠)، ولكن فراره كما يذكر بعض المفسرين ليس من العدالة، وإنما الفرار من الظلم والخوف من معاملته معاملة المجرم القاتل المتعمد، ويذهب فريق آخر إلى أن فراره خوف من الموت، وعدم إنقاذ بني إسرائيل أو أهله من فرعون، ويمكننا أن نتعامل مع توجه موسى عليه السلام إلى مَدْيَنَ من خلال البنية العاملية التي نادى بها غريماس (Greimas) في تحقيق البرنامج السردي عبر محاور ثلاثة لها إمكانية تكوين علاقة قابلة لتولد توتر خاص داخل النص مثلت نسقًا، أي سلسلة من العلاقات المنتظمة[٢٠]، وهي:

(١٨) انظر: عامر الحلواني، **في القراءة السيميائية**، كلية الآداب، صفاقس، تونس، ط١، ٢٠٠٣م، ص٣٠.

(١٩) حميد الحمداني، **بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي**، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٠م، ص٦٢.

(٢٠) انظر: سعيد بنكراد، **سيميولوجيا الشخصيات السردية**، دار المنهل، عمّان، ٢٠٠٣م، ص٩٢.

الذات- الموضوع = محور الرغبة

المرسل - المرسل إليه = محور التواصل

المساعد – المعيق= محور الصراع

ويمكن تمثيلها على النحو الآتي:

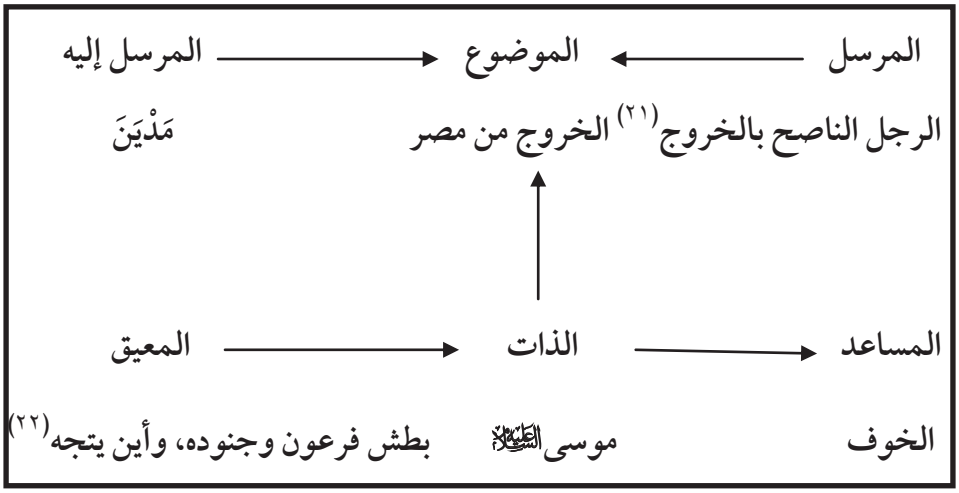

ومن خلال الخطاطة السابقة نكتشف وجود ملفوظين:

أ- ملفوظ حالة متأت من وجود عاملين هما الفاعل الذي يمثل الذات والموضوع (سنرمز للعامل- الذات: ذ، والموضوع: م) وهذان العاملان يكونان في حالتين، إما انفصال على نية الاتصال، أو اتصال، وسنرمز لملفوظ الحالة بالمعادلتين الآتيتين:

(٢١) قال تعالى: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ (القصص: ٢٠).

(٢٢) قال تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ (القصص: ٢٢).

- (ذ ∪ م) معادلة انفصال، في البدء لم تحقق الذات (موسى) التوجه إلى مَدْيَنَ فدعا الله أن يهديه لها.

– (ذ ∩ م) معادلة اتصال؛ إذ نجح سيدنا موسى في تحديد المكان، وتوجه إلى مَدْيَنَ.

ويمكن أن نمثل لملفوظ الحال على النحو التالي[٢٣]:

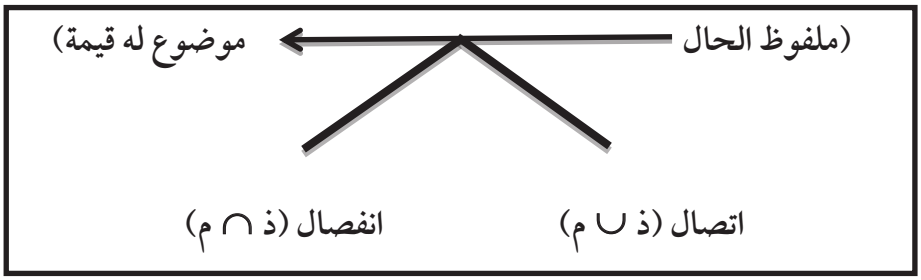

ب– ملفوظ الفعل، ويتأتى هذا الملفوظ من التحولات التي تصيب ملفوظ الحالة بفعل ذات/ فاعل أو ما يسمى العامل الإجرائي، أو الفعل ويمكن الانتقال من حالة الانفصال إلى حالة الاتصال أو العكس.

سيمائية الفضاء المائي (ماء مَدْيَنَ)

إن حضور الماء بدلالاته المتعددة، وتسيده أحيانًا في أغلب السياقات القرآنية يستفزّ القارئ ليمتحن هذا الحضور، وأثره من الناحية المضمونية والفنية، كما أن الماء يرتبط بالمكان بعلاقة تلازمية، ولئن كان الماء شيئًا حسيًا ملموسًا؛ فالمكان يدرك بطريقة ضمنية من خلال احتضانه للماء، واحتوائه له بكل تجلياته المتعددة[٢٤].

(٢٣) انظر: حميد لحمداني، بنية النص السردي، ص٥٤.

(٢٤) انظر: عزيز العرباوي، **رمزية الماء في التراث الشعري العربي**، دراسة سيمائية، دائرة الثقافة والإعلام، حكومة الشارقة، ٢٠١٥م، ص٧٠.

وبالنظر إلى ﴿مَآءَ مَدْيَنَ﴾ (القصص: ٢٣)، نجد أن الماء أضيف إلى منطقة مَدْيَنَ فصار معرفة، فماء مَدْيَنَ تعبير يشي بالملكية؛ فالماء لمَدْيَنَ، ومَدْيَن تمتلك هذا الماء؛ ليفي بحاجتها، وماء القوم هو الذي تعرف به ديارهم؛ لأن القبائل كانت تقطن عند المياه، وكانوا يكنون عن أرض القبيلة بماء بني فلان[٢٥]؛ فالماء عامل استقرار، ويعد في مخيال الشعوب "كوجيطو" الوجود، ولا غنى عنه لأي تجمع عمراني في أي منطقة، يقول ابن خلدون في مقدمته "وأما جلب المنافع والمرافق للبلد فتراعى فيه أمور منها الماء بأن يكون البلد على نهر، أو بإزائه عيون عذبة ثرة، فإن وجود الماء قريباً من البلد، يسهل على الساكن حاجة الماء، وهي ضرورية؛ فتكون لهم في وجوده مرفقة عظيمة عامة"[٢٦].

ولا بد من التنويه أن المقصود بماء مَدْيَن بئر مَدْيَن -كما تذكر المصادر- ويوحي بأن مصادر الماء في مَدْيَن موجودة في هذا البئر، أو أن البئر احتفظ بنصيب مَدْيَن من المخزون المائي بين جنباته؛ فالبئر إذن ليست معطلة، وإنما نابضة بالمقدس الذي يمنح الحياة لهذه المدينة، وهذا الممتد الفضائي يوحي بالسعة ويزدوج في ماء مَدْيَنَ الفضاء المائي بالمكاني، ويمكن نحته بالمامكاني-إن جاز لنا التعبير- وعندما امتزج الفضاء المائي مع المكاني كوَّنا أيقونة رمزية عالية الدلالة، تعمقت قدرتها النعتية، واتسع نطاقها الرمزي؛ لأن الغرض من توسيع صورة الرمز، وتعميق واقعه النعتي ومدّه إلى حدود واسعة هو مضاعفة طاقته الدلالية

(٢٥) انظر: محمد الطاهر بن عاشور (ت١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م)، **تفسير التحرير والتنوير**، ٣٠ج، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م، ج٢٠، ص٩٨.

(٢٦) عبدالرحمن بن خلدون (ت٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م)، **مقدمة ابن خلدون**، تحقيق: عبدالله محمد الدرويش، دار يعرب، دمشق، ط١، ٢٠٠٤م، ص٢٧٦.

وتخصيبها، فضلاً عن التوكيد المثري لغموضه كلما اتجه النسق نحو العمق أو المركز(٢٧).

إن سر حضور البئر ليس لكونها حاملة الماء، وإنما من وجهها الآخر من خلال ارتباطها بالأحداث؛ فالمكان مشكلي لا يمكن رؤيته من جانب واحد؛ لأنه متعدد الأبعاد(٢٨)، وتعد البئر المكان الأكثر حضوراً في تشكيل الأحداث؛ لأن البئر مكان أليف ومألوف، وترتبط كينونة الإنسان ارتباطاً عميقاً بالأمكنة الأليفة؛ لأنّ المكان الأليف يمتلك جاذبية تشد الإنسان إليه، ويبقى الإحساس به قوياً لدى الإنسان، حيث يبعث فيه الشعور بالدفء والحرارة والحماية، فالمكان الأليف قريب من النفس...وصناعة الألفة تكون من خلال الملازمة والمشابكة بين الإنسان والمكان والمعايشة لمدة طويلة(٢٩).

سيمائية الماء وعلاقته بالشخصيات:

وللماء في جميع السياقات الإنسانية دلالات شتى، وقد يكون بديهيًا ارتباطه بالحياة على الأرض كما تصورته أغلب الديانات، وكما فصلت القول في ذلك الأساطير قبلها، فهو سابق في الوجود على الخلق ذاته. إنه أصل وليس مضافًا كما

(٢٧) انظر: محمد صابر عبيد، **جماليات القصيدة العربية الحديثة**، منشورات وزارة الثقافة، القاهرة،٢٠٠٥م، ص٥٠.

(٢٨) علي مهدي زيتون، **النص من سلطة المجتمع إلى سلطة المتلقي**، حركة الريف الثقافية، بيروت، ٢٠٠٦م، ص١٥٠.

(٢٩) انظر: رجاء أبو علي وأكرم حبيبي، **"سيمائية المكان في رواية البئر لإبراهيم الكوني"**، **مجلة إضاءات نقدية**، السنة الثامنة، ع٣٠، ٢٠١٨م، ص١٢٥. ومثنى عبدالله المستوني، **حركية الفضاء في الشعر الأندلسي، نصوص ابن زيدون الشعرية أنموذجًا**، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمّان، ط١، ٢٠١٣م، ص١١٢.

هي حالة النار مثلاً، وبذلك، فهو موجود خارج الزمنية المعروفة، أو هو وليد كم زمني هلامي انبثقت عنه زمنية استوطنت الفعل الإنساني وتحكمت في مساراته؛ فإن السيطرة على الماء و"تدجينه" كانت هي البوابة نحو اكتشاف الأنشطة التي من خلالها اتخذ الكائن البشري حجمًا إنسانيًا وراكم معارف رمزية حول العالم وحول ذاته(٣٠)، وإذا كان الماء هو أصل الحياة، والبئر مصدر من مصادر الماء، فكأن لوحة الحياة بحذافيرها، وبكلّ مظاهرها، ماثلةٌ في هذا الفضاء المتحايز، لما عكست من صورة المجتمع عن طريق إبراز هوية الشخصيات وبعدهم الاجتماعي والأخلاقي، والإنسان -كما يقول شارل بودلير- غابة من الرموز، بل إن البشر -كما يقول إمرسون- رمز تسكن رموزاً؛ فالرمز له مدلوله الوجداني، وهدفه السوسيولوجي، والاستيطيقي، ومداه الوجودي وما إلى ذلك؛ لأنه لصيق بالنفس الإنسانية(٣١).

فالسياق القرآني أظهر ثلاث شخصيات: الرعاة، والفتاتين، وموسى عليه السلام، فإذا كانت الشخصيات تشي ببعدها الاجتماعي، إلا أننا نبحث عن قدرة الفضاء المائي في تحديد الشكل الإنساني لهذه الشخصيات، وأثره فيها، فالماء ملازم عقلًا وفكرًا وطقسًا للإنسان، ويتسع دوره ومدلوله الكلاسيكي بأن يصبح رمزًا قويًا يشحذ المعاني ويصيب الحاف منها(٣٢)، وليست الحقيقة التي تحيط بنا هي ما نبصره

(٣٠) انظر: سعيد بنكراد، **ذاكرة الماء ولاوعي السرد، الطوفان الرمزي في السرد الروائي**، موقع سعيد بنكراد، تاريخ الاسترجاع: ٢٩/ ٦/ ٢٠٢١م:

http://saidbengrad.free.fr/ar/semio-eau.htm.

(٣١) انظر: أمبرتو إيكو، **سيميائيات الأنساق البصرية**، ترجمة: محمد التهامي، مراجعة: سعيد بنكراد، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، ط١، ٢٠٠٨م، ص٧٧.

(٣٢) الحَافُّ: ما يَحُفُّ بالشيء. انظر: محمد بن مكرم، ابن منظور (ت٧١١هـ/ ١٣١١م)، **لسان العرب**، ١٥ج، تحقيق: محمد أحمد، دار صادر، بيروت، ١٩٥٦م، (مادة حيف).

من كائنات حية، أو جامدة، بل هى إلى جانب ذلك ما يضفيه الخطاب اللغوي، من قيم وصفية عن هذه الكائنات، والأشياء(٣٣).

أولاً: الأمة من الناس، والرعاء والماء

إن بئر مَدْيَن كانت- المرآة التي تعكس وجه الحياة حينئذٍ؛ فقد وجد موسى عليه السلام عليها حركة الحياة ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ﴾ (القصص:٢٣)، ومن سقاية المواشي، تختلط هذه الحركة بحركة الصراع على الماء، حيث الغلبة في أخذ الماء للأقوى، وهذا شأن الماء لا يمنح بعضه للضعيف، وعندما تعجز البئر عن أداء دورها تصبح بئراً معطلة كما كانت في ذات المنطقة عندما سادها أصحاب الأيكة.

تشير دلالة الماء إلى القداسة؛ لأنه عنصر التجديد، وعنصر الإخصاب، واكتسبت البئر شيئًا من هذه الدلالة المقدسة (مستودع الماء/الحياة)(٣٤)؛ ولهذا كانت فكرة الصراع عليه واردة، وتتضح من خلال لفظة السقي ومشتقاتها الواردة في السياق القرآني [**يسقون، لا نسقي، فسقى، ما سقيت لنا**] وتشير لفظة السقي في اللغة إلى النصيب أو الحظ من الماء(٣٥).

---

(٣٣) تيسير عبدالجبار، **المكان دلالته ودوره السردي**، شبكة الإنترنت، بتاريخ ١٧/ ٨/ ٢٠٠٩م، تاريخ الاسترجاع: ١٧/ ١/ ٢٠١٩م:

jeran.com/blogs/blog/addcomment.aspx

(٣٤) انظر: إحسان الديك، **"البئر بوابة العالم السفلي في الشعر الجاهلي"، مجلة دراسات**، العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد ٣٦، ٢٠٠٩م، ص٣٣.

(٣٥) أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي (ت٣٢١هـ/ ٩٣٣م)، **جمهرة اللغة**، ٤ج، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٧م، ج١، ص٨٥٣. وأبو الحسن علي بن إسماعيل المعروف بابن سيده (ت٤٥٨هـ/ ١٠٦٦م)، **المخصص**، ٨ج، تحقيق: خليل جفال، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧١م، ج٢، ص٤٥٦. ولسان العرب، مادة (سقي).

واستناداً إلى مركزية الفضاء المائي وعلاماته وقوته الإيحائية سنبحث في علاقته مع الشخصيات ومجريات الأحداث، ومحاولة استنطاق ما خفي من علامات سربها النص القرآني على شكل وحدات وصفية تخبئ في ثناياها طاقة دلالية عالية تكشف الوجه الحدثي للقصة.

إن من الواضح اجتماع أشخاص عديدين حول ماء مَدْيَنَ بينتها الآيات ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِّ﴾ (القصص:٢٣)، وهم: سيدنا موسى عليه السلام، ومجموعة من الناس، والفتاتان، وعلى بعد من ماء مَدْيَنَ يقطن أبو الفتاتين، وأهل مَدْيَنَ لا شك، وسنحاول استقراء رمزية الاستقاء[٣٦] مع الشخصيات الواردة إلى هذا الفضاء من خلال النص القرآني؛ فالنص (أو بالأصح نسيج النص) يتشكل من تضافر عدد من الأنساق وتشابكها وانجدالها، التي هي عموماً مجموع الإحالات والاقتباسات، وقواعد المقروئية، والبناء الرمزي، والمناخ الأيديولوجي التي تمنح النص مظهر الانسجام والاتساق، ويمكن وصف النص على أنه نص مجتمعي وثقافي[٣٧].

ومن الواضح أن السيمائيات لا تتفرد بموضوع خاص بها؛ فهي تعنى بكل ما ينتمي إلى التجربة الإنسانية والعادية شريطة أن تكون هذه الموضوعات سيرورة دلالية[٣٨]، ولن نتوقف عند المعنى الأولي (المعنى التعييني) للإشارة المبثوثة،

(٣٦) الاستِقاءُ: الأخذ من النهر والبئر. انظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ/ ٧٩١م)، **كتاب العين**، ٨ج، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (د.ط)، (د.ت)، ج٥، ص١٩٠.

(٣٧) انظر: بارت رولان، **التحليل النصي، تطبيقات على نصوص من التوراة والإنجيل والقصة القصيرة**، ترجمة: عبدالكبير الشرقاوي، دار التكوين للتأليف والنشر، دمشق، ٢٠٠٩م، ص١٤.

(٣٨) انظر: سعيد بنكراد، السيمائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، ص٢٨.

ولكننا سنسعى إلى معان ثوانية (المعاني التضمينية) التي تمتلكها العلامة أيضًا، وقد سمى ذلك رولان بارت (علاماتية التضمين).

إننا ومن خلال السياق القرآني ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ﴾ نستطيع معرفة تكوين مجتمع مَدْيَنَ الذي برزت شرائحه على الماء، من خلال لفظة (أمة) التي تعني الجماعة بإجماع المفسرين، وفي الاصطلاح: جماعة من الناس تجمعهم روابط تاريخية مشتركة، قد يكون فيها ما هو لغوي، أو ديني، أو اقتصادي، ولهم أهداف مشتركة في العقيدة، أو السياسة، أو الاقتصاد[٣٩]، وكان الهدف من تجمعهم هو السقاية، وليس الترفيه ﴿يَسْقُونَ﴾، وهذه الأمة تشكل نسقًا ثقافيًا، وعرفنا من خلال سؤال موسى للفتاتين أن من بينهم أيضًا رعاء مواشي ﴿لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ﴾ (القصص:٢٣) فهناك روابط عميقة بين العلامات والتأويل، وذلك لأن (شيئًا ما لا يكون علامة إلا لأنه يؤول بوصفه علامة لشيء ما بوساطة مؤول ما)[٤٠]، وبما أن الأمة جاءت لتسقي فلا بد أن تكون لكل منهم طريقته في جلب الماء من البئر.

وأبانت البئر عن قداسة مائها وأهميته من خلال تنافس الأمة من الناس عليه، وخاصة الرعاء، وانهماكهم في الحصول على نصيبهم منه، وهذا شأن الطبقة العاملة المنهمكة في إنجاز عملها دون الالتفات إلى مساعدة الآخرين، وربما ولّد ذلك

(٣٩) انظر: معجم المعاني الجامع – معجم عربي عربي، موقع إلكتروني، وانظر: صادق محمد الدبش، **"كلمة أمة / معناها واستعمالها في القرآن الكريم"**، **الحوار المتمدن**، العدد ٤٩٦٥، ٢٠١٥م، ص ص٢١-٤٢.

(٤٠) انظر: منذر عياشي، **العلاماتية وعلم النص**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط١، ٢٠٠٤م، ص١٣.

لديهم شيئًا من البخل، وقلة المروءة [٤١]، والقسوة، والأنوية للمحافظة على الماء، حيث تذكر المصادر أنهم كانوا يعيدون الصخرة على البئر بعد فراغهم من السقاية[٤٢]، فلا تسقي الفتاتان إلا من بقايا سوائمهم، وبعد أن يصدروا عن البئر ﴿لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ﴾ (القصص:٢٣)، وبهذا تكون البئر منحتهم السلطة الذكورية المستحوذة والمهيمنة؛ فالضعيف في هذا الصراع مستبعد ومعزول (**لا نسقي حتى**)، وهذه الهيمنة لها أبعادها من الناحية الاجتماعية والاقتصادية في مجتمع رعوي يعتمد على الثروة الحيوانية.

ويرتبط الفضاء المائي (البئر) ارتباطًا عضويًا بالاستثمار الفاعلي الإنساني لمداه ولمقطوعاته؛ فسيميائية غريماس تجعل من الفضاء موضعة قابلة لأن تدرس في المستوى الخطابي فتعمد إلى تبيان اشتغاله وعلاقته بالأدوار الموضوعات، وتوضح خصائصه الصورية، كما أن البئر لا تحوي قيمًا في ذاتها، وإنما في هيئتها ووظائفها، وطبيعة العلاقة التي تربط الإنسان بها[٤٣]، ومن خلال البنية العاملية التي نادى بها غريماس في تحقيق البرنامج السردي نجد أن الأمة من الناس بما فيهم الرعاء مثلوا الذات، وأما موضوع الرغبة فكان الاستقاء من ماء البئر، والمرسل هو حاجتهم لهذا الاستقاء، والمرسل إليه هو بئر الماء، والعامل المساعد على تحقيق الاستقاء بالقوة والقدرة على التنافس، وأما العامل المعاكس

---

(٤١) انظر: عبدالرحمن السعدي (ت١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م)، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، تحقيق: عبدالرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م، تفسير سورة القصص، ص٦١٤.

(٤٢) منها: أبو محمد عبدالرحمن الرازي (ت٣٢٧هـ/ ٩٣٨م)، **تفسير القرآن العظيم**، ١٦ج، تحقيق: أسعد الطيب، مكتبة الباز، السعودية، ط٣، ١٤١٩هـ، ج٩، ص٢٩٦٤.

(٤٣) انظر: علي مصطفى، **تمفصل الفضاء في رباعية الخسوف لإبراهيم الكوني مقاربة سيميائية**، أطروحة دكتوراة، جامعة عبدالحميد بن باديس، الجزائر، ٢٠١٨م، ص ص٢٩٨-٣٠٠.

للذات الفاعلة، فهي بقية الأمة التي يطمح كل واحد منهم الحصول على الماء أولاً، فتحاول جاهدة عرقلة الفاعل في حصوله على موضوع الرغبة(٤٤).

وما يفيد الحال يعكس العلاقة بين الذات والموضوع، وهي إما علاقة اتصال، أو علاقة انفصال، وما يدل على الانتقال من حال إلى حال هو التحول، وهو إما تحول اتصال أي الانتقال من حالة الانفصال إلى حالة الاتصال، أو تحول انفصالي أي الانتقال من حالة الاتصال إلى حالة الانفصال(٤٥)، وربما يتضح الأمر بالمعادلة الآتية:

(ذ ∪ م) معادلة انفصال، لم تسقِ الأمة من الناس جميعها في وقت واحد.

(ذ ∩ م) معادلة اتصال، في النهاية سقوا جميعهم.

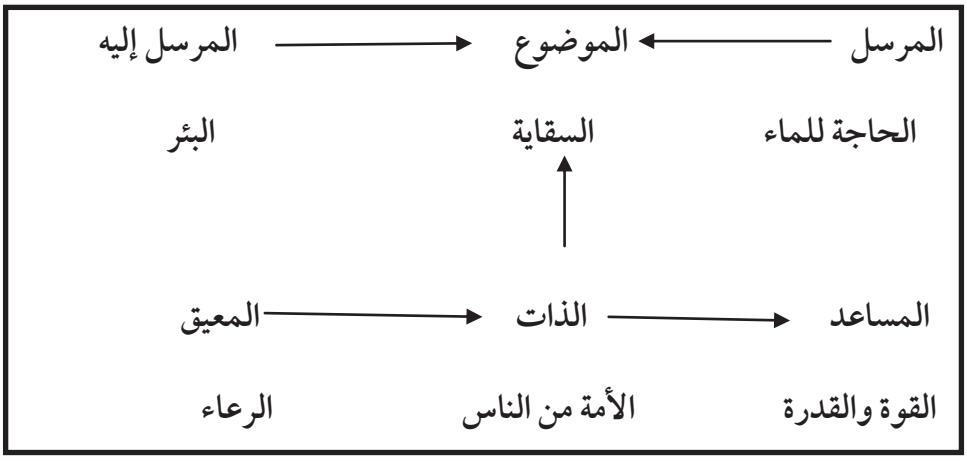

(٤٤) انظر: سليم بركان، **"النسق الإيديولوجي وبنية الخطاب الروائي"، دراسة سوسيوبنائية لرواية (ذاكرة الجسد) للروائية أحلام مستغانمي**، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، ٢٠٠٤م، ص٩.

(٤٥) انظر: محمد مفتاح، **في سيمياء الشعر القديم، دراسة نظرية وتطبيقية**، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، ١٩٨٩م، ص١٠٩.

ويمكننا أن نمثل بالمربع السيمائي بوصفه مجموعة منظمة من العلاقات المبرزة لتمفصلات الدلالة، وبالتالي يصبح أهم عنصر من عناصر البنية العميقة بوصفه حوصلة كل التحليل السيميائي؛ حيث إنه الشكل الإجمالي لمعاني النص، تسيره علاقات وعمليات معينة(٤٦)، ويمكننا أن نمثل لحركة الأمة والرعاء على ماء مدين بعلاقة تضادية هي ثنائية (الحياة والموت)، وعلاقة التناقض هذه علاقة حرمانية (تعتري التناقض) (لا حياة، ولا موت) ولتوضيح ذلك؛ فبئر الماء تعني للأمة والرعاء ومجتمع مدين الحياة التي يقابلها الموت، والحياة والموت يمثلان الوجود؛ فأخذ الماء من البئر حياة واستقرار ووجود وكينونة، وإذا لم يحصلوا عليه فهذا يعني موتًا لهم ولماشيتهم، وبالتالي ينتج عن ذلك فناء وزوال ولاوجود؛ وبالتالي تتواتر موضعات عديدة تتشاكل فيما بينها، وتمثل البئر الفضاء الذي تتجلى فيه الحالة الوجودية/ ضد/ العدم، يمثله الشكل الآتي:

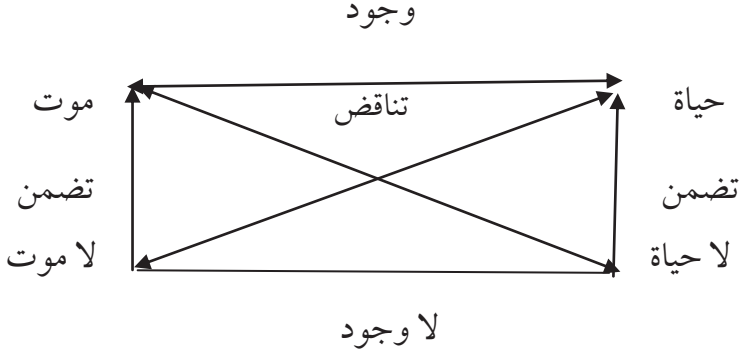

(٤٦) انظر: راضية لرقم، **النص السردي عند الحطيئة وعمرو بن الأهتم –دراسة سيمائية–**، أطروحة ماجستير، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، ٢٠٠٩م، ص ص٨٩-٩٠.

ومن خلال المربع السيمائي تظهر البئر رمزاً للحياة والموت والحقيقة؛ لأنه يحتوي على الماء، لكنه ماء ليس سريع الجريان، وبالتالي تكون البئر رمزاً مزدوجًا، ورمزاً للحياة وللموت، وللعطش والارتواء، وللموارد الطبيعية والاجتماعية أيضًا، للتواصل بين الناس ووجودهم معًا للسقاية، والشرب من البئر، ورمزاً لتشتتهم وتفرقهم بعيدًا عن البئر(٤٧)، وتمثل البئر الفضاء الذي تتجلى فيه الحالة الوجودية/ كينونة/ ضد العدم، وجوده مرادف للحياة والاستقرار، وانعدامه يعني النفوق والموت والترحال.

ثانيًا: الفتاتان والماء

ذكر النص القرآني وجود فتاتين في قوله ﴿وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ﴾ (القصص:٢٣) وبالاستفادة من التحليل السيمائي الذي يعنى بكل مجالات الفعل الإنساني بدْءاً بالانفعالات البسيطة، ومروراً بالطقوس الاجتماعية، وانتهاءً بالأنساق الأيديولوجية الكبرى(٤٨)، فإن الذات الأنثوية (الفتاتين) ظهرت في مكان غير المكان الذي حول الماء، أي منعزلة عن الذوات الذكورية (الأمّة، والرعاء)، أظهرت لنا ذلك كلمة (من دونهم)، كما أن حقيقة كلمة (دون) أنها وصف للشيء الأسفل من غيره(٤٩)، ويتضح لنا من النص القرآني أن الأنوثة تتخذ المكان الأسفل؛ فالبئر مؤنثة ومكانها أسفل الأرض بدليل وجد ﴿عَلَيۡهِ أُمَّةٗ﴾، و(على)

(٤٧) انظر: شاكر عبدالحميد، **رمزية البئر والسرداب قراءة في ديوان "يمشي كأنَّه يتذكر" للشاعر البهاء حسين**، ٧ أبريل، ٢٠٢١م، تاريخ الاسترجاع ٥/ ٧/ ٢٠٢١م:

https://alketaba.com/

(٤٨) انظر: سعيد بنكراد، السيمائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، ص٢٨.

(٤٩) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، تفسير سورة القصص، آية٢٣، ص٩٩.

تفيد الاستعلاء؛ فالأمة تستعلي بئر الماء المؤنثة، فلم يقل القرآن (وجد حوله أمة)، وهذه حال الذكورة المستعلية على الأنوثة في الذاكرة الجمعية، وبدل أن تنجح البئر في تأنيث المكان، تولى المكان ذاته تذكير الأنوثة، وإدماجها في سياق مذكر ظل يؤطرها ويطوقها(٥٠).

كما أن الفتاتين كانتا تقفان في مكان أسفل بدليل ﴿وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ﴾ وتشير هذه الوقفة إلى كون ثقافي مسكوك يعرفه المتلقي ويعرف خصائصه، وهو نتيجة لذلك قادر على التماهي معه؛ فطريقة المشي، أو الجلوس، أو الوقوف، أو الاتكاء، أو طريقة إنتاج الإيماءات، هي من صلب الثقافة التي تحتكم إليها الرؤية في تحديد انتماء الفرد وهويته ومستقبل أفعاله(٥١)، وبما أن البئر استثمرت قيم القبيلة في إثبات وجودية الذكورة؛ لتمارس حق حماية الماء والانتفاع به، انعزلت الفتاتان عن مزاحمة الناس في السقاية، فضلاً عن ذلك فقد منعتهما تربيتهما، وأخلاقهما من اقتحام هذا المجتمع لئلا تتعرضان للأذى، فهما تحافظان على كل ما يحمي هذه الذات الاجتماعية، ويحفظ توازنها.

إن وقفة الفتاتين مثيرة للتساؤل؛ فعلى الرغم من حضورهما الماء للسقي لا تحصلان على الماء، وهذا ما جعل سيدنا موسى عليه السلام يستوضح الأمر ﴿مَا خَطۡبُكُمَا﴾، فوقفة الفتاتين هي الممر الضروري نحو استجلاء حالات العرض ممزوجة بحالات يسكنها المتخيل والثقافي والاجتماعي، وكل ما يخبر عن وضع حضاري ما؛ فالإدراك الرمزي للحالات الإنسانية، بغلافها الاجتماعي والثقافي هو الأساس في تحديد هويتها ووجودها، والجسد هو بنية رمزية تحيل على واقعة من

(٥٠) انظر: عبدالله محمد الغَذَّامي، **المرأة واللغة**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط٣، ٢٠٠٦م، ص١٥٦.

(٥١) انظر: سعيد بنكراد، **سيمائية الصورة الإشهارية: الإشهار والتمثلات الثقافية**، إفريقيا الشرق، المغرب، ٢٠٠٦م، ص٨١.

الوقائع العديدة للمتخيل الاجتماعي، ويدمج -أي الجسد- من موقع الرائي أو المرئي الإنسان داخل فضاء اجتماعي وثقافي معين(٥٢).

فيكون الجواب ﴿لَا نَسْقِي﴾ إعلاناً عن العجز الأنثوي في الحصول على الماء؛ فاللغة نسق من العلامات التي تعبر عن الأفكار وإنها لتقارن بهذا مع الكتابة، ومع الشعائر الرمزية، ومع صيغ اللباقة وغيرها، على حد تعبير دي سوسير، وليس اللسان الكلامي هو الوحيد الذي يتمتع بهذا الامتياز؛ فهو يتقاسمه مع سلسلة أخرى من الأنساق -الأسطورة، والدين، والفن، والعلم، والتاريخ- التي تشكل مجموعة الفلك الإنساني كما يدعي كاسيرير (Cassirer)(٥٣).

إن جملة ﴿لَا نَسْقِي﴾ تحمل الضعف والانهزامية؛ فعلى الرغم من أنهما في ريعان شبابهما، إلا أنهما لا يتمتعان بقوة لجلب الماء، ولا يوجد رجل يسقي لهما؛ لأن الرجل الوحيد لهما هو أبوهما، وهو شيخ كبير لا يستطيع ورود الماء لضعفه عن المزاحمة، والنتيجة ليست فينا قوة نقتدر بها، ويذكر السمرقندي أنه عندما سأل موسى عليه السلام الفتاتين عن عدم سقيهما قالتا: (ليس لنا قوة نزاحم القوم، وإنما ننتظر فضول حياضهم فنسقي)(٥٤)، وهذا اعتراف منهما بأنهما في غير مكانهما، وقد قرأ **شمر** (ما خِطبكما) بكسر الخاء قراءة شاذة، وإن كانت كذلك فلها حضور في التفاسير وتعني: من زوجكما؟ ولمَ لا يسقي هو؟(٥٥).

---

(٥٢) انظر: سعيد بنكراد، سيمائية الصورة الإشهارية، ص٨٤.

(٥٣) انظر: منذر عياشي، العلاماتية وعلم النص، ص ص١٧-١٨.

(٥٤) أبو الليث نصر بن محمد السمرقندي (٣٧٣هـ/ ٨٩٣م)، **بحر العلوم**، ٣ج، تحقيق: محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت، (د.ت)، ج٢، ص٣٩٧.

(٥٥) انظر: شهاب الدين حمود بن عبدالله الحسيني الألوسي (ت١٢٧٠هـ/ ١٨٥٤م)، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ١٦ج، تحقيق: علي عبدالباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ، ج١٠، ص٢٦٩.

فالخطاب ﴿لَا نَسْقِي﴾ لا يشرح الحال، وإنما يحكي طلباً مكبوتاً، ورغبة وهوى في الخلاص من هذا الضعف، والهوى جزء من كينونة الإنسان وجزء من أحكامه وميولاته وتصنيفاته(٥٦)، كما توجد روابط وثيقة بين اللسان، وبين الملفوظ الإيمائي المرافق له؛ فلا يمكن الفصل بين الإيماءات الصادرة عن ذات اجتماعية ما، وبين اللسان الذي تستعمله؛ فهذا السجل الإيمائي، أو ذاك مرتبط بهذا اللسان أو ذاك، كما أن الاستعمال الاجتماعي للسان مرتبط أشد الارتباط بالاستعمال الاجتماعي للجسد؛ فاللسان الأصلي المتجذر في وجدان الفرد جسد أصلي يقابله.(٥٧)

ولم يكن الحوار الذي دار بين موسى عليه السلام والمرأتين حول البئر أحادي القطب أو نيابياً، وإنما مشاركة فيه وجاء موضحاً للأزمة حول الماء، وتبدو أقطاب الصراع في هذا الخطاب غير متكافئة وأحادية التأثير فجاء التوتر من جانب واحد هو جانب المرسل الذي يملي على المتلقي مما يؤكد الوصاية(٥٨)؛ فأسفر الحوار عن مساعدتهما، وإشباع رغبتهما، وسد عوزهما للماء ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾ (القصص:٢٤).

وأدى الماء دوراً مهماً مرة أخرى في الكشف عن شخصية موسى عليه السلام للفتاتين؛ فقد رفع الصخرة الثقيلة التي يعجز عنها مجموعة رجال، وهذه القوة أثارت اهتمام الفتاتين يذكر **ابن أبي حاتم** (فلما رفع الصخرة، عجبت المرأتان،

(٥٦) انظر: ألجيرداس غريماس وجاك فونتنيي، **سيمائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس**، ترجمة: سعيد بنكراد، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط١، ٢٠١٠م، ص٩.

(٥٧) انظر: سعيد بنكراد، سيمائية الصورة الإشهارية، ص٨٤.

(٥٨) انظر: حلّام الجيلالي، **"المنهج السيميائي وتحليل البنية العميقة للنص"**، **مجلة الموقف الأدبي**، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، العدد ٣٦٥، أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١م، ص١٠.

فسقى لهما)[٥٩]، ومُنح موسى عليه السلام صفة القوي والأمين ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ﴾ (القصص:٢٦) وربما كان هذا دافعاً قوياً للموافقة على الزواج منه. وهذه علامة سيمائية للبئر وتوليه لحركة الشخوص، حسب تلقينا للنص القرآني وبالاتكاء على المصادر الدينية والتاريخية يقولُ **بوتور**: (وليس الآخرون، بالنسبة إلينا، ما رأيناه فيهم بأعيننا وحسب، بل هم إلى ذلك ما أخبرونا به عن أنفسهم)[٦٠].

ثالثًا: الماء وسيدنا موسى عليه السلام

منذ ولادة سيدنا موسى عليه السلام وهو يتعامل مع الماء بوصفه صديقًا له، وسنداً يمنحه الأمان؛ فحين ولد وضع في اليم لينقله إلى الأمان، فكأنه ينجذب دائماً نحوه بعلاقة روحانية حميمة تمنحه الأمن والدفء، وحين توجه تلقاء مَدْيَنَ كان الماء أول الأشياء التي انتهى إليها في منطقة مَدْيَن بعد نصبه من السفر والخوف ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ﴾، منحته المياه الأنس الذي يبدد خوفه، وأشعره بوجوده؛ فللماء قدرة سحرية في رد الرعب، ولهذا فليس هناك أفضل من الماء في إعادة الشخص إلى توازنه[٦١]، ويضحي الماء مرآةً سيمائية تعبر عن كل ما يدور في خلجات الشخصيات تجاه المكان نفسه أو نحو الآخرين من تنفّر، وخوف، واضطراب وضياع، وأمان، وانتماء، وحب، وعلى ذلك تصبح الأمكنة علامات

(٥٩) منها: الرازي، تفسير القرآن العظيم، ج٩، ص٢٩٦٤.

(٦٠) ميشال بوتور، **بحوث في الرواية الجديدة**، ترجمة: فريد أنطونيوس، منشورات عويدات، بيروت، ط٣، ١٩٨٢م، ص٥.

(٦١) انظر: عوض سعود عوض، **الماء في التراث الشعبي الفلسطيني**، موقع مؤسسة القدس للثقافة والتراث، تاريخ الاسترجاع: ٢١/ ١/ ٢٠١٩م:

http://alqudslana.com/index.php?action=article&id

سيمائية توحي بأنواعها الثلاثة: الرمز، المؤشر، الأيقونة إلى حالات الشخصيات النفسية المختلفة(٦٢).

فكان الماء أحد أسباب التمكين الوجودي لموسى عليه السلام ليثبت نفسه ووجوده في أرض مَدْيَن عن طريق البئر، كما منحته البئر فرصة لترجمة إيمانه من سقاية أغنام عطشى، يقول الرسول ﷺ: «في كل كبد رطبة أجر»(٦٣)، والبئر جعلته يمارس إنسانيته وأخلاقه عندما سأل الفتاتين (ما خطبكما؟) يقول الطنطاوي: (وإنما فعل ذلك رغبة في المعروف وإغاثة للملهوف)(٦٤)؛ فأراح الفتاتين من هذه المهمة الصعبة [**فسقى لهما**]، وتولى إلى الظل، ولنا أن نعد الظلال علامة مائية؛ لأنها نتاج الأغصان من جهة، ولا يمكن أن توجد ماديـاً إلا بفضل وجود شمس مشرقة؛ كما أن هذه الظلال بحكم ما فيها من اخضرار وإيراق؛ ما كان لها لتكون لو لم يصبها ما يروي أغصانها، فإنما الظلال تكون بالشمس والماء معـاً؛ ففيها أيضـاً تباين، وكلٌّ من الأغصان، والظلال، في حالتيهما الأُوليين، يجسد تشاكلاً (بحكم ما يعول عليه كلّ منهما من أشعة الشمس). وفي حالتيهما الأُخريين يمثّلان أيضـاً تشاكلاً آخر (بحكم ما ينهضان عليه من ضرورة التشرب من الماء والرطوبة)(٦٥). وسنحاول تقديم النموذج العاملي لسقي موسى عليه السلام للفتاتين بوصفه نسقـاً:

---

(٦٢) انظر: رجاء أبو علي وأكرم حبيبي، سيمائية المكان في رواية البئر لإبراهيم الكوني، ص١٣٥.

(٦٣) أخرجه البخاري، كتاب الشرب والمساقاة: حديث (٢٣٦٣) انظر: محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ/ ٨٧٠م)، **صحيح البخاري**، ٥ج، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م، ج٥، ص٥٠.

(٦٤) محمد سيد طنطاوي (ت١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م)، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، ١٥ مجلداً، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٩٩٧-١٩٩٨م، مجلد ١٠، ص٣٩٤.

(٦٥) انظر: عبدالملك مرتاض، **التحليل السيمائي للخطاب الشعري: [تحليل بالإجراء المستوياتيّ لقصيدة شناشيل ابنة الحلبيّ]**، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٥م، ص٤٢.

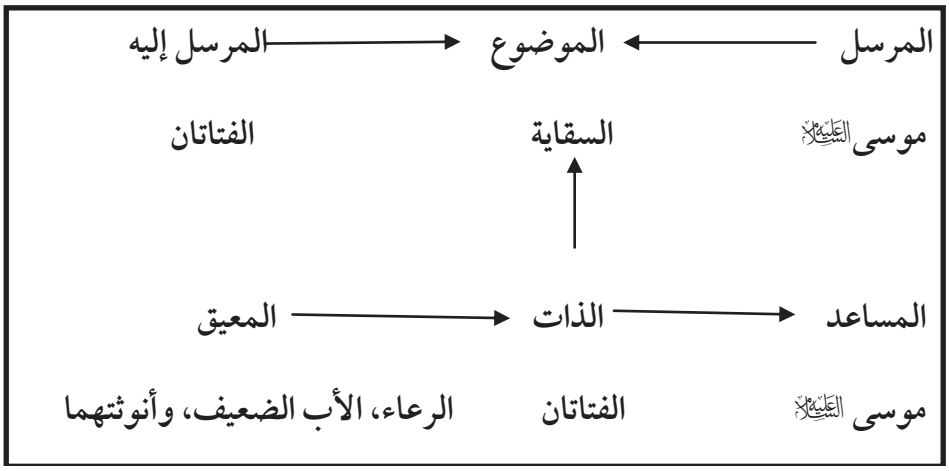

ويمكن النظر إلى هذا النموذج بوصفه أزواجًا:

= المرسل/ المرسل إليه (أو محور الإبلاغ): دور المرسل (موسى) هو الاستيضاح من الفتاتين عن عدم سقايتهما أما المرسل إليه (الفتاتان) فهو يشكل العامل المستفيد من الموضوع (السقاية).

= الذات/ الموضوع (أو محور الرغبة): يشكل هذا الزوج قطب الرحى في النموذج العاملي، إنه يشكل محور الرغبة، أي أن الذات (الفتاتين) ترغب في موضوع القيمة (السقاية)، ويكون هذا بعد إقناعهما للعامل المرسل، بالحجة والعاطفة.

= المساعد/ المعيق (ويشكل مقولة الصراع): تجلى المعيق هنا في ازدحام الأمة المستقية على البئر، وهيمنة الرعاء لسقاية مواشيهم، ثم جنسهما (الأنوثة والضعف) والأب الضعيف؛ فتدخل سيدنا موسى عليه السلام وقيامه بالسقي هو المساعد، وهو بكون قيمي مخصوص، أي (النخوة والأخلاق والإصلاح)، وهذا يعني أنه لن يعترض طريقه أي شيء، لذلك فالمعيق سيبقى في حدود الإمكان لا التحقق.

إن النموذج العاملي بوصفه نسقاً بنية ساكنة، ولا يمكن تحريكها إلا بالانطلاق من النسق إلى الإجراء عبر ترسيمة سردية منها:

= التحفيز (Manipulation): (أو فعل الفعل): حيث وقوف الفتاتين وانعزالهما بمكان دون الأمة وذودهما أغنامهما جعل المرسل (موسى) يتوجّه لهما للاستيضاح بوصفه رجلاً غريباً عن هذا المجتمع، ولكن خبرته سيداً، وصلاحه جعله يتفقد الضعفاء، فيحصل العامل الذات (الفتاتان) على موضوع القيمة (السقاية)، بالإقناع في حدود الإمكان لا التحقق، والرغبة في السقاية.

= القدرة (Compétence): (أو كينونة الفعل): إن الإقناع والاقتناع ليسا كافيين لتحقيق الرغبة، بل لا بد من تحقق القدرة التي تعني الشروط الضرورية لتحقيق الإنجاز، وتتلخص في:

= العامل الذات (الفتاتان) لا تقويان على جلب الماء إلا بعد صدور الرعاء والتأخر لوقت طويل فأبدتا رغبة للتخلص من هذا العمل عندما تجلت صفات القوة والقدرة عند سيدنا موسى.

= الإنجاز (Performance): (أو فعل الكينونة): ويشكل المرحلة الأخيرة التي نفّذ فيها سيدنا موسى العمل، وسقى لهما مع أوائل الناس المستقين، ووفر عليهما الوقت والجهد.

= الجزاء (Sanction): (أو كينونات الكينونة): إنه الحكم على الإنجاز، فوصفت الفتاتان إنجاز موسى عليه السلام (بالقوي الأمين) ودعاه أبوهما ليجزيه أجر ما

سقى﴿لِيَجۡزِيَكَ أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ لَنَاۚ﴾ (القصص:٢٥). ويمكن أن نجسدها بالمربع السيمائي الذي يرصد سيرورة التطور الدلالي، وهو بنية انبثاق تسعى إلى تمثيل كيف تنتج الدلالة عن طريق سلسلة من العمليات الإبداعية لمواقع متباينة(٦٦)، ويعني انتقال السرد من الثبات (حيث وقوف الفتاتين بعيداً عن البئر مع الأغنام) ويمكن أن نسميها (عطش)، إلى الحركة وهي إعطاء مبرر مقنع لسيدنا موسى عليه السلام ومؤثر ليتحرك بدوره للسقاية، ونستطيع أن نطلق على هذه المرحلة (ارتواء):

أنوثة (صفات إنسانية)

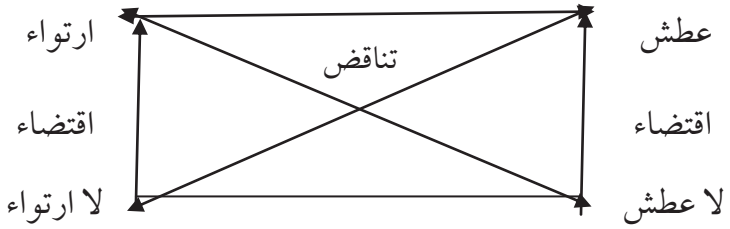

لا سقاية

وتأتي العلامة المائية (سقيت) في قوله:﴿إِنَّ أَبِي يَدۡعُوكَ لِيَجۡزِيَكَ أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ لَنَاۚ﴾ (القصص:٢٥) في تقديم دعوة لسيدنا موسى عليه السلام لاستضافته، ولم يذكر القرآن أن أحداً من الأمة على البئر عرض على موسى عليه السلام مثل هذه الدّعوة، والمعروف أن الغريب عن المكان قديماً كان يقصد الماء؛ لأنه مجتمع الناس فهنالك يتعرف لمن يصاحبه ويضيفه(٦٧)، ولكن السقيا التي سقاها وفّرت له دعوة

(٦٦) انظر: عبدالقادر شرشار، **مدخل إلى السيميائيات السردية (نماذج وتطبيقات)**، منشورات الدار الجزائرية، الجزائر، ٢٠١٥م، ص ص٤٢-٤٣.

(٦٧) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٠، ص٩٨.

للاستراحة وتناول الطعام، ثم منحته فرصة للعمل وهي العناية بهذه الأغنام وسقايتها، وتوفير ماء للفتاتين وأبيهما، وهذا العمل يتطلب زيارة البئر كل يوم لسقاية سوائم شعيب، بالإضافة إلى رعايتها، وحرفة الرعي كانت مهنة الأنبياء؛ لتنمي في نفوسهم غريزة الصبر وقوة الاحتمال، وتحمل الشدائد(٦٨).

كما منحتنا العلامة المائية (**فسقى لهما**) (برفع الحجر عن البئر فوصف بالقوي)، فرصة أظهرت فيها قوته أمام الواقع الأنثوي القاصر، فكانت الدافع القوي للزواج وتكوين أسرة (إن خير من استأجرت القوي الأمين)، واستطاع سيدنا موسى عليه السلام إغناء الذات الأنثوية عن عمل الرجال (رعي الأغنام) والاختلاط بالرعاة والتصارع على البئر للسقاية، وبالتالي يصبح الفضاء المائي البئر ليس مساحة جغرافية محايدة، بل شغلت هذه المساحات المكانية وظائف عديدة تتجلى من خلالها دلالات تمثل أبعاد الحياة المتعددة؛ فالبئر حاولت ربطه بالمكان، وارتباط الإنسان بالمكان هو أقوى ارتباط، سواء كان مأوى الإنسان: كهفًا بسيطًا، أو مبنى عملاقًا؛ فالدلالة واحدة في ارتباط البشر بالمكان(٦٩).

إننا أمام فيض من الدلالات التي ينتجها النص القرآني، تكشف عن جوانب كثيرة للشخصيات؛ فحين يذكر القرآن عن موسى عليه السلام أنه (وجد أمة من الناس، ووجد من دونهم امرأتين تذودان)، هذه النظرة الفاحصة للمكان تشي بخبرة السيد الذي يتفقد الرعية، ولا غرابة؛ فموسى عليه السلام، كان حاكمًا في مصر بوصفه ابن

(٦٨) انظر: علي صبح، **التصوير القرآني للقيم الخلقية والتشريعية**، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ط١، ٢٠١٠م، ص٢٨١.

(٦٩) انظر: فاضل الأسود، **السرد السينمائي: خطابات الحكي، تشكيلات المكان، مراوغات الزمن**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط١، ١٩٩٦م، ص٩٨.

فرعون بالتبني، ولا بد أنه مارس هذه السلطة، كما أنه رجل صالح وصاحب نخوة، ترك الأمة على الماء، وذهب ليسقي للفتاتين.

سيمائية البئر والنبوة والزواج

إن البئر لها حضور في الذاكرة الدينية؛ فبئر يوسف عليه السلام كانت سبباً في نبوته، ونشره التوحيد، وبئر زمزم كانت سبباً في وجود الكعبة، ونشر الدين إلى بقاع العالم، وبئر الناقة أظهرت الحق، وتقهقرَ الباطل، وغيرها من الفضاءات المائية. **فماذا عن بئر مَدْيَن؟**

لم تكن بئر مَدْيَن تشغل حيزاً مكانياً فحسب؛ فعلى الرغم من انغلاق مساحته المكانية ولكنه منفتح في دلالته، وهذا ما يسمى بالانزياح الدلالي للمكان الواحد(٧٠)؛ فقد كانت بئر مَدْيَن بداية حياة أخرى لسيدنا موسى عليه السلام، عليه كان مجتمع من الناس مثلوا المجتمع الكبير بجوانب كثيرة مهمة، اطلع عليه، وتعامل معه، كما كان طقس عبور لمرحلة أخرى انتقل منها من متعطّل عن العمل إلى عامل، ومن أعزب إلى متزوج، إذ مثل البئر الرحم الذي يعيش داخلة مشروع إنسان يتأهل للحياة.

ويسهم الماء في تكثيف دلالة السقاية؛ فأعطاه نصيبه من الماء ما يسقي به الغنم، وأثمرت السقاية مدحاً وثناء، وانطباعاً حسناً، ثم تؤتي السقاية أكلها بعد الإنبات ﴿لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ وبتوفيق من الله، تكون المحصلة عملاً وزواجًا، وبقي في مَدْيَن عشر سنين وهو يمارس السقاية من هذه البئر ويرعى الماشية ويسقيها. وبهذا تكون هذه الأحداث كفيلة ببلوغه ونضوجه، واستقراره

(٧٠) انظر: نورا وريا عز الدين، **اللامتناهي والمحدود: مقاربات المكان في روايات فاضل العزاوي**، دار تموز، دمشق، ط١، ٢٠١٦م، ص٤٠.

وذهاب خوفه وحزنه؛ وبالتالي فمن الممكن القول إن ماء مَدْيَن بما ارتبط به من أحداث كان مقدمة لنبوة موسى عليه السلام ومبشراً بالتوراة.

خاتمة:

تناولت هذه الدراسة سيمائية الفضاء المائي (ماء مَدْيَن) التي توجه إليها سيدنا موسى عليه السلام، والتي شكلت مرحلة مهمة من المراحل التي مر بها، وقد خلصت الدراسة إلى أهم النتائج الآتية:

أولاً: حضور مفردة الماء بشكل وافر ومؤثر، كما كانت لها لغتها الخاصة التي تمنح النص الخصوبة والحياة، وتستفز المتلقي في البحث عن خصائصها ودورها في الخطاب.

ثانيـًا: تبين بعد الدراسة اتساع دلالة البئر (بئر مدين) بوصفها علامة سيمائية شكلت بؤرة في النص، ومن خلاله توزعت الأحداث، وكشفت عن الشخصيات المتحاورة (الفتاتين وموسى عليه السلام)، والشخصيات الفاعلة (الرعاة، أمة من الناس)، وتفرعت عن البئر كذلك دلالات سيمائية بمفردات احتوت على علامات مائية مثل (السقاية ومشتقاتها) حملت تشكلات رمزية للشخصيات.

ثالثـًا: نجح الفضاء المائي (بئر مدين) في الكشف عن مجتمع مدين، وبيّن جوانبه الاجتماعية والنفسية والعمرانية، وتبينت لسيدنا موسى عليه السلام خصائص هذا المجتمع من خلال مراقبته لحركة الناس وتعاملهم مع الماء، ومشاركته في السقاية للفتاتين، ومما ساعدت على ذلك آليات السيمائية؛ لأنها تهتم ببنية الإشارات وعلائقها في النص، وترصد توزع تلك العلامات ووظائفها الداخلية والخارجية؛ ولأنها تطرح في معالجتها هدفًا واحدًا، وهو اكتشاف المعنى؛ فالتحليل السيميائي للنص يركز على العلاقات بين العلامات، وعلى المعنى الذي ينتج عنها.

رابعًا: أفرز لنا الفضاء المائي (بئر مدين) أنواع الفضاء المكاني المحيط به؛ فهناك المكان المحدود وهو مَدْيَن، والمكان الأليف وهو مكان البئر والمساحة المحيطة به، والمكان العالي وهو مكان الأمة من الناس، والمكان المنخفض، وهو مكان وقوف الفتاتين (ومن دونهما)، والمكان المشكلي والاجتماعي وهو مكان البئر؛ فقد كان المكان تارة رمزاً للألفة والانتماء، وتارة رمزاً للحزن والاضطراب واللاانتماء، وتارة أخرى صار المكان علامة أيقونية اكتسبت نفس حالات الشخصيات؛ لذلك تشاكل بعضهما بعضًا، وتقسّمت الأمكنة إلى أماكن مغلقة، ومفتوحة حسب انفعالات الشخصية التي تتراوح بين الانفتاح والضيق، وبين الفرح والحزن -على حد تعبير أبو رجاء- ولا أذهب مع النقاد الذين يفرغون المكان من أية دلالة، وأنه محض وجود موضوعي.

الرواية الفلسطينية والخاصية المونولوجية:

قراءة تطبيقية في روايتين صدرتا قبل النكبة

موسى خوري(*)

الملخّص

يهدف هذا البحث إلى دراسة عينة تأتلف من روايتين فلسطينيتين صدرتا قبل وقوع نكبة عام ١٩٤٨م، هما: "الوارث" لخليل بيدس (١٩٢٠م)، و"الحياة بعد الموت" لإسكندر الخوري البيتجالي (١٩٢٠م). وتكمن إشكالية البحث الأساسية في التحقّقِ من الخاصية المونولوجية لهاتين الروايتين، وتعيينِها، وتفسيرِها. بداية، يضع البحث، من أجل مقارعة هذه الإشكالية، هاتين الروايتين في سياقهما الثقافي العام، ثم يبسط في مطلبه الأول إطاراً نظريـًا أساسه أطاريح الناقد الروسي ميخائيل باختين، بخصوص الفروقات بين الرواية الديالوجية أو البوليفونية (متعددة الأصوات) والرواية المونولوجية أو المونوفونية (أحادية الصوت)، ويقابلها بأطاريح الشكلانيين الروس وبعض الفولكلوريين في حقل التأليف الشفاهي. وينتقل البحث، في قسمه الثاني، بهذه الأطاريح إلى فضائها التطبيقي على عينة الدراسة، ويتوزع على مدخلين اثنين، يختصُّ كل واحد منهما بمقاربة رواية من روايتي العينة. ويخلص البحث، عند تمامه، إلى أن "الوارث" و"الحياة بعد الموت" لم تكونا سوى روايتين مونولوجيتين تنظمهما

(*) أستاذ مشارك في دائرة اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة بيرزيت، فلسطين. تاريخ تسلّم البحث ١٦/ ٩/ ٢٠٢١م وتاريخ قبوله للنشر ٥/ ٤/ ٢٠٢٢م.

إيديولوجية عليا صارخة تصادر أي إمكانية لحضور أصوات/ إيديولوجيات متعددة، يمكن أن يشكل اختلافها وتجاورها جوقةً حوارية لا تصير بها الرواية بوليفونية، دون أداءٍ مقسّمٍ غيرِ مجزّءٍ لفواعلها المختلفة.

الكلمات المفتاحية: رواية فلسطينية، قبل النكبة، باختين، مونولوجية، بوليفونية.

Monologism and the Palestinian Novel

By Mousa Khoury(*)

Abstract

This paper aims at studying two Palestinian novels published before the Nakba of 1948: *The Heir* by Khalil Bides (1920), and *Life after Death* (1920) by Iskandar al-Khoury al-Beitjali (1920). The primary research problem has to do with verifying, identifying, and interpreting the monophonic characteristics of these two novels. To address this problem, the author first places the two novels in the general cultural context, and then provides in the first section a theoretical framework based on the Russian critic Mikhail Bakhtin's argument on the differences between the polyphonic novel and the monophonic one, and integrates it with some of the Russian formalists' arguments in the field of oral literature. The paper concludes that both novels under study are monophonic, being controlled by a glaring ideology that prevents multiplicity of voices.

Key terms: Palestinian novel, Nakba, Bakhtin, Polyphony, Monophony.

(*) Associate Prof. of Modern Palestinian literature and literary Criticism, Birzeit University, Palestine.

"كل شيء يعود إلى بدايته، كل شيء
يعود إلى مكانه. إن مطرقة الأحداث
لا تفتت شيئاً ولا تطرق شيئاً، إنها
تختبر صلابة مادة جاهزة فقط."

ميخائيل باختين(١)

عددُ الروايات الفلسطينية التي صدرت منذ بداية القرن العشرين حتى وقوع النكبة محدود جداً(٢)، وأزيد من نصف هذا العدد المحدود ظل مفقوداً لسنوات طوال، أو ظل، في أحسن الأحوال، غير متوفر بسبب النكبة التي عرقلت إمكانية

(١) ميخائيل باختين، **أشكال الزمان والمكان في الرواية**، ترجمة: يوسف حلاق، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، دمشق، ١٩٩٠م، ص٣٦.

(٢) يجمع الدارسون على أن أول رواية فنية فلسطينية هي رواية **الوارث** لخليل بيدس الصادرة عام ١٩٢٠م، وقد تبعها حتى العام ١٩٤٨م عدد من الروايات (كما توحي عتبة العنوان على الأقل) يصل إلى عشرين، لكن كثيراً من هذه الروايات مفقود ولا يؤتى حتى على ذكره في الكتب التي تناولت الأدب الفلسطيني قبل النكبة. جدير بالذكر في هذا السياق أن ثلاثة نصوص تصنف في خانة الرواية صدرت قبل رواية الوارث هي: **البنون في حب مانون** لميخائيل بن جرجس عورا (١٨٦٧م)، **والدر النظيم في أم حكيم** لمحمد أحمد التميمي (١٨٨٨م)، وهذان النصان مفقودان، مثل غيرهما من الروايات التي صدرت بين الأعوام ١٩٢٠م–١٩٤٨م، والعثور عليها ضرب من المستحيل حتى الآن على الأقل. للوقوف على مسرد بأسماء الروايات التي صدرت منذ العام ١٩٢٠م حتى العام ١٩٤٨م ينظر: فرج المالكي، **عتبة العنوان في الرواية الفلسطينية: دراسة في النص الموازي**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، ٢٠٠٣م، ص٢٥٨.

الحصول عليه أو إعادة نشره. لقد أثر هذا الأمر على درجة الاهتمام في أدبٍ أُنتج في الفترة التي كان يتحسس فيها الكُتّاب الفلسطينيون طريقهم نحو كتابة القصة والرواية، وما قلة الدراسات العلمية المتخصصة التي تناولت الرواية الفلسطينية قبل النكبة سوى نتيجة لذلك؛ فقد ظل عدد ملحوظ من نقاد الأدب الفلسطيني يقتاتون على ملاحظات عامة -وكلها لم يتهيأ لها جهاز مفاهيمي محدد يرتد إلى مناهج نقدية بعينها- وردت عن بعض هذه الروايات في كتب النقاد الرواد الذين أسسوا لدراسة الأدب الفلسطيني، أمثال: ناصر الدين الأسد وعبدالرحمن ياغي[٣]. لم يتغير هذا المشهد الأكاديمي كثيراً بعد أن أعيد، حديثًا، نشر عدد من هذه الروايات المحدودة[٤]، وكأن الدارسين أوقعوا أنفسهم، والحال، في فخاخ افتراض مفاده أن لا أحد يستطيع أن يضيف، أو يستأهل الأمر أن يضيف، جديداً عن بواكير الرواية الفلسطينية فوق الذي قاله الأسد في كتابه **الحياة الأدبية في فلسطين والأردن حتى عام ١٩٥٠م**[٥]، وعبدالرحمن ياغي في كتابه **حياة الأدب**

(٣) استطاع إبراهيم السعافين في كتابه عن نشأة الرواية والمسرحية في فلسطين حتى العام ١٩٤٨م أن يتجاوز سطوة هذا التأثير، وتمكن من دراسة الرواية الفلسطينية من زوايا لم ينظر إليها الأسد ولم ينظر إليها ياغي، لكنه لم ينشغل كثيراً بتوظيف جهاز نقدي مفاهيمي يجعل من قراءاته، على أهميتها، أكثر تركيزاً في باب الشفاهية والكتابية، أو باب الحوارية، أو حتى باب المقاربة النسقية التي تعنى بتقنيات السرد وخلافه. ينظر: إبراهيم السعافين، **نشأة الرواية والمسرحية في فلسطين حتى عام ١٩٤٨م**، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمّان، ط١، ١٩٨٥م.

(٤) تمكنت الدار الرقمية في مدينة رام الله- فلسطين، بعد جهد وبحث مضنيين، من إعادة نشر ثلاث من هذه الروايات: اثنتان منها تشكلان عينة هذه الدراسة، والثالثة هي "على سكة الحجاز" لجمال الحسيني.

(٥) ناصر الدين الأسد، **الحياة الأدبية في فلسطين والأردن حتى العام ١٩٥١م**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.

الفلسطيني الحديث من أول النهضة حتى النكبة[٦]. وعليه، يأتي تناول عدد ملحوظ من النقاد اللاحقين للروايات الفلسطينية قبل نكبة عام ١٩٤٨م في مقدمات كتبهم غالبًا، وتستخدم، في الغالب أيضًا، عتبة يدلفون منها إلى مقاربة الرواية الفلسطينية التي صدرت بعد هذا التاريخ[٧].

ما قيل عن قلة الاهتمام (العلمي) بالرواية الفلسطينية في بداياتها ينسحب أيضًا على القصة القصيرة؛ فكل الدراسات تجمع، باحتفاء ملحوظ، على أن أولَ مجموعة قصصية فلسطينية هي **مسارح الأذهان** لخليل بيدس[٨]، لكنني لا أعرف، حتى الآن على الأقل، دراسة واحدة متخصصة تقارب قصص هذه المجموعة التي صدرت عام ١٩٢٤م، أو تمسح محتويات مجلة النفائس التي نشرت على صفحاتها نصوص بيدس ونصوص غيره من الكتاب الرواد. صحيح أن النقاد يتحدثون بحماس كبير عن دور هذه المجلة التي أسسها بيدس نفسه وأشرف على

(٦) عبدالرحمن ياغي، **حياة الأدب الفلسطيني من أول النهضة حتى النكبة**، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٢، ١٩٨١م.

(٧) كثر هم النقاد الذين اعتمدوا على قراءة الأسد لرواية **الوارث** على سبيل المثال؛ فقد أصبح التلخيص الذي قدمه الأسد للرواية، ولصعوبة الحصول عليها حتى العام ٢٠١١م، هو الرواية فعليًا، ومنهم: جهينة الخطيب، **تطور الرواية العربية في فلسطين ٤٨ (١٩٤٨-٢٠١٢م)**، مكتبة كل شيء، حيفا، ط٢، ٢٠١٢م؛ وعلي الخليلي، **قصص على مدار قرن: تداعيات التراجيديا- مكابدات السرد**، دار الشروق، عمّان، ط١، ٢٠٠٨م؛ وعبدالرحمن ياغي، **حياة الأدب الفلسطيني الحديث**، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٢، ١٩٨١م؛ وإبراهيم السعافين، **تطور الرواية العربية الحديثة في بلاد الشام ١٨٧٠م-١٩٦٧م**، دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٧م. يؤكد عادل الأسطا مسألة الاعتماد هذه في مقالة له عن الرواية الفلسطينية التي نشرت قبل عام ١٩٤٨م. ينظر: عادل الأسطا، **"الدراسات حول الرواية الفلسطينية قبل النكبة"**، راية أف أم:

https:/www.raya.ps/articles/1053608

تاريخ الزيارة ١٥/ ٧/ ٢٠٢١م.

(٨) خليل بيدس، **مسارح الأذهان**، المطبعة العصرية، جمهورية مصر العربية، ط١، ١٩٢٤م.

تحريرها، لكن أحداً لم يدرس محتويات النفائس في باب الرواية والقصة دراسة علمية تبيّن كيف أسهمت هذه المجلة في حضانة النثر الفلسطيني وتطوره منذ صدورها بعد إعلان الدستور العثماني عام ١٩٠٨م، أي منذ الزمن الذي بدأ فيه الفلسطيني يطوّر وعياً بالمكان[٩]، ومنذ أن تعمّق إحساسه بفلسطينيته بعد نهاية الحرب العالمية الأولى، واصطدامه اصطداماً مباشراً مع كينونة استعمارية مثنّاة متضافرة: الانتداب البريطاني والاستيطان الصهيوني[١٠].

يبسط خليل بيدس في مقدمة **مسارح الأذهان** عتبة مهمة تحضّر الأرضية لدخول فضاء هذا البحث؛ فهي ترهص بجملة إفضاءات تمكّن من الوصول المنظّم إلى طرح إشكاليته ودراسة عينته. يقابل العتبة التي بسطها بيدس في مقدمة مجموعته القصصية عتبةٌ ثانية موازية، وهذه العتبة ترد في الفصل الأول التمهيدي من كتاب ميخائيل باختين **أشكال الزمان والمكان في الرواية**، وتحديداً في خانة حديثه عن "رواية الاختبار المغامراتية" التي ظلت حاضرة في المشهد الروائي الأوروبي حتى أزمنة متأخرة[١١]. إن وضع هاتين العتبتين بلزق بعضهما سيحضّر موطئ القدم للانطلاق نحو القسم الأول من البحث، وهو قسم نظري مركّز يهدف إلى تنظيم أطاريح باختين عن الرواية المونولوجية والرواية الديالوجية كما وردت

(٩) يَعدُّ بعضُهم الوعيَ بالمكان شرطاً من شروط كتابة الرواية على وجه التعيين. بخصوص تفصيل هذه المسألة ينظر: بطرس حلاق وآخرون، **شعرية المكان في الأدب العربي الحديث**، ترجمة: نهى أبو سديرة وعماد عبداللطيف، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط١، ٢٠١٤م، ص ص١١-٢١.

(١٠) بخصوص مقولات الكينونة والوعي بالذات والاصطدام بالآخر ينظر: ميجان الرويلي وسعد البازعي، **دليل الناقد الأدبي**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط٣، ٢٠٠٢م، ص ص١٧-٢٠.

(١١) ينظر: ميخائيل باختين، أشكال الزمان والمكان، ص٨.

في دراسته التطبيقية المعمقة على روايات ديستويفسكي[١٢]، وفي تعقيبات النقاد العرب وغير العرب عليها. سيمهد هذا الإطار النظري الطريق نحو قسم البحث الثاني، وهو قسم تطبيقيّ يقارب روايات عينة الدراسة المؤتلفة من "الوارث" لخليل بيدس (١٩٢٠م)[١٣]، و"الحياة بعد الموت" لإسكندر الخوري البيتجالي (١٩٢٠م)[١٤]، ويستأنس؛ إذ يفعل ذلك، بجملة الأطاريح النظرية في قسم البحث الأول، ويخرج بأحكام مشفوعة بالأدلة عن مونولوجية هاتين الروايتين.

العتبة الأولى: لا يفرق بيدس في مقدمة مجموعته القصصية *مسارح الأذهان* بين القصة والرواية، فهو يستخدم دال "رواية" ليحيل إلى النوعين معًا[١٥]، وفي كل صفحة من صفحات هذه المقدمة يقسّم الحياةَ قسمة مقصليّة بين الأسود والأبيض، وينفي أي إمكانية لوجود منطقة رمادية بين اللونين يتقلّب الخلق في حيرتهم الوجودية داخلها؛ فالخير عنده يقابله الشر، والفضيلة تدرج مقابل الرذيلة، والهدم مقابل البناء. هكذا تصير الرواية في عُرفه -إذا كتبها روائي يدرك المغازي الحكمية ويعي معنى الحياة وأسرارها- أعظمَ عامل في بناء الفضائل وهدم الرذائل وتثبيت الأخلاق الحميدة وتثقيفها، وتصير أنجع ما يتوسل به لإصلاح العادات

(١٢) ميخائيل باختين، **شعرية ديستويفسكي**، ترجمة: جميل نصيف التكريتي، دار توبقال للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط١، ١٩٨٦م.

(١٣) خليل بيدس، **الوارث**، الدار الرقمية، رام الله، فلسطين، ط١، ٢٠١١م.

(١٤) إسكندر الخوري البيتجالي، **الحياة بعد الموت**، الدار الرقمية، رام الله، فلسطين، ط١، ٢٠١٨م.

(١٥) كان المصطلح الشائع في حينه "قصة"، وهو ما كان يطابق في ذلك الوقت مصطلح "رومانس" الفرنسي الذي يعني القصة والرواية معًا؛ لذلك تجدهم في الأدبيات الغربية يطلقون على "البؤساء" مثلاً بحجمها المعروف، مصطلح القصة، وكذلك الأمر على الأعمال المتسمة بطابع رومانسي بصرف النظر عن حجمها، والأمر لم يكن مختلفًا في السياق العربي مطلع القرن العشرين.

واستمداد البصائر وإصلاح السيرة[١٦]. تقرّب إفضاءات هذه العتبة، في زمن كان فيه المجتمع الفلسطيني مجتمعاً شفاهياً ملقحاً بالكتابة[١٧]، الروايةَ/ القصة من الديناميات الشفاهية لبنية الحكاية الشعبية، ومن قوانين تأليفها، ومن وظائف شخصياتها الدراماتيكية، ومعظمها قراءات اضطلع بها الشكلانيون الروس، ثم طورتها لاحقاً وبنت عليها مجموعةٌ من الأنثروبولوجيين والفولكلوريين وغيرهم[١٨].

العتبة الثانية: يلاحق باختين في كتابه *أشكال الزمان والمكان في الرواية* المذكور آنفاً مخطط رواية "الاختبار المغامراتية" ويحدد لها، معتمداً على استقراء عدد من النماذج "الروائية" أتى بها من عصور مختلفة، جملةً من العلامات الفارقة التي تتصادى مع أطاريح بروب (Valdimir propp) الواردة في كتابه "مورفولوجية الحكاية الخرافية"، خصوصاً الوظائف الدراماتيكية التي يحملها شخوص

(١٦) خليل بيدس، مسارح الأذهان، ص ص١٠-١٣.

(١٧) قدّمت نشرة وزارة المعارف العثمانية للعام الدراسي (١٩١٣م-١٩١٤م) إحصائياتٍ دالةً تختص بواقع التعليم في فلسطين؛ فقد حددت هذه النشرة عدد المدارس في الألوية الثلاثة في حينه (القدس ونابلس وعكا)، وحددت مراحلها، وأشّرت إلى عدد الطلبة الملتحقين بها. كان التعليم في المرحلتين الإعدادية والثانوية، وفق النشرة، نادراً في العام الدراسي المذكور، ما يعني أن أعداد الطلبة في المرحلتين بقيت ضئيلة حد الغياب، في حين كانت مدارس التعليم الابتدائي أقرب إلى كتاتيب "لا يكاد يحصّل منها المتعلّم شيئاً غير معرفة يسيرة بالقراءة والكتابة وتجويد القرآن"، ولم يتجاوز عددها المئة في الألوية الثلاثة، وكانت تستوعب عُشر أبناء فلسطين ممن كانوا في سن التعليم الابتدائي وقت إصدار النشرة. صحيح أن مشهد التعليم تغيّر زمن الانتداب البريطاني مع ارتفاع عدد المدارس وتغيّرت فلسفتها التعليمية، لكن تغيّر هذا المشهد لم ينقل المجتمع الفلسطيني من مجتمع شفاهي بحت إلى مجتمع كتابي متخلص تماماً من الهجنة. ينظر: ناصر الدين الأسد، الحياة الأدبية في فلسطين والأردن حتى سنة ١٩٥٠م، ص ص٣٣-٣٤.

(١٨) سيورد البحث لاحقاً، وفي معرض تناوله لمونولوجية روايات العينة، تفصيل بعض ذلك ومظانه.

الحكاية[١٩]؛ وبروب هذا واحد من أبرز رواد المدرسة الشكلانية التي انتمى إليها باختين في بداياته أصلاً. يعيّن باختين مخططاً لمجموعة العناصر التي يتكون منها هذا النوع من الروايات، وما ينظم هذه العناصر المدرجة في المخطط الذي قدمه باختين هو حركتها من حالة الثبات إلى حالة الخلخلة ثم عودتها إلى حالة الثبات[٢٠]؛ فالشاب الوسيم العفيف تجمعه الصدفة بفتاة جميلة وعلى قدر خارق من العفة[٢١]، ثم يعصف بهما هوى لا يقاوم، لكن زواجهما لا يتم على الفور بالطبع، بل يصادف عقبات تنقل السرد إلى حالة خلخلة تتخللها محاكمات واسعة في مختلف الموضوعات الدينية والفلسفية والسياسية[٢٢]. تأتي هذه المحاكمات على شكل خطب لا تنقصها البلاغة ولا القدرة على مصادرة ذاتية الشخوص لحساب إيديولوجيا ناظمة ومكشوفة تجعل النصر الأكيد في نهاية المطاف للخير الذي يمثله البطل، وتعيد السرد، بذلك، إلى حالة ثباته الأولية التي انطلق منها نحو

(١٩) يحدد بروب، في الفصل الثالث من دراسته لمورفولوجيا الحكاية الخرافية، مجموعة من الوظائف التي يضطلع بها الشخوص، وهي وظائف متكررة في كل الحكايات رغم اختلاف حامليها بين حكاية وحكاية. الحد الأقصى للوظائف التي يمكن أن تظهر في حكاية واحدة هو ٣١ وظيفة، وهي كلها وظائف متعالقة سببيًا؛ فالوظيفة السابقة تقود إلى تحقق الوظيفة اللاحقة، وهكذا وصولاً إلى حالة الثبات وهزيمة الشرير. ينظر: فلاديمير بروب، **مورفولوجيا الحكاية الخرافية**، ترجمة: أبو بكر أحمد باقادر وأحمد عبدالرحيم نصر، النادي الأدبي الثقافي بجدة، جدة، ط١، ١٩٨٩م.

(٢٠) ميخائيل باختين، أشكال الزمان والمكان في الرواية، ص ص٩-١٢.

(٢١) استخدام هذه الصفات الحادة (خارق، وعلى درجة عالية من الجمال والعفة) علامة من علامات التأليف الشفاهي وإشارة إلى مبالغته وتطرفه. ينظر: أونغ والتر، **الشفاهية والكتابية**، ترجمة: حسن البنا عز الدين، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ط١، ١٩٩٤م، ص ص٨١-٨٢.

(٢٢) ميخائيل باختين، أشكال الزمان والمكان في الرواية، ص١٠.

الخلخلة. يصادر هذا المخطط العصي على الخرق، رغم وفرة تشكيلاته الفرعية، والمشفوع بعديد الخطب التي يلقم بها الراوي أفواه شخوصه الذين يحملون وظائفهم مطاوعين كي يوصلوا السرد إلى محطة ثباته الختامية، حوارية النص، ويجعله محكوماً لمنظومة فكرية محددة مسبقاً تكسبه صفة المونولوجية وتقصيه عن الرواية الديالوجية متعددة الأصوات(٢٣).

المطلب الأول: الفرق بين الرواية البوليفونية (Polyphonic Novel) والرواية المونوفونية (Monophonic Novel)

تنبع شهرة الفيلسوف والناقد الأدبي الروسي ميخائيل باختين من اجتراحه طرقاً غير تقليدية في مقاربة الأدب عموماً، والرواية تحديداً؛ فقد وفرت أعماله الرائدة في حقل النظرية النقدية وتحليل الأدب أفكاراً جديدة لهذا الحقل، ووفرت، بالنتيجة، مفاهيم وأدوات إجرائية نقدية لم تزل تحتفظ بحيويتها حتى الآن(٢٤).

يعد مفهوم البوليفونية (Polyphony) واحداً من المفهومات المركزية التي قدمها باختين، وقد شهد هذا المفهوم حضوراً متكرراً في مجمل أعماله/ مقالاته المتقدمة والمتأخرة(٢٥). استعار باختين هذا المفهوم الذي ظهر أولاً في كتابه المؤسس **شعرية ديستويفسكي** من حقل الموسيقى، وهو مفهوم يحيل، في الحقل الذي يرتد إليه أصلاً، على تواجد/ تجاور لحنين موسيقيين مستقلين أو أكثر، تأتلف من تجاورهما/ ها قطعة موسيقية ذات بناء يرد مقسّماً بحكم اختلاف

(٢٣) ميخائيل باختين، شعرية ديستويفسكي، ص١٠، وص ١٩.

(٢٤) من هذه المفاهيم، إضافة إلى البوليفونية: الكرنوتوب، والكرنفالية، والهتروجولوسيا، والأسلبة، وكثير غيرها.

(٢٥) بخصوص مسألة التكرار والافتقار لصرامة المنهجية أحياناً في كتابات باختين ينظر:

Dentith, Simon. Bakhtinian Thought: An introdutory reader. Routledge, London and New York, 1995, p. 39.

مكوناته اللحنية، ولا يأتي، بحكم توليف المختلف في بناء كلي متماسك، مجزأً على الإطلاق(٢٦). يستثمر باختين هذا التحديد للمفهوم المتوطن في الحقل الموسيقي، وينقله إلى فضاء الأدب، ويقرأ في ضوئه روايات ديستويفسكي التي تتعدد فيها جملة أصوات مستقلة يتساوى ثقل حضورها في تشكيلة العلاقة الناظمة لفعلها داخل ما أطلق عليه الرواية البوليفونية. المهم هنا أن نلاحظ في مقاربة باختين أن هذه الأصوات المتعددة والمتساوية الحضور غيرُ خاضعة لصوت سام أعلى، هو صوت الكاتب؛ فقارئ روايات ديستويفسكي، بحسب باختين، يكون عرضة لمجموعة من الشخصيات تتمتع بأشكال وعي مختلفة ومتعددة، ولها رغبات تصب في تكوين أصالتها وفردانية صوتها وحضوره، وتظل غير مقودة بأجندة الكاتب كلي القدرة والمعرفة والحكم، وفي حل من كل تمركز حول الذات/ الأنانة، أو حول إيديولوجية مفردة(٢٧).

يؤكد باختين أن هذه التعددية، الخاصة بالأصوات والمنظورات المستقلة غير المدمجة، هي ما يحيّن البوليفونية الحقة؛ ذلك لأن الكاتب يمكن أن يمارس رياضة اختلاف مكشوفة في الأصوات والمنظورات لتثبيت وجهة نظر بعينها، وليس لغرض الاحتفاء بالاختلاف وكنزه(٢٨). يلتقط محمد بوعزة، وهو من أهم

(٢٦) ميخائيل باختين، شعرية دوستويفسكي، ص٦١. وبخصوص الموسيقى التي تتجاور فيها مجموعة أصوات تتكامل محافظة على استقلالها ضمن مبدأ الهارمونية، ينظر: جبرا إبراهيم جبرا، **الحرية والطوفان: دراسات نقدية**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط٢، ١٩٧٩م، ص٦. وبخصوص فكرة المقسم غير المجزّأ التي ترتد تناصيًا إلى مبدأ جوهري في المسيحية أساسه أن القربان يقسّم على المؤمنين دون أن يصير مجزأً؛ ذلك لأن كل واحد من هؤلاء المؤمنين يتناول، بحسب المعتقد المسيحي وبغض النظر عن حجم حصته من الخبز والخمر، جسدَ المسيح ودمه، ينظر: ميخائيل باختين، **الخطاب الروائي**، ترجمة وتقديم: محمد برادة، دار الأمان، الرباط، ط٢، ١٩٨٧م، ص٤.

(٢٧) المرجع السابق، ص١١، وص١٥.

(٢٨) ميخائيل باختين، الخطاب الروائي، ص١٠.

دارسي أطاريح باختين عن البوليفونية والمونوفونية، هذه التبعية المبطنة لصوت علوي، ويذكّر بتطابقها مع "التأليف الموسيقي القائم على مجموعة من الأصوات ذات الجنس الواحد، بحيث تُسمع في وقت واحد مجموعة من الأصوات أو النغمات المختلفة، إلا أن هذه الأصوات تتكوّن من لحن أساسي له الصدارة، تسانده مجموعة من الأصوات الأخرى التابعة له، التي ليست لها أهمية لحنية أو استقلالية إيقاعية، ما يرقى بها إلى الوقوف في مستوى كامل القيمة مع اللحن الأساسي"[٢٩]، ويضيف بوعزة أن العلاقة في هذه الحالة "هي علاقة متبوع وتابع، فهذا النمط لا يرقى إلى صيغة البوليفونية، حتى وإن تعددت الأصوات الموسيقية في آن واحد واختلفت."[٣٠].

تلخص طريقة التأليف البوليفونية هذه، بحسب باختين، فكرة المبدأ الحواري (Dialogism) في الرواية: كتابة متعددة الأصوات، وهذه الأصوات تتواجد وتتجاور وتتحاور في إطار من منظورات متباينة، ومتساوية الحضور والتأثير، لكن دون أن يلغي ذلك، بالطبع، إمكانية تحديد نظام متناسق أساسه وحدة أسلوبية عليا تؤدي دوراً تركيبياً (Synthesis) وتسيطر على مجموع العمل وتخلق جواً من الهارمونية بين مكوناته المختلفة[٣١]. هنا يفرق باختين، بناءً على ما سبق، بين المبدأ الحواري والمبدأ أحادي الصوت (Monoligism) الذي يسم طغيانه ما أطلق عليه الرواية المونوفونية أو المونولوجية، وهذه الأخيرة يعلو فيها صوت أحادي هو صوت الكاتب الذي يعي بحسب خليل بيدس "المغازي

(٢٩) محمد بوعزة، **"البوليفونية الروائية"**، **الفكر العربي**، معهد الإنماء العربي، بيروت، المجلد ١٧، العدد ٨٣، ص٨٧.

(٣٠) المرجع السابق، ص ٨٧.

(٣١) ميخائيل باختين، شعرية ديستويفسكي، ص٩.

الحكمية"، وينسخ، بوعيه المزعوم والمدموك على أساس من وثوقية مطلقة، الأصوات كلها، أو يجعلها جوقة تردد في العمل الأدبي لازمته الأبوية التي تعلن امتلاكها للحقيقة بشكل مكشوف يتحكم في تطور العقدة والشخصيات، ويخفض سقوف تأويل القراء، ولا يزعزع توقعاتهم. هذه الرواية المونولوجية، يجادل باختين، رواية مسطحة لا تقدم غنى أو تنوعاً؛ فالحقيقة، على سبيل المثال، لا يمكن العثور عليها داخل رأس فرد بعينه(٣٢)، إنما تولد في حاضنات أناس فاعلين، وفي حالات متنوعة من تداولهم واضطلاعهم بقضايا الحياة ومشكلاتها غير المحسومة بالضرورة، وضمن سياق أو شرط زمكانيّ/ كرونوتوبي محدّد يحيل على حقيقة أن أي فكر أو تصرف إنما يتكون أو يتطور في سياق أساسه لحمة طبيعية ومحددة بين عنصري الزمان (-Chrono) والمكان (-Topo). وعليه، كل ما نفعله، ومتى نفعله، وأين نفعله، لا يصير إلا في سياق أو ظرف مادي تشكله هذه اللحمة بين مكوّني المصطلح، فجامع تصرفاتنا الفعلية، وصولاً إلى أدق التفاصيل في حياتنا، يظل محكوماً بهذا السياق الكرونوتوبي (Chronotope) الذي يحدد شكل/ أشكال هوياتنا وتصرفاتنا، وينظم شكل علاقتنا بالآخرين(٣٣).

---

(٣٢) "ما الحقيقة؟" سؤال ميتافيزيقي كبير، وهو يثير جدلاً فلسفياً غير محسوم منذ زمن طويل. بخصوص هذه المسألة ومسائل أخرى مثل ماهية الفضيلة، والأخلاق، وصحة الحجج وغير ذلك، ينظر: ت. ز. لافين، **من سقراط إلى سارتر: البحث الفلسفي**، ترجمة: أشرف محمد كيلاني، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط١، ٢٠١٢م.

(٣٣) المطعم، على سبيل المثال، سياق كرنوتوبي محدد؛ فالمكان فيه محدد (المطعم)، والزمان فيه محدد (مدة المكوث في المطعم)، وفيهما يصير تعاقد من نوع ما بين زبون ومقدم خدمة. يفرض هذا التعاقد على الطرفين (الزبون ومقدم الخدمة) أن يتصرفا بطرق محددة تنظّم تفاعلهما الاجتماعي وتمنحهما، في السياق، هوياتٍ وأدواراً مختلفة. بخصوص الكرنوتوب ينظر: ميخائيل باختين، أشكال الزمان والمكان في الراوية، ص ص٢٣–٢٥، وما بعدها.

تلخص رزان إبراهيم في كتابها **الرواية التاريخية بين الحوارية والمونولوجية** الفرق بين الرواية المونولوجية أو المنوفونية والرواية الديالوجية أو البوليفونية بقولها: "إن الرواية المونولوجية تنتهي بما يفرض على القارئ رأياً محدداً"[٣٤] دون التفات إلى سلبيات الوثوقية الإيديولوجية، وفي الرواية الديالوجية "لا تدرك الشخصية موقفها الحقيقي في عالم القيم الإنسانية، وتنتهي هذه الحيرة ذاتها من الشخصية إلى القارئ، وتثير الأسئلة أكثر مما تقرر الحقائق"، في الرواية الديالوجية، تضيف رزان إبراهيم: "يتخذ الكاتب طابعاً شديد الحياد، ويرفع بشكل ضمني شعار نسبية المعرفة؛ لأنه شخص يتساءل أكثر مما يقرر حقائق ثابتة"، ويترك "كامل المسؤولية للقارئ لكي يقرر في شأن الوقائع الماثلة أمامه"[٣٥]. لا يخفى أن المدارس النقدية، المتأثرة بالتنظير الظاهراتي، التي تركز على دور القارئ في العملية الإبداعية، قد استثمرت هذا الطرح، وطورته، وضبطته في مصطلحات نحو: أفق التوقع، وإنتاج المعنى، والقارئ الضمني، وغير ذلك[٣٦].

إلى ذلك كله، ستشكل المزاوجة بين ما قيل عن الرواية المغامراتية والحكاية الشعبية وبين ما قيل عن الرواية البوليفونية التي تقصي نفسها عن توصيف الرواية المونوفونية السابق وتنشغل بإثارة الأسئلة أكثر من انشغالها بتوفير الإجابات، ستشكل بوصلة ضابطة لسير مقاربة عينة الدراسة. يذكر أن هذه المقاربة ستستثمر

(٣٤) رزان إبراهيم، **الرواية التاريخية: بين الحوارية والمونولوجية**، دار جرير للنشر والتوزيع، عمّان، ط١، ٢٠١٢م، ص٣٠.

(٣٥) المرجع السابق، ص٣١.

(٣٦) بخصوص الظاهراتية وحدود هذه المصطلحات وغيرها، ينظر: جوناثان كولر، **النظرية الأدبية**، ترجمة: رشاد عبدالقادر، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق، ط١، ٢٠٠٤م، ص١٤٧.

مزاوجات أخرى بين أطاريح باختين، وأطاريح الشكلانيين الروس ومن تأثر بمقولاتهم من النقاد اللاحقين، وذلك لخدمة إثبات فرضية الدراسة التي ترى أن روايتي "الوارث" لخليل بيدس و"الحياة بعد الموت" لإسكندر الخوري البيتجالي، روايتان متوطنتان في خانة الرواية المونوفونية أو المونولوجية ولا تحيدان عنها البتة.

المطلب الثاني

أولاً- رواية "الوارث" لخليل بيدس

صك ألان دندز (Allan Dundes)، وهو واحد من أهم الفولكلوريين الأمريكيين في القرن العشرين، معادلةً رأى أنها تنظم العلاقة بين شخصيات الحكايات الشعبية، وكذا شخصيات نصوص أخرى كثيرة (غير شعبية) يصعب حصرها. شق المعادلة الأول هو "إعلان الحاجة"، وشقها الثاني هو "تلبية الحاجة" (Lack – Lack Liquidated)[٣٧]. لا يخفى، بالطبع، أن هذه المعادلة تتصادى تماماً مع ما ذهب إليه فلاديمير بروب وهو يتتبع مورفولوجية الحكاية الشعبية في سيرها من حالة ثبات إلى حالة خلخلة تبدأ مع قوى الشر، ثم عودتها إلى حالة ثبات نهائي يحيّنها فوز البطل الباحث أو البطل الضحية[٣٨]. بين قراءة بروب لبنية الحكاية في عشرينيات القرن الماضي وتحديد فعل شخصياتها في حمل وظائف تحكمها معادلة إعلان الحاجة وتنفيذها، وبين استثمارات ألان دندز التي

(37) Dundes, Allen. **"The Morphology of North American Indian Folktales"**. *FFC*, no. 195, Helsinki, 1964, pp. 61-64.

(٣٨) فلاديمير بروب، مورفولوجيا الحكاية الخرافية، ص١٦٧.

جاءت، وجاء غيرها[٣٩] مباشرة بعد ترجمة كتاب فلاديمير بروب إلى اللغة الإنجليزية مطلع الستينيات من القرن نفسه، تأتي ملاحظة ميخائيل باختين سابقة الذكر حول رواية "الاختبار المغامراتية" في سيرها هي الأخرى من حالة الثبات إلى حالة الخلخلة ثم العودة إلى حالة الثبات. يبقى أن إضافات باختين المعمقة التي لم ينشغل بها ألن دندز ومن تبعه من الفولكلوريين، جاءت عن طبيعة الشخصيات كما مر ذكرها في القسم الأول من هذا البحث، أي بخصوص امتثالها لمنظومة فكرية أحادية تجعل منها أشياء (Objects)، أو دمى معلقة بخيوط معقودة على أصابع راوٍ ينتج رواية مثل رواية **الوارث** لخليل بيدس، الرواية التي عيّنت سنة نشرها (١٩٢٠م) سيرورة الرواية الفلسطينية إلى وجهة لا يمكن، مع ديمومة تطور جنس الرواية عمومًا، تحديد إحداثيات ختامية لها.

حبكة رواية الوارث، قبل أي شيء، حبكةٌ طولية، وخط الحبك الطولي هذا يتقطع مرات كثيرة بسبب سلسلة من خطب أخلاقية وسياسية واجتماعية[٤٠] يلقمها المؤلف فمَ شخصية نعمان الحلبي عم البطل عزيز؛ الأمر الذي تتحول معه هذه الشخصية، تمامًا مثلما يحدث مع باقي شخصيات الرواية كما سيأتي، إلى بوق لسلطة/ إيديولوجية محددة؛ إذ لا يكون التعامل معها بوصفها خالقة "لمفهوم

(٣٩) الإشارة هنا إلى دراسة أولرك أكسل المضمنة في واحد من الكتب التي أشرف ألان دندز نفسه على تحريرها، وتناول فيها جملة من قوانين الشفاهي نحو: ١- غياب البدايات المفاجئة، ٢- غياب النهايات المفتوحة، ٣- السير من الثبات إلى الخلخلة ومن الخلخلة إلى الثبات، ٤- التكرار، ٥- كثرة الرواسم/ الصيغ، ٦- حضور شخصيتين في المشهد الواحد يكون حوارهما محكومًا بصيغة الطلب وتنفيذه، ٧- التركيز على شخصية محورية واحدة، ٨- غياب التفريع التحليلي والتوغل في الأبعاد النفسية للشخصيات، ٩- نتوء نغمة التطرف أو المبالغة. ينظر:
Olrik, Axel, "**Epic Laws of Folk Narrative**" in Allen Dundes ed. The Study of folklore, University of California, 1965, pp.129-141.

(٤٠) خليل بيدس، الوارث، ص٦٧، وص٨٠، وص٨١، وغيرها كثير.

إيديولوجي خاص وكامل القيمة" كما يحدث في الروايات البوليفونية، بل تقدم بوصفها "موضوعاً لكلمة المؤلف نفسه"[٤١]، وفي حل من أي سياق كرونوتوبي مُحدَّد ومُحدِّد.

يبرز شق المكان في الكرنوتوب واحداً من العناصر التي تحيل على مونولوجية رواية **الوارث**، فبيدس يأتي على ذكر المكان في مستهل الرواية، تماماً كما يؤتى على ذكر المكان بداية الحكاية الشعبية (في الغابة البعيدة، أو في بلاد السند والهند، ....)، ثم يُترك مكاناً مبهماً تماماً، ودون أي تفاصيل يمكن أن تؤشر إلى طبيعة فعل الشخصيات، أو على تشكيل نفسياتها أو التأثير عليها. لا يتعرّف القارئ، والحال، على معالم المكان الكبير (مصر)، ولا على تفاصيله الصغرى (بيت ومسرح وكباريه)؛ فذكر مكان الرواية الكبير هذا لا يرد إلا مجرداً[٤٢] وفي موضعين، الأول حين تأتي الرواية على ذكر عائلة البطل عزيز الحلبي الشريفة التي تركت سورية (الكبيرة غير المحددة) إلى الديار المصرية، وسكنت القاهرة بعد حوادث الحرب الأهلية في مناطق من لبنان وسورية عام (١٨٦٠م)[٤٣]، والثاني حين قدم الكاتب فقرة قصيرة في مستهل الفصل الثالث تناول فيها، بنفسٍ تجميعي مبالغٍ في إغداق النعوت[٤٤]، المنزل (الكبير/ الفخم/ ذا الحديقة واسعة الأرجاء دائمة الخضرة والإزهار) الذي يقع في بعض أحياء القاهرة المترفة، وتقطنه عائلة الشيخ نعمان الحلبي (عم عزيز) الشريفة صاحبة الأملاك

(٤١) ميخائيل باختين، شعرية ديستويفسكي، ص٩.

(٤٢) ميخائيل باختين، أشكال الزمان والمكان في الرواية، ص٢٥.

(٤٣) خليل بيدس، الوارث، ص٢.

(٤٤) يركز باختين على مسألة المبالغة في إغداق النعوت هذه ويجعلها سمة للرواية المغامراتية (المنوفونية غالباً)، ينظر: ميخائيل باختين، أشكال الزمان والمكان في الرواية، ص١٢.

الكثيرة والأطيان الواسعة والثروة التي لا تحصى. يقرّب حضور المكان على هذه الشاكلة، مع قرائن أخرى سيؤتى على ذكرها، رواية الوارث من الرواية المغامراتية المونوفونية التي يظل المكان فيها قابلاً للاستبدال، "فما يحدث في بابل يمكن أن يحدث في مصر أو بيزنطة والعكس صحيح"(٤٥)؛ ذلك لأن الرواية التي تنشد تحقيق غايات تثقيفية/ قيمية/ توجيهية/ ترفيهية موزعة بين ثنائية الخير والشر، لا تهتم كثيراً بمحددات الزمكان، ولا تحتاج إلى مشهد حقيقي له إحداثيات معرّفة نظّر باختين، ونظّر غيره، عن مركزيتها في التأثير على فعل الشخصيات وتكوين هوياتها، وعلى نسج شبكة تقاطعاتها مع الشخصيات الأخرى. ليس هذا فحسب؛ فصورة الإنسان في الأدب، بحسب باختين، ليست سوى صورة زمكانية بشكل جوهري(٤٦).

يتكامل تمثيل المكان مع تمثيل الزمان في تعيين مونولوجية "الوارث"؛ فالزمان في هذه الرواية لا يعدو كونه ثغرة بين نقطتين، نقطة حالة الثبات التي تعقبها الخلخلة ونقطة العودة إلى حالة الثبات. صحيح أن أحداث الرواية كلها تبنى في ثغرة الزمن هذه، "لكن في حقيقة الأمر يجب ألا يقع شيء بين هاتين النقطتين"(٤٧)؛ فأحداث الرواية التي تملأ هذا الشق الزمني ما هي إلا "محض ابتعاد عن المجرى العادي للحياة"(٤٨)، ولا يتوقع أن تترك أثراً في حياة شخصيات الرواية. البطل عزيز في الرواية، وهو الوارث الوحيد لعمه الغني الذي تبناه بعد موت أخيه، يقع في حب غانية يهودية تقصيه عن مجرى حياته المشتهاة في بيت

(٤٥) ميخائيل باختين، أشكال الزمان والمكان في الرواية، ص٢٦.

(٤٦) المرجع السابق، ص٦.

(٤٧) المرجع السابق، ص١٢.

(٤٨) المرجع السابق، ص١٣.

عمه، ومع وقوعه في حب هذه الغانية تتعثر أماني العم في اجتماع ابن أخيه عزيز وابنته نجلاء في شركة الزواج. هكذا تظل الأحداث تتطور في إطار محكوم بمعادلة دندز من الطلب وتنفيذه، وصولاً إلى ذروة يكاد يذهب عزيز عندها ضحية بسبب كثرة طلبات إستير ومن يساندها من جوقة المرابين اليهود الذين أحكموا خطط استنزافه ودماره، إلى أن تدخلت نجلاء التي تضطلع في الرواية بشكل من أشكال دور المانح أو الوهّاب(٤٩) ووفرت له طريق نجاة من شراك إستير وبطانتها.

لا يخفى أن انتظام رواية الوارث بين حدّي إعلان الحاجة وتلبيتها يتحكمُ بشكل كبير في شكل انتظام العلاقة بين الشخصيات، ويصادر، بالنتيجة، إمكانية وِجدان أي مبدأ حواري هي سمة فارقة للرواية البوليفونية. تُحرَّك الشخصيات في رواية الوارث لحمل وظائفها المحددة التي تأخذ السرد إلى محطة ثباته الختامية بوثوقية عالية، وتظل، أي الشخصيات، مفتقرة لكل "أشكال الوعي متساوية الحقوق"، و"مجرد موضوعات لكلمة الفنان"(٥٠). كان عزيز، على سبيل المثال، يطاوع دون مساءلة أو استهجان حقيقي أو تأمّل، لتدابير إستير التي تحمل وظيفة الشرير وتخطط لنهب ثروته، وامتثال عزيز هذا ليس سوى تحقيق لصعود الرواية إلى منطقة تأزم عليا تعقبها، في حبكة طولية ملتزمة، حالة الحل التي تحضر ثباتاً نهائياً عقب هزيمة قوى الشر بفعل تدخلات الخيّرين أمثال نجلاء التي قدمت للبطل عود خلاص هو قيمة دينه كله(٥١)، وجلبته، بذلك، إلى حضنها الثابت، ومن

(٤٩) الوهاب واحد من الشخصيات التي يتكرر حضورها في الحكايات الشعبية، ودورها الأساسي أن تساعد البطل؛ كأن توفر له أداة من نوع ما، حتى يتمكن من الانتصار على قوى الشر، ينظر: فلاديمير بروب، مورفولوجية الحكاية الخرافية، ص١٠٠.

(٥٠) ميخائيل باختين، شعرية ديستويفسكي، ص ص١١-١٢.

(٥١) خليل بيدس، الوارث، ص١٢٧.

ثمّ إلى حضن عمه الذي تعافى فجأة؛ وبالتالي إلى تحقق موت الشريرة إستير على يدي واحد من عشاقها الكثر.

إمعانـاً في تحقيـق حالـة تقـاطع الشخصيات غيـر الحـواري، تـأتي شخصيات الروايـة الكثيـرة موزعـة على فـريقين غير متحـاورين أصـلاً: الأول فريـق الخيـرين الذي يمثله العم وابنته نجلاء ومحاسب المتجر الأمين الذي اضطلع عزيز بإدارته بعد مرض عمه، والثاني فريق الأشرار الذي تمثله إستير وبطانتها المكونة من العمة راحيل ومجموعة المرابين اليهود. لا ينعقد بين هذين الفريقين تقاطع حقيقي يتيح المجـال لحـوار الإيـديولوجيات التـي يحملهـا كـل فريـق، ولا يمثـل الأعضـاء في الفـريقين، المتجانسـيْن بـذاتهما والمتناقضـيْن في علاقتهمـا الواحـد مـع الآخـر، كينونات منفصلة تحيل على أي تنوع من نوع ما. لا يأتي، على سبيل المثال، صوت العمة راحيل صوتـاً محاوراً ثالثـاً لكيما يمثل موقفـاً، أو يؤكـد فكـرة "الأنـا الغيريـة بوصفها ذاتـاً فاعلة (Subject) أخرى"[٥٢]، بل يأتي حضـورها تناوبيـاً، تمامـاً مثل بقية المرابين، لتمرير هدف واحد هو ابتزاز عزيز. يذكر أن تمرير الابتزاز لا يحتـاج إلى مهارات حقيقية في الإقناع والمحاججة، فعزيـز جـاهز أبـداً لتقبـل دور الضـحية التي حملها بدفعٍ مـن حماسـة المؤلـف[٥٣] لفكـرة اليهـودي المبتـز والعربـي الخيّـر الذي يحرسه أصله الذهبي من كل شر. هكـذا يتنـاوب الأعضـاء كلهـم في الفـريقين على وظائفهم في حمل السرد إلى مناطق الثبات، والعلاقة التي تقـوم بـين الفـريقين لا تعدو كونها علاقة شد حبل لخدمة مقولـة المؤلـف: فريـق الأشـرار يشـد البطـل عزيز نحو دماره الاقتصادي والذاتي، وفريق الخيرين يشده لكيما يعود إلـى حظيـرة الخير ويتوقف عن كونه ابنـاً ضالاً.

(٥٢) ميخائيل باختين، شعرية ديستويفسكي، ص١٥.

(٥٣) المرجع السابق، ص١٩.

حقيق بالإشارة في نهاية الأمر، أن سيرة عزيز بين الضلال والهداية لم تغيّر من مواقف نجلاء، ولم تحد من درجة تفانيها في حبه، وكذا لم يخدش السكر أو التقلب في أحضان إستير عفة عزيز المفترضة؛ فعزيز ضحية مكرٍ انقلب في النهاية على صاحبه مع موت إستير خنقاً على يد واحد من عشاقها. عندما ينهض عزيز من كبوته هذه يلتئم الزمن بين النقطتين، وتتجسر الثغرة وكأنها لم تكن قط، ويعود عزيز وتعود نجلاء دون أن يفعل فيهما الزمن الذي تنهض الرواية على سرده أي أثر، ودون أن يخلّف، في استعارة لسخرية كنديد فولتير (Voltaire)، تكرشاً في الخدين أو تقشراً في الساعدين[٥٤]، أو حتى ثنية خجولة على جبين الحبيبين اللذين لا يكبران في شق الزمن غير المحسوب هذا.

معاناً في تكريس حالة الثبات على مستوى العبارة أيضاً، لا يتردد بيدس في اختيار روسم/ قفلة موقّعة تحاكي قفلات كثير من الحكايات الشعبية؛ فعزيز البطل الضحية، الذي خلصه معدنه الطيب ومعدن الطيبين من حوله، يعيش بعد انقشاع الغيمة "عيشة رغد وهناء ... والأيام لا تزيده إلا تعلقاً بنجلاء"[٥٥]. يذكرنا الاقتباس الاستهلالي الذي سيق مطلع هذه الدراسة، ختاماً، بأن كل شيء يعود إلى بدايته وإلى مكانه؛ ذلك لأن مطرقة الأحداث، وفي رواية مونولوجية من عيار رواية الوارث، لا تفتت شيئاً ولا تطرق شيئاً، سوى أنها تختبر صلابة مادة جاهزة فقط.

---

(٥٤) فولتير، **كنديد**، ترجمة: عادل زعيتر، وزارة الثقافة الفلسطينية، سلسلة القراءة للجميع، ط٢، ٢٠٠١م، ص١٧٨.

(٥٥) خليل بيدس، الوارث، ص١٢٧.

ثانيًا- رواية "الحياة بعد الموت" لإسكندر الخوري البيتجالي

ترهص عتبتان من عتبات رواية *الحياة بعد الموت* بمونولوجيتها، ثم لا يقصّر متن الرواية، بعد ذلك، في كشف ما ترهص به هاتان العتبتان وتثبيته. الأولى من هاتين العتبتين هي العنوان، والثانية هي النص القصير الذي وضعه إسكندر الخوري البيتجالي مطلعَ روايته، وأسماه تمهيداً.

يحيل التبصر في إفضاءات عتبة العنوان (الحياة بعد الموت) على قانون الثبات والخلخلة ثم العودة إلى حالة الثبات، أو يحيل، والأمر سيان، على معادلة إعلان الحاجة وتلبيتها. تأتي الحياة في العنوان، خلافاً للقانون الطبيعي في حياة الإنسان، بعد الموت، وهذا يؤشر على أن الموت، بوصفه شكلاً متطرفاً من أشكال الغياب(٥٦)، لم يتحقق فعلياً في الرواية، وعلى أن الحياة التي تحققت بعد انحسار هذا الغياب المفترض هي محطة ثبات الرواية الختامية. تعدّ هذه الثنائية المضمنة في العنوان، إذا دعمتها القرائن بالضرورة، واحدةً من الركائز التي يقوم عليها بناء الرواية المغامراتية المونولوجية كما مر بنا، وكذا يقوم عليها بناء الحكاية الشعبية التي تصل عند تمامها إلى عش الحياة السعيدة الدافئ الذي عصفت به أحداث وقعت في الفسحة بين ثغرتي زمن الـ"قبل" وزمن الـ"بعد". الأصل في هذه الأحداث، كما مرّ أيضاً، ألا تقع، وهي عند وقوعها ليست سوى ابتعاد عن المجرى العادي للحياة، ومن غير المتوقع؛ بالتالي، أن تترك أثراً في حيوات الناس الذين خبروها.

في عتبة التمهيد، يقرر البيتجالي (الكاتب)، وفي كلمات لا يسهل القبض على دلالات محددة لها، أن البشر ينشدون الكمال الحقيقي والسلام النهائي، ولذلك

(٥٦) فلاديمير بروب، مورفولوجية الحكاية الخرافية، ص٨٣.

فإن ما يتغياه من كتابة روايته هو تحقيق ذلك من خلال إصلاح حالة الزواج والعائلة والمجتمع. يقرر البيتجالي، وفي صوت علوي ثمل بيقينيّة مطلقة، أنه سيسوق الحقائقَ والعبر التي تقود إلى تحقيق هذا الصلاح[٥٧]، وهو، حين يفعل ذلك، ينسف فكرة أن الحقائق تظل نسبية، وأن العبر عرضة للتغير متى تغير شرطها الزماني والمكاني، وأن كل ذلك، أولاً وأخيراً، مادة لتقاطع الأفراد تقاطعاً حوارياً يضمن حضورهم في النص، لا بوصفهم موضعاً لرؤية الكاتب ووعيه الموحد، بل بوصفهم كاملي الأهلية ويتمتعون بأشكال وعي غيرية متساوية الحقوق[٥٨]. حقيق بالإشارة، هنا، أن إسكندر الخوري البيتجالي قبض في روايته هذه على زمن فلسطيني قلق كانت السلطنة العثمانية تقف خلاله على أعتاب حرب عالمية سبّب الاستعداد لخوضها حراكاً سكانياً واسع النطاق، وأضعف الانتماءات المحلية، وقوّض كثيراً من القيم الاجتماعية التي كانت سائدة لقرون في فلسطين، وعوّد السكان أنماطَ استهلاك جديدة منفصمة عن حياتهم التقليدية، وأحدث تحولات مهمة في أنماط العمل والحياة اليومية وأشكال العلاقات على اختلافها[٥٩]. كان يمكن أن يشكل هذا التحول في مختلف مناحي الحياة بيئةً غنية لتجاور حواري بين شخصيات تتبنى مواقف متباينة وغير محسومة حيال هول الذي يحدث على الصعد كلها وتبعاته، لكن البيتجالي، وفي حدود وعيه لفن الرواية ودورها في عشرينيات القرن الماضي، لم يفلح في استثمار ذلك، لكنه نجح في تحويل هذه

(٥٧) وردت هذه العبارات المنصصة في تمهيد رواية الحياة بعد الموت غير المرقم.

(٥٨) ميخائيل باختين، شعرية ديستويفسكي، ص١٢.

(٥٩) بخصوص تفصيل تبعات الاستعداد للحرب وخوضها على المجتمع الفلسطيني، ينظر: سليم تماري، **عام الجراد: الحرب العظمى ومحو الماضي العثماني من فلسطين**، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ٢٠٠٨م، ص ص٣-٩.

الحداثة القسرية إلى محض حكاية مونولوجية شخصياتها أقرب ما تكون إلى "العبيد"(٦٠).

أول عبيد الرواية بطلُها نجيب، وهو شاب مقدسي مات أبوه وهو في سن صغيرة، وتمكن من تحصيل قدر من التعليم لا نعرفه على وجه التحديد. ارتبط نجيب بفتاة اسمها أديل كان يعرفها منذ أيام الطفولة، وهذه الفتاة، لا غرو، مغرقة في عفتها وطهرها وجمالها، ولا نعرف لها أبـًا أو أمـًا أو حتى عائلة؛ كأنها ولدت من الروح القدس. أنجبت أديل لنجيب طفلاً تزامن موته مع سنوات الحرب العالمية الأولى وموت والدة نجيب، ترشّحت الرواية بقوة لدخول حالة الخلخلة؛ فقد أقدم نجيب، مدفوعـًا بمخطط وضع الرواية على مدارج تأزم إضافي، على مغادرة البيت سراً ليلتحق بالجيش التركي الذي يستعد لدخول الحرب، ويترك لزوجته النائمة رسالة يقول فيها إن إرادة الله أوحت إليه أن يغادر هربـًا من العذاب والتحسر والفقر والمرض والجوع، ويقرر أن أديل، التي جُعلت مادة لتفكيره(٦١)، ستتزوج من رجل مقتدر يصون عرضها المرشح للخدش إن هي ظلّت على ذمة رجل فقير مثله(٦٢). تدخل الرواية، مع غياب نجيب، في نفق الزمن بين نقطة الخروج وما سيليها، ومع دخولها هذا يبدأ الراوي بضخ الأحداث التي يحمّلها لعبيد إضافيين يظلون، تمامـًا كما يظل نجيب وتظل أديل، مغيّبين على مستوى التعمق في أبعادهم النفسية والاجتماعية(٦٣)، ويتحدثون لغة واحدة هي لغة

(٦٠) ميخائيل باختين، شعرية ديستويفسكي، ص١٠.

(٦١) المرجع السابق، ص٣٣.

(٦٢) إسكندر الخوري البيتجالي، الحياة بعد الموت، ص٤١.

(٦٣) الإحالة هنا على القانون الثامن من قوانين أولرك إكسل سابقة الذكر، ينظر الهامش رقم (٣٩).

الراوي[٦٤]. بعد تأثيث حالة غياب نجيب ومتعلقاتها من تأزم وخلخلة، يبدأ إسكندر الخوري البيتجالي بترتيب صدف كثيرة يقوم عليها خط الرواية الدرامي[٦٥] الذي تتخلله مجموعة خطب ومحاكمات تشغل أكثر من نصف المتن، وتتناول موضوعات سياسية واجتماعية واقتصادية وأخلاقية وغيرها[٦٦]، وتظل غير مذابة في جسم السرد، وتصادر من النصوص الأدبية أغلى ما يمكن أن تملكه: "المسكوت عنه" الذي يحد من إمكانات استفقاع ذائقة المتلقي والحط من قدرته على التأويل[٦٧].

أُولى الصدف أن ثمة تاجراً حلبيّاً يعمل في القدس ويدعى (نجيب) أيضاً، وعند هذا الأخير تركت والدة نجيب قبل موتها خمسين ليرة ذهباً هي ثمن موجودات محل زوجها[٦٨]، لكن نجيب التاجر لم يتمكن من رد الأمانة إلى أصحابها بحجة ظروف الحرب والكساد. تشاء ظروف الحكاية، أو ترتيب صدفها، أن يموت التاجر نجيب ظلماً برصاصة جندي تركي، وفي سياق الموت هذا يدخل شاب آخر اسمه سالم يشنق بتهمة الفرار من التجنيد الإجباري، ثم يترك المشهد، تماماً كما تركه نجيب التاجر، دون أن نقبض على شيء من شخصيته سوى أنه

(٦٤) ميخائيل باختين، شعرية ديستويفسكي، ص١٢.

(٦٥) يتحدث باختين عن دور المصادفة في التحكم بسير الأحداث وتزامنيتها أو عدم تزامنيتها، ويعلق أيضاً على أن المبادرة في الزمن المغامراتي ليست للأبطال؛ فالإنسان المغامراتي هو إنسان المصادفة، وإنما هو يدخل الزمن المغامراتي بوصفه إنساناً حدث له شيء ما. إن المبادرة في هذا الزمن ليست للإنسان. ينظر: ميخائيل باختين، أشكال الزمان والمكان في الرواية، ص ص٢٠-٢١.

(٦٦) المرجع السابق، ص١٠.

(٦٧) أمبرتو إيكو، **"القارئ النموذجي"**، ضمن كتاب طرائق تحليل السرد: دراسات، منشورات اتحاد كتاب المغرب، سلسلة ملفات ١/ ١٩٩٢، الرباط، ط١، ١٩٩٢م، ص١٥٨.

(٦٨) إسكندر الخوري البيتجالي، الحياة بعد الموت، ص١١.

حامل لوظيفة محددة، هي ترك زوجته وطفلته وأمّه التي ترملت بعد أن مات زوجها قهراً بسبب شنق وحيده. يتناهى خبر موت التاجر نجيب إلى أديل، وتعتقد، لعلة تشابه الأسماء، أن الذي مات هو زوجها.

نكتشف، لاحقًا، أن لنجيب التاجر أخًا يعيش في حلب يدعى موسى، ولهذا الأخير ابنة وحيدة مخطوبة إلى شاب اسمه كامل يعيش في القدس، ويقدم هناك على اغتصاب زوجة المشنوق سالم ويتركها حاملاً. تُوصِلُ الرواية، وفي غفلة من زمن ضبابي أصلاً، زوج أديل جنديًا عثمانيًا إلى حلب، ويستأجر، في توالي الصدف الكثيرة التي يقوم عليها مبنى الحكاية/ الرواية، غرفةً في بيت موسى. تبدأ سعاد ابنة موسى، وفي موقف يجعل منها أداة (Object) لاختبار عفة البطل والتحقق من معدنه العصي على التشكّل أو التغيّر كما أشار باختين[٦٩]، بملاطفة نجيب وغوايته، وتأخذ من عدم إخلاص كامل الذي أجبرها أبوها على الارتباط به مبرراً لفعل ذلك. لم يتطلب تمرير اختبار العفة هذا سوى لقاءين لاهثين تتخللهما حوارات غير حوارية: في الأول تغرم سعاد بنجيب، وفي الثاني ترتمي في أحضانه ويصدّها. بعد انتهاء وظيفة الغواية ونجاح اختبار العفة، يلبي نجيب "نداء الواجب" ملتحقًا بواحدة من جبهات الحرب الكثيرة[٧٠].

قبل أن تكتشف أديل أن الذي مات هو نجيب التاجر وليس زوجها، ترميها ظروف البؤس وفقد الزوج في طريق ضابط عربي يشفق على حالتها، ويأخذها إلى بيته، ويترك لأخته سلوى العناية بها وتلبية احتياجاتها كافة. تصبح أديل، بعد تدخل الضابط الذي يؤدي دوراً من أدوار الوهاب أو المساعد، واحدةً من أهل البيت

(٦٩) الإحالة هنا على الاقتباس الاستهلالي الذي ورد في مطلع هذه الدراسة.

(٧٠) إسكندر الخوري البيتجالي، الحياة بعد الموت، ص٧٣.

الذي لجأت إليه، لاحقًا، مريمُ زوجة سالم بعد أن دفعتها الفاقة إلى البغاء وارتياد بيوت الدعارة[٧١]. في متوالية ترتيب الصدف، يخدم نجيب في الجبهة تحت أمرة هذا الضابط العربي، واسمه سعيد، وينقذه من الموت المحقق؛ ليصير نجيب، بذلك، منقذ حياة سعيد، تمامًا كما صار سعيد، من قبلُ، منقذ زوجة نجيب[٧٢].

يفتضح، لاحقًا، أمر كامل أمام عمه وأمام خطيبته حين قدموا جميعًا إلى حيث تسكن أديل بغية رد الأمانة التي لم يستطع نجيب التاجر ردها قبل موته؛ فقد تعرفت مريم على كامل وفضحت فعلته بها أمام حميه وخطيبته، ويقبض في الأثناء على سعيد ونجيب بتهمة التعاون ضد الاتحاديين الأتراك ويساقان إلى سجن في بيروت، لكنهما يتمكنان من الهرب بطريقة عجيبة وغير مقنعة، ثم يصلان القدس[٧٣]، ويلتحقان بصفوف المجاهدين العرب. يسجن العثمانيون أديل وسلوى بتهمة التستر على الأخ والزوج، وعند أعتاب نهاية الحرب وهزيمة الأتراك يهاجم الثوار السجن، وتشرّع الأبواب، ويلتقي الأخ بالأخت والزوج بالزوجة، ويتخذ كامل مريمَ، بعد تقريع ضمير ودون أي اعتراض أو خطاب مناهض له نفوذ معنوية من طرف الضحية[٧٤]، زوجةً له، ويترك خطيبته سعاد التي ترتبط بضابط عربي شاب اسمه فؤاد.

يعيش الجميع، بعد الوصول إلى حالة الثبات هذه، بسعادة وهناء[٧٥]، وكأن شيئًا لم يقع بين مطلع الرواية وختامها، أو بين ثغرتي زمنِ خروج النص من حالة

(٧١) إسكندر الخوري البيتجالي، الحياة بعد الموت. ص٩٤، وكذا ص٩٧.

(٧٢) المرجع السابق، ص١١٩.

(٧٣) المرجع السابق، ص١٥١.

(٧٤) المرجع السابق، ص٩.

(٧٥) المرجع السابق، ص١٦٧.

الثبات والعودة إليها. لقد أملت مونولوجية الرواية أن تكون قفلتها على هذه الشاكلة؛ فما طرح من حالات أو تناقضات تاه شخوص الرواية بينها في شرط كرنوتوب الحرب، لم يطرح بوصفه مادة لإجلال معاناتهم المعقدة التي تتيح للقارئ أن يتيه بينها هو أيضاً ويشكل مواقفه الممكنة(٧٦)، بل طرح بوصفه حالة عابرة يجب أن يعقبها حل علوي يرتّبه راوٍ عليم، ذو حكمة فائقة في تقرير ماهية "الحقائق"، ويعرف كيف يضع حداً لحالة التشويش(٧٧)، ومستغرق ثقافياً في الموروث الشفاهي الذي أملى شكل نهاية الرواية التي اقتربت حد التماهي من نهايات كثير من الحكايات الشعبية.

في المروية الفلسطينية لحكاية الشاطر حسن، يسمح والد الشاطر حسن للغولة المتخفية بهيئة امرأة جميلة أن تفقأ عيون نسائه الأربع قبل أن يتزوجها، ثم مع نهاية الحكاية وغلبة الخير الذي يمثله الشاطر حسن وانكشاف أمر المرأة الغولة وموتها، تعود النساء إلى زوجهن دون أن ترفع إحداهن حاجباً، أو دون أن تنتصب محاورة رغبة الرجل في استرجاعها والتمتع بجسدها كما كان يفعل قبل أن تنحرف الحياة عن مسارها بدخول الغولة الشريرة(٧٨). إن كل ما فعلته أديل أمام زوجها الذي قرر أن يتركها دون أن يدير معها حواراً واحداً عن مصيرهما المشترك، أو عن شكل حياتهما بعد التحاقه بالحرب، هو أنْ صرخت بفرح أمام باب السجن الذي لم يعد مغلقاً "نجيب! حبيبي نجيب"(٧٩) ونسيت ما فعله غيابه بها تماماً، أو لم

(٧٦) ميخائيل باختين، شعرية ديستويفسكي، ص١٠.

(٧٧) المرجع السابق، ص١٣.

(٧٨) نمر سرحان (محرر)، **حكايات شعبية من فلسطين**، دار الفتى العربي، بيروت، ١٩٨٧م، ص ص٤١-٤٧.

(٧٩) إسكندر الخوري البيتجالي، الحياة بعد الموت، ص١٦٥.

يكن من الأهمية بمكان أن تتذكر، ذلك لأن الذي وقع لم يكن في الحقيقة واجب الوقوع، بل انحرافاً عن المسار العادي لحياتها وحياة زوجها؛ فمطرقة "كرنوتوب" الحرب التي اعتقد البيتجالي أنها الطارئ الذي يبدأ عسكرياً على الجبهة وينتهي عليها، لم تفتت فيهما شيئاً سوى أنها اختبرت صلابة مادتهما العصية على التغيّر أو حتى التشكّل(٨٠).

خاتمة

قارب هذا البحث، في مقدمته، واقع الرواية الفلسطينية التي صدرت قبل العام ١٩٤٨م، وأشار إلى أن عدد الروايات التي صدرت بين بداية القرن العشرين حتى وقوع النكبة كان محدوداً جداً، وإلى أن أزيد من نصف هذا العدد المحدود ظل مفقوداً، أو ظلت مسألة إعادة نشره وتوزيعه متعثرة لسنوات طوال بسبب النكبة وتبعاتها. بيّن البحث، في المقدمة أيضاً، كيف أثر هذا الأمر على شكل المقاربات النقدية لبواكير الرواية الفلسطينية؛ وبالتالي على تدوير مقولات النقاد الرواد وإعادة تدويرها ودوام الاقتيات عليها، ثم بسط إشكاليته التي تتركز حول التحقق من الخاصية المونولوجية لعينته المؤتلفة من روايتين فلسطينيتين صدرتا في العام ١٩٢٠م هما "الوارث" لخليل بيدس و"الحياة بعد الموت" لإسكندر الخوري البيتجالي. من أجل الوصول المنظم إلى مقارعة هذه الإشكالية وتعيينها وتفسيرها؛ قدم البحث في مطلبه الأول إطاراً نظرياً مركزاً يعتمد بشكل أساس على أطاريح باختين عن أهم الفروقات بين الرواية البوليفونية/ الديالوجية والرواية المونوفونية/ المونولوجية.

(٨٠) الإحالة هنا، على الاقتباس الاستهلالي الذي ورد في مطلع هذه الدراسة.

من أهم العلامات الفارقة التي عينها البحث في مطلبه الأول هذا، أن الرواية البوليفونية روايةٌ متعددة الأصوات، والأصل في هذه الأصوات/ الشخصيات أن تأتي مستقلة، وتتمتع بأشكال وعي متعددة ومختلفة، ولها رغبات تصب في تكوين أصالتها، ولا تخضع لصوت الكاتب السامي، ولا تقع ضحية لحماسته أو أيديولوجيته المفردة. يترك الكاتب في هذا النوع من الروايات المسؤولية كاملة للقارئ؛ لكي يقرر في شأن الوقائع الماثلة أمامه، ويتخذ طابعاً شديد الحياد، ولا يمارس رياضة اختلاف مكشوفة في الأصوات والمنظورات لتثبيت وجهة نظر بعينها. في الرواية المونوفونية، بالمقابل، يصطدم القارئ بصوت أحادي هو صوت الكاتب الذي يقرر الحقائق، ويعي "المغازي الحكمية"، ويتمتع بوثوقية مطلقة في امتلاكه لـ"الحقيقة"، ويخلّق بالنتيجة شخصيات يحمّلها وظائف محددة ويقربها من العبيد؛ فهي تتبع خطاً دراميا معرفاً يأخذ الرواية من حالة الثبات إلى حالة الخلخلة ثم يعود بها نهايةً إلى حالة الثبات. لا يخفى أن هذا النوع من الروايات يفرض على القارئ رأياً محدداً، ولا يورطه في التأويل، ولا يتركه مشوشاً يبحث عن طريقه، أو يراكم اعتزازه بنفسه وهو ينتج معنى النص، أو يعيد كتابته من جديد.

رحّل البحث، في مطلبه الثاني، هذه الأطاريحَ النظرية إلى فضائها التطبيقي على العينة، وتوزع على قسمين: قارب القسم الأول رواية **الوارث**، وقارب القسم الثاني رواية **الحياة بعد الموت**. خلص البحث في هذا القسم إلى أن الروايتين ظلتا ملتزمتين بشرط السير الحثيث من حالة ثبات إلى حالة خلخلة ثم العودة إلى حالة ثبات، وعلى شاكلة مطابقة لما أطلق عليه ميخائيل باختين "الرواية المغامراتية" التي تتخللها خطب كثيرة يذكرنا الكاتب من خلالها بأمرين: سلطته أولاً، ثم تابعية الشخصيات لهذه السلطة. لم يقصّر كاتبا هاتين الروايتين بضخ الأحكام وإنطاق

الشخصيات بهواهما، وكذا لم يقصرا في تدبيج العبر التي ظلت تهراق على طول صفحات الروايتين، ولم يقصرا، أخيراً، في القطع بشأن الحقائق. إلى ذلك، لا تفعل الشخصيات في هاتين الروايتين بدفعٍ من كرونوتوب يحكم طبيعة أفعالها وطرز هوياتها ودوام تشكلها، ثم يبرر الاختلاف ويحتفي بكنزه. ظلت الشخصيات في الروايتين مسطحة دون أي تعمّق بأبعادها النفسية، وظل الزمن الذي تشيل فيه وظائفها ثغرة، بين ما "قبل" وما "بعد"، ومصير هذه الثغرة أن تتجسر ثم تُنسى وكأنها لم تكن. لم تنحكم العلاقة بين الشخصيات في هاتين الروايتين إلى أي مبدأ حواري؛ فهي تفعل ضمن اشتراطات تحقق معادلة صكها ألن دندز هي علاقة "الطلب وتنفيذه"، أو معادلة إملاء الطلب وتوقع تنفيذه دون مساءلة. الكل يفعل في هاتين الروايتين متواطئاً مع حماسة المؤلفيْن المأخوذيْن بنقل السرد إلى محطة تأزم تحضّر للحل النهائي الذي يضع حداً للتشويش الذي ترى فيه الرواية البوليفونية نوعاً من توريط محبب للقارئ النشط. صحيح أن شخصيات هاتين الروايتين متعددة، لكنها لا تقول صوتها على مستوى الفكر ولا على مستوى اللغة، وتظل التجارب التي تمر بها تجارب قِشريّة لا تؤثر على جوهرها الخيّر أو جوهرها الشرير.

تظل هاتان الروايتان المغرقتان في مونوفونيتهما، وكذا روايات أخرى صدرت قبل نكبة ١٩٤٨م مثل رواية "على سكة الحجاز" لجمال الحسيني و"مذكرات دجاجة" لإسحق موسى الحسيني، على سبيل المثال، جزءاً أصيلاً من المدونة الروائية الفلسطينية التي بدأت بالتراكم فعلياً مع صدور هاتين الروايتين في العام ١٩٢٠م، وما دوام مقاربة هذه الروايات تحت مجاهر نقدية مختلفة سوى مراكمة إضافية وحيوية لتاريخ قراءة هذه المدونة، واحتفاء باختلاف شروط

إنتاجها وتلقيها. يطمح هذا البحث، ختاماً، أن يثوّر مجموعةً من قراءات جديدة تسيء، بلغة التفكيكيين، إلى بواكير الرواية الفلسطينية التي ما فتئت تنتظر مراكمة جادة ومتجددة لتاريخ قراءتها ضمن شرطها الزماني والمكاني، وضمن رؤيتنا لحاضر الرواية الفلسطينية التي انطلقت، صعوداً، من على مدرج هاتين الروايتين.

المصدر المؤول بين الأصالة والفرعية في النظرية والتطبيق

محمد محاسنة(*)

الملخّص

تتجلى أهمية البحث في تبنيه وجهة نظر مغايرة للسائد بخصوص مسألة فرعية المؤول على الصريح، وعمد لإثبات وجهة نظره -وفق مقولات المنهج الوصفي التحليلي- إلى محاورة مقولة فرعية المصدر المؤول على المصدر الصريح، موطِّئاً بذلك لردها، من خلال منطلقين: الحمل على شبه الجملة والإعراب المحلي، والحمل على أصل العمل.

وأفاد البحث من نظرية اللسانيات الوظيفية في رد مقولة فرعية المؤول؛ إذ نبّه إلى أثر المتكلم والمخاطب والسياق والقصد في حسم المسألة؛ فالمتكلم لا ينشئ خطابه إلا بقصد، والخطاب مرتبط بالمخاطَب وجوداً وعدماً، والعملية التواصلية برمتها محكومة بسياقاتها.

انتهى البحث إلى نتيجة رئيسة مفادها **نفي مقولة فرعية المصدر المؤول على المصدر الصريح**. وأما أهم النتائج الفرعية فهي أنَّ المصدرين يمثلان خيارين لغويين متاحين ضمن عملية احتمال مشروط.

الكلمات المفتاحية: الأصل والفرع، التفكير النحوي، المصدر المؤول، المصدر الصريح، اللسانيّات الوظيفيّة.

(*) المؤسسة العامة للضمان الاجتماعي، المملكة الأردنية الهاشمية. تاريخ تسلّم البحث ١٨/ ١/ ٢٠٢٢م وتاريخ قبوله للنشر ٢٥/ ٥/ ٢٠٢٢م.

The Genuine as Opposed to the Derivative Infinitive in Theory and Practice

By Mohammad Mahasneh

Abstract

The importance of the present article emanates from a viewpoint that is different from the currently held one regarding the view that the derivative infinitive is a subcategory f the genuine one. The author resorts to the descriptive-analytical approach to prove his view by resorting to two arguments: one based on the fragment, and another based on the original intention. The author has benefited from functional linguistics, pointing out the role of speaker, addressee, and context in determining the outcome, for the speaker begins with an intention; what is said is meaningful only in regard to the presence or absence of the addressee. Thus, the whole communicative process is determined by its context.

Key terms: Genuine and derivative, Grammatical thinking, Functional linguistics.

تعد ثنائية الأصل والفرع واحدة من الثنائيات النحوية التي سيطرت على كثير من الظواهر النحوية وصفاً وتفسيراً، وفي الوقت ذاته، فإن ثنائية المصدر الصريح والمصدر المؤول، تمثل نموذجاً دالاً على سيطرة فكرة الأصل والفرع على التحليل النحوي.

تتلخص مشكلة الدراسة في محاورتها مقولات النحاة في إثبات فرعية المصدر المؤول على الصريح، وفي محاولتها ردّ هذه المقولات؛ إذ تسعى بفكّ هذه الإشكالية إلى تبيان الخصائص التركيبية والدلالية للمصدر المؤول، التي تصلح أنْ تكون علامة دالّة على استقلاله عن المصدر الصريح وجوداً واعتباراً، وتتركز أهمية الدراسة في أنها توفر للباحثين وجهة نظر جديدة لمعاينة هذه المتلازمة التركيبية، أقصدُ فرعية المؤول على الصريح، عدا عن أنها تؤسس لإمكانية إعادة دراسة المصدرين: الصريح والمؤول وعلاقاتهما السياقية وفق منظور لساني وظيفي.

يتتبع البحث -وفق منطلقات المنهج الوصفي التحليلي- مقولات النحاة العرب بخصوص المصدرين: الصريح والمؤول، مستقصياً بذلك المنطلقات الفكرية التي صدر عنها النحاة العرب في سبيل إثبات فكرة الأصالة والفرعية بين المصدرَين، وخلال تتبعه لتلك المقولات، قدّم بين يديها طائفة من الموازنات النحويّة التي تصلحُ أن تكون منطلقاً جديداً لإعادة تصور العلاقة اللغوية بين المصدرَين.

قسّم البحث مباحث عديدة تراعي طبيعة الموضوع تأصيلاً وتحليلاً، فتكوّن من:

– مبحث تحرير المصطلح، وفيه وُقِفَ على معنى المصدر لغة واصطلاحًا، كما تضمّن حديثًا عن مصطلح المصدر المؤول ومرادفاته وتعريفه.

– مبحث المصدر الصريح والمصدر المؤول: منطلقات الأصالة والفرعية، وفيه حُصِرت المنطلقات الفكرية التي أرست مسألة الأصالة والفرعية بين المصدرين الصريح والمؤول، وحصرها البحث في منطلقين: تصور النحاة لقضية الأصل والفرع، وقابلية التأويل.

– مبحث ردِّ مقولات الأصالة والفرعية، وتضمن عرضًا مفصّلاً للمنطلقات النحوية واللسانية التي استعان بها البحث لرد مقولة فرعية الصريح على المؤول، وتضمن المبحث منطلقين رئيسين:

أ. رد الأصالة والفرعية حملاً على شبه الجملة والإعراب المحلي: تضمن مقارنة تركيبية دلاليّة بين المصدر المؤول وشبه الجملة، بجامع البينة اللغويّة لكل منهما، والإعراب المحليّ المفترض لهما، جاعلاً من الشبه التركيبيّ الدلاليّ بينهما منطلقًا جوهريًا في إثباتِ أنّ قابلية التأويل لا تعني بالضرورة أنّ المتأوَّل به أصل وأنّ المُصرّح به فرع عليه.

ب. رد الأصالة والفرعية حملاً على أصل العمل: عمد إلى مناقشة قضية أصل العمل وأصل الاشتقاق، ساعيًا بذلك إلى الوقوف على نقطة مُشكِلة بينهما (الفعل أصل العمل، والمصدر أصل الاشتقاق)، محرراً هذه النقطة على وجه يعين على ضرورة إعادة النظر في مسألة فرعية المؤول على الصريح.

– مبحث ماهية المصدر المؤول وحقيقته: تضمّن مقاربة لسانيّة وفق مقولات نظريّة اللسانيّات الوظيفيّة، عمد من خلالها إلى الوقوف على حقيقة

وجود المصدر المؤول في اللغة، وذلك بربطه بالخطاب اللغوي وبمكوّناته: المتكلم والقصد والمتلقي، وباللغة نفسها، بما هي الوسيلة الوحيدة للتعبير عن الخطاب ومكوّناته.

أفاد البحث من جملة من الدراسات الجادة التي اتخذت المصدرين الصريح والمؤول مادة لها، بغض النظر عن شكل الاتخاذ وإجراءاته وغايته، ومن هذه الدراسات:

١- المصدر المؤول: بحث في التركيب والدلالة، طه محمد الجندي، ١٩٩٩م.

يعد من أوفى الكتب التي عكفت على المصدر المؤول درساً وتحليلاً؛ إذ عمد في شق منه إلى إحصاء الحروف المصدريّة وتحليل تراكيبها، في حين عالج في شق ثانٍ كيفيّة التحويل إلى المصدر المؤول، ووقفَ على الغاياتِ الدلاليّة من هذا التحويل، رافقه وصف لتراكيب المصادر المؤولة، وأفاد في تحليله من نظرية النّظم والنظريّة التوليديّة التحويلة، مؤكداً على أنّ المصدر المؤول فرع على الصريح، وانتهى إلى نتيجة مفادها أنّ التحويل من الصريح إلى المؤول لا يكون إلا لدواعٍ دلاليّة؛ إذ لا مجال للتحويل الاعتباطيّ.

٢- نظرات في المصدر المؤول وإعراب الجمل، كريم الخالديّ، مجلة الدراسات اللغوية، المجلد ٤، العدد ٣، ٢٠٠٢م.

تتبع فيه الباحث مقولة المصدر المؤول من حيث شرعيّة الوجود مصطلحاً وفكرة، كما نفذ من خلال المقارنة بين المصدرين: الصريح والمؤول -دلالة وإعراباً واستعمالاً- إلى رد مقولة وجود المصدر المؤول والمصدر الصريح، واقترح مصطلحاً بديلاً للمصدر المؤول (ما يؤول بالمصدر)، عدا عن أنه اقترح

إلحاقه (المصدر المؤول) بمبحث إعراب الجمل، منتهياً إلى توصية بحذف المباحث الثلاثة (المصدر المؤول والجمل التي لها محل من الإعراب والجمل التي لا محل لها من الإعراب) من دروس النحو العربيّ.

وعلى الرغم مع تماسه مع فكرة البحث إلا أنه سار في خط موازٍ لهذا البحث؛ إذ أنكر –ابتداءً– وجود ما يسمى بالمصدر الصريح، على اعتبار أن المصدر المؤول مقابل له، ويرى أنّهما مصدر يقابله تركيب فحسب.

٣- المصدر المؤول وأحكامه النحويّة، فتحي إسماعيل، المجلة العلميّة لكليّة اللغة بأسيوط، العدد ٣٠، الجزء ٢، ٢٠١١م.

عمد فيه الباحث إلى عرض جزئيات المصدر المؤول بتفصيل وتمثيل دقيقين؛ إذ عرض للمفهوم وللحروف المصدريّة واختلاف النحاة فيها، وموجبات العدول من الصريح إلى المؤول، كما عرض لأوجه الشبه والاختلاف بين المصدرين الصريح والمؤول، وختمه بمبحث تناول المختلف في إعرابه من المصدر المؤول، وختم البحث بأربع عشرة نتيجة مختصة بالاعتبارات النحوية للمصدر المؤول.

٤- المصدر المؤول وأحكامه النحويّة: تأصيل وتيسير، أحمد العضيب، مجلة الجمعيّة العلميّة السعوديّة للغة العربيّة، العدد ١١، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.

عمد فيه الباحث إلى تتبع تفصيلي لأحكام المصدر المؤول، ومفهومه والمصطلحات النحويّة الدالة عليه، وآلية تأويله، كما بسط القول في وجوه الاختلاف والإتلاف بين المصدرين: الصريح والمؤول، مُقراً بفرعيّة المؤول على الصريح، وأورد التأويلات النحويّة المختلف فيها بين النحاة، وانتهى البحث إلى عشرين نتيجة، نظم فيها آراء النحاة وآراءه التي انتهى إليها.

٥- العدول عن المصدر الصريح إلى المصدر المؤول في القرآن الكريم: دراسة دلاليّة، إسلام عبدالسلام أحمد، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعيّة، جامعة الكويت، الحوليّة الخامسة والثلاثون، الرسالة ٤١٧، ٢٠١٤م.

تناول فيه الباحث مفهوم العدول، وطبّقه على المصدرين الصريح والمؤول في القرآن الكريم، وعمد إلى التعريف بالمصدرين لغة واصطلاحًا، وعلى أنه أشار إلى مسألة الأصالة والفرعيّة بينهما، إلا أنه اكتفى بنقل كلام الدكتور طه الجندي في المسألة، واكتفى بالإحالة على كلام الدكتور عباس حسن فيها، حين عدّد الفروق بين المصدرين الصريح والمؤول، متفقًا معهما في فرعية المؤول على الصريح.

تفترق هذه الدراسة عن الدراسات السابقة في أنّها قدمت وجهة نظر جديدة للعلاقة بين المصدرين الصريح المؤول؛ فالدراسات السابقة عالجت قضايا المصدرين الصريح المؤول دون النظر إلى حقيقة العلاقة بينهما، ومما تفترق به هذه الدراسة عن سابقاتها تضمُّنها معالجة لسانية وظيفية تفتح للباحثين منطلقًا جديداً لدرس قضايا المصدرين الصريح والمؤول خاصة، وغيرها من القضايا النحويّة عامة.

وبعدَ كل ذلك، ختم البحث بخلاصة كثّفت فكرته ونتائجه الرئيسة والفرعية؛ إذ تضمنت الإشارة إلى طبيعة الدراسات التي جعلت من المصدر المؤول موضعًا لها، وكيف أنها تعاملت مع قضية الأصالة والفرعيّة بين المصدرين الصريح والمؤول على أنها مسلّمة لغوية لا تقبل النقض، كما أشارت إلى إدراك النّحاة لأثر المتكلم وقصده –وظيفيًا– في وجود المصدر المؤول أو إيجاده بما هو متاح لغويًا يقتضيه السياق.

المبحث الأول: تحرير المصطلح:

يعد مصطلح المصدر المؤول أو المصدر المنسبك أو المصدر المسبوك أحد المصطلحات النحوية التي تعاورها الجدل من حيث المفهوم والتأويل، ومن

حيث اعتبار حقيقة التأويل فيه[١]، وعلى الرغم من التمثيل له في كتب النحاة المتقدمين[٢]، إلا أن الأولية في استخدام مصطلح المصدر المؤول تنسب لابن هشام، أبي محمد عبدالله جمال الدين بن يوسف (ت٧٦١هـ)؛ إذ نقل عنه السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ): **"قال ابن هشام في (تذكرته) المصدر الصريح يقع في موضع الفاعل...والمصدر المؤول كذلك في موضع الفاعل والمفعول"**[٣].

---

(١) انظر: كريم الخالدي، **"نظرات في المصدر المؤول وإعراب الجمل"، مجلة الدراسات اللغوية**، المجلد٤، العدد ٣، ٢٠٠٢م، ص٣٤.

(٢) ينظر: عمرو بن عثمان، سيبويه (ت١٨٠هـ/ ٧٩٦م)، **الكتاب**، ٤ج، تحقيق وشرح: عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٩٨٨م، ج٣، ص١٥٣. أبو العباس محمد بن يزيد المعروف بالمبرد، (ت٢١٠هـ/ ٨٩٩م)، **المقتضب**، تحقيق: محمد عبدالخالق عضيمة، ٤ج، وزارة الأوقاف المصرية، القاهرة، ط٣، ١٩٩٤م، ج٢، ص٢٩. خالد بن عبدالله الأزهري (ت٩٠٥هـ/ ١٤٩٩م)، **شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو**، ٣ج، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، ٢٠٠٠م، ج١، ص ١٤٨. أبو حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ/ ١٣٤٤م)، **ارتشاف الضرب من لسان العرب**، ٥ج، تحقيق: رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٩٨م، ج٣، ص٩٩١، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ/ ١٥٠٥م)، **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع**، ٧ج، تحقيق: عبدالعال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ط، ١٩٩٢م، ج١، ص٢٧٩.

(٣) انظر: جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ/ ١٥٠٥م)، **الأشباه والنظائر في النحو**، ٤ج، تحقيق: غازي مختار طليمات، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، دمشق، د.ط، ١٩٨٧م، ج٢، ص ٢٢١. وانظر: جورج متري عبدالمسيح وهاني جورد تابري، **الخليل: معجم مصطلحات النحو العربي**، مكتبة لبنان، بيروت، ط١، ١٩٩١م، ص٣٩٥، وأشار أحمد العضيب إلى أن العكبري (ت٦١٦هـ/ ١٢١٩م) قد استخدم مصطلح المصدر المؤول، وأحال على الصفحة ثلاثين من كتاب إعراب ما يشكل من ألفاظ الحديث، بتحقيق: عبدالحميد هنداوي، في طبعته الأولى سنة ألف وتسعمئة وتسع وتسعين، انظر: أحمد العضيب، **"المصدر المؤول وأحكامه النحوية: تأصيل وتيسير"، مجلة الجمعية العلمية السعودية للغة العربية**، العدد ١١، ١٤٣٤هـ، ص١١٤، وبعد مراجعة الكتاب بتحقيق عبدالإله النبهان، لم أجد ذكراً لمصطلح المصدر المؤول في الموضع الذي استشهد به والذي وجدته في قول العكبري "فإنْ والفعل في تقدير مصدر موضعه نصب بدلاً...".

ويعرّف على أنه مصدر تقديري يؤخذ من حرف مصدري مع فعل أو اسم، وقد يكون من غير حرف مصدري[٤]، كما يعرّف على أنه المصدر غير الصريح، أي الذي يقع له التأويل، ويتم ذلك بسبك الفعل بالحرف المصدري[٥].

يعرّف المصدر الصريح على أنه **"أصل الكلمة التي تصدر عنها صوادر الأفعال"**[٦]، وقد عرّفه سيبويه عمرو بن عثمان (ت١٨٠هـ/ ٧٩٦م) على أنه **"الصفات التي من لفظ أحداث الأفعال، وتكون لأحداثها أمثلة لما مضى ولما لم يمضِ"**[٧]، وقد دارت المصنفات النحويّة على هذا التعريف بزيادة أو بنقص لم يغيرا من حقيقته[٨]، ويعرّف بأنه وصف للمصدر العام لكل فعل من الأفعال؛ فهو بذلك يقابل المؤول[٩]، وهو المصدر الذي لا يشوبه شيء من حروف مصدرية

---

(٤) انظر: فتحي إسماعيل، **"المصدر المؤول وأحكامه النحوية"، المجلة العلمية لكلية اللغة العربية بأسيوط**، العدد ٣٠، ج٢، ٢٠١١م، ص٨٨١.

(٥) انظر: محمد اللبدي، **معجم المصطلحات النحوية والصرفية**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٥م، ص١٤.

(٦) محمد بن مكرم ابن منظور، (ت٣١١هـ/ ٧١١م)، **لسان العرب**، ١٥مجلداً، دار صادر، بيروت، (د.ط)، (د.ت)، مجلد ٤، مادة صدر، ص٤٤٩.

(٧) سيبويه، الكتاب، ص٣٣.

(٨) انظر: المبرد، المقتضب، ج٣، ص١٠٢، ج٤، ص٢٩٩. وشمس الدين أبو عبدالله، ابن الخباز (ت٦٣٨هـ/ ١٢٤١م)، **توجيه اللمع شرح كتاب اللمع**، دراسة وتحقيق: فايز ذياب، دار السلام، مصر، ط١، ٢٠٠٢م، ص١٦٥. عبدالله بن عبدالرحمن، ابن عقيل (ت٧٦٩هـ/ ١٣٦٧م)، **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك**، ٤ج، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار التراث، القاهرة، ط٢٠، ج١، ص٥٥٧. عبدالله بن يوسف بن هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ/ ١٣٦٠م)، **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك**، ٤ج، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، د.ط، د.ت، ج٢، ص٢٠٧.

(٩) محمد اللبدي، معجم المصطلحات النحوية والصرفية، ص١٢٥.

ومتعلقاتها، وهو الظاهر الذي لا يحتاج إلى تأويل لظهوره وبيانه، وهو فرع والمصدر الصريح أصله(١٠).

يلحظُ المتتبع للمفاهيم السابقة أنها تدور في ثنائية التأويل من عدمه، أي أن معرّفي المصدرين الصريح والمؤول انطلقوا من هذه الثنائيّة وجعلوا منها مسلّمة لمعالجة القضايا التفصيليّة المختصة بالمصدرين، في حين يطالعنا الدكتور كريم الخالديّ بوجهة نظر مغايرة لما اتفق عليه النحاة في هذه المسألة؛ إذ ينكر العلاقة بينهما ابتداء، ثم يستدرك على المصطلح نفسه، ثم يقترح إلحاق المصدر المؤول بباب الجمل.

يرى الخالديّ أنْ لا وجود للمصدر المؤول مقابل الصريح، بل ذهب إلى أبعد من ذلك؛ إذ نفى وجود المصدر الصريح، ويرى أنهما مصدر يقابله تركيب(١١)، أما مصطلح "المصدر المؤول" فهو مردود عنده؛ لأن معنى هذا المصطلح أنّ المصدر مؤول بشيء آخر، وحقيقةُ الأمر هي العكس تمامًا؛ ذلك أن التركيب المصدريّ هو الذي أوّل بالمصدر؛ لذا يقترح إلغاء هذه التسمية، واستخدام مصطلح "ما يؤول بالمصدر" مكانها(١٢).

المبحث الثاني: المصدر الصريح والمصدر المؤول: منطلقات الأصالة والفرعية:

يجدُ المتتبّع لأدلة النّحاة على فرعية المصدر المؤول على الصريح أنها تنحصر في منطلقين:

(١٠) أحمد العضيب، المصدر المؤول وأحكامه النحوية تأصيل وتيسير، ص١٠٥.

(١١) كريم الخالدي، نظرات في المصدر المؤول وإعراب الجمل، ص٣٥.

(١٢) المرجع السابق، ص٣٥.

أ. **تصور النّحاة لقضية الأصل والفرع**: وتمثلاتها في اللغة تعميمـاً، وفي أصل التقدير تخصيصـاً[١٣]؛ فانطلقوا من إجماع جمهورهم على أن المصدر أصلُ الكلام كلِّه[١٤]، وعمّموا هذه الفكرة ليصير المصدر المؤول -من حيث الوجود- فرعـاً على الصريح فعدُّ المصدر أصلاً للاشتقاق يتضمن أصالته في كل اعتباراته صرفـاً ونحواً، ويتضمن -بالضرورة- أن الفعلَ -وكل اعتباراته- فرعٌ عليه[١٥].

إن تحديدَ المفهوم الذي صدر عنه النّحاة للأصل والفرع في هذه القضية جِدُّ مهم؛ إذ يوفر مدخلاً علميـاً لمناقشة ما ذهبوا إليه، لا سيما أن مفهوم الأصل والفرع يحتمل عدة صور وتمثّلات[١٦]، عدا عن أن النّحاة قد انطلقوا من أصل

(١٣) انظر: حسن الملخ، **نظرية الأصل والفرع في النحو العربي**، دار الشروق، عمّان، ط١، ٢٠٠١م، ص١١٥، ويقصد به حذف الشيء مع إبقاء دليل عليه، ويلجأ النحاة إليه فيما يلزم من التحليل النحوي لطرد القاعدة على وتيرة واحدة.

(١٤) انظر: أبو البركات عبدالرحمن بن أبي الوفاء الأنباري (ت٥٧٧هـ/ ١١٨١م)، **الإنصاف في مسائل الخلاف**، ٢ج، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، لبنان، د.ط، ٢٠١٢م، ج١، ص١٩٠-١٩٦. أبو بكر محمد بن السري المعروف بابن السراج (ت٣١٦هـ/ ٩٢٩م)، **الأصول في النحو**، ٣ج، تحقيق: عبدالحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٩٩٦م، ج١، ص١٢٢، ١٣٧. عباس حسن، **النحو الوافي**، ٤ج، دار المعارف، مصر، ط٣، ١٩٦٦م، ج١، ص٣٧٧. فاضل السامرائي، **معاني النحو**، ٤ج، شركة العاتك لصناعة الكتب، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٣م، ج٣، ص ص١٢٦-١٣٢. إسلام محمد أحمد، **"العدول من المصدر الصريح إلى المصدر المؤول في القرآن الكريم: دراسة دلالية"**، **حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية**، الكويت، الحولية ٣٥، الرسالة ٤١٧، ٢٠١٤م، ص ص١٩-٢٠.

(١٥) انظر: أبو عمر عثمان بن الحاجب (ت٦٤٦هـ/ ١٢٤٩م)، **أمالي ابن الحاجب**، ٢ج، تحقيق: فخر صالح قدارة، دار عمار، عمّان، دار الجيل، بيروت، د.ط، د.ت ج٢، ص٨٥١.

(١٦) انظر: عبدالحميد النوري، **"مقولة الأصل والفرع في النحو العربي ومدى ملاءمتها لنظرية النموذج الأصل"**، **مجمع اللغة العربية على الشابكة العالمية**، العدد ٦، ٢٠١٤م، ص٥١٨، وص٥١٩، ويعد كتاب نظرية الأصل والفرع في النحو العربي أحد أهم المصنفات التي جمعت شتات النظرية، وبيّنت أهميتها وأثرها في مسيرة اللغة والنحو، وقد جمع فيه المصنف أهم معاني الأصل والفرع في نظرية النحو العربي وهي: أصل الكثرة، وأصل الاستحقاق، وأصل التجرد من العلامة، وأصل القاعدة، وأصل الباب، والأصل التاريخي، وأصل الوضع، وأصل التقدير، (انظر: حسن الملخ، نظرية الأصل والفرع في النحو العربي، ص ص٧١-١٣٠).

التقدير في تفسير هذه العلاقة، متفقين مع أنفسهم في أن أصل التقدير موجود أو يجب أن يوجد، مغفلين أنّ الأصل قد يكون محضَ افتراض، يُستجلب من أجلِ توضيح إجراء التأويل وتسهيله، ولا يعني بالضرورة تولّد فرع من أصل(١٧)؛ فهو الوجه المتصور نظريًا ولا وجود له في الواقع(١٨).

بناءً على ما سبق؛ لا يسلم للنّحاة الإطار النظري الذي انطلقوا منه في عدِّ أصل التقدير مسوِّغًا لاعتبار فرعية المؤول على الصريح؛ ذلك أن أصل التقدير يتضمن معنى المقدّر به، ولا يعني ضرورة وجوده حكمًا.

وعلى أن المصدر أصل الاشتقاق؛ فإنه حري بنا الالتفات مليًا إلى مفهوم الاشتقاق؛ إذ إنه مُقتصَر على اشتقاق المفردات فقط، ولم يشرْ أحد إلى أن المصدر أصل اشتقاق الجمل التامات أو أشباهها؛ ذلك أن فكرة الاشتقاق لا تبرح المستوى الصرفي، تُعين على اشتقاق الكلام، والكشف عن أصوله، والأحوال التي تعتريه زيادة أو حذفًا.

وعليه؛ سأقول: إن النحاة –محترزين– لاطراد منطلقاتهم توسعوا في مفهوم الاشتقاق، متجاوزين حدّه، على نحو يسهل معه إعادة النظر فيما ذهبوا إليه؛ فالمصدر المؤول بنية تركيبية تتكون من جملة تامة إن اسمية أو فعلية، واشتقاق الجملة من الاسم (المصدر) منطلق محلُّ نظر.

ب. **قابلية التأويل**: إذ عدّه النّحاة فرعًا على الصريح من حيث الإعراب؛ لأنه يُتَأول به، ويحل محله؛ فقابلية تأويله بالمصدر الصريح (المفرد/ ة) دليلُ فرعيته، فالتأويل –في نظرهم– ضرورة لا مناص منها، لا يُفهم المعنى ولا يُتلقى

(١٧) انظر: طه الجندي، **المصدر المؤول: بحث في التركيب والدلالة**، دار الثقافة العربية، د.م، د.ط، ١٩٩٩م، ص٦٢.

(١٨) انظر: حسن الملخ، نظرية الأصل والفرع في النحو العربي، ص ص٢٥–٢٦.

على وجهه المقصود إلا به، وعلى عدِّ أنه ضرورة فهو أصل لا يترك، لا وضعاً ولا تأويلاً.

وعلى أن النّحاة اتفقوا على قابليّة التأويل دليلاً على الأصالة والفرعية – نظرياً- إلا أنهم اختلفوا في توجيهاته؛ إذ اصطدموا بالواقع اللغوي؛ فقد اختلف النحاة في إعراب المصدر المؤول في بعض المواضع[١٩]، وتشكل نظرةُ النّحاة إلى المصدر المؤول -بعد التأويل- عاملَ الحسم في خلافهم؛ إذ اختلفوا فيما يتأول به المصدر المؤول.

تنبه السهيليُّ أبو زيد عبدالرحمن بن عبدالله (ت٥٨١هـ/ ١١٨٥م) إلى أثر ماهيّة التأويل في الاعتبار النحويّ؛ فقدّم مسوغات إظهار حرف الجر وحذفه قبل المصدر المؤول[٢٠]، وبنى تعليله على ماهيّة المؤول به، فعده اسماً محضاً يوجب له اعتبارات نحويّة تختلف عمّا إذا كان في محل اسم، واختلاف الاعتبار النحويّ بناء على ماهية التأويل يتيح لنا إعادة النظر في منطلق قابليّة التأويل.

يتلخص كلام السهيليّ في ماهيّة المتأول به -بعد التأويل-، اسمٌ محض أم في معنى الاسم، وقد حسم المسألة في نهاية المقتبسة؛ إذ عدّه تأويلاً بالمعنى وليس تأويلاً باللفظ، والتأويل بالمعنى يقتضي أنّ المتأول به ملحوظ غير ملفوظ، وإنما التلفّظ به من باب توضيح المسألة، وإرسالها على وجهها المفترض ليستقيم التوجيه النحويّ في سياقه.

بناءً على ما سبق؛ يمكن القول إن التأويل بالمعنى (قابلية التأويل) عمليّة ذهنيّة ابتداءً وانتهاءً، أي أنها مفترضة بفعل تلقي السياق النصي، وفق نماذجه اللغوية

(١٩) أحصاها الباحثان فتحي إسماعيل، المصدر المؤول وأحكامه النحوية، ص ص٩٤٢-٩٦١، وأحمد العضيب، المصدر المؤول وأحكامه النحوية تأصيل وتيسير، ص ص١٣١-١٥٥، وليس من وكد البحث الإشارة إلى هذه المواضع، وإنما الاحتجاج بفكرة الاختلاف على ما سينتهي إليه البحث.

(٢٠) انظر: أبو زيد عبدالرحمن بن عبدالله السهيلي (ت٥٨١هـ/ ١١٨٥م)، **الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام**، ٧ج، تحقيق وشرح وتعليق: عبدالرحمن الوكيل، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط١، ١٩٩٠م، ج٣، ص٣٢٣.

المتعارف عليها[٢١]، أي أن هذه القابليّة لا تصلح أن تكون منطلقاً لإثبات أصالة المصدر الصريح وفرعيّة المؤول؛ فقابليّة التأويل ما هي إلا آليّة ذهنيّة لا تعدو أن تكون توضيحيّة تزيل الغموض -في حال وجوده- عن التركيب المشتمل على المصدر المؤول.

المبحث الثالث: رد مقولات الأصالة والفرعيّة:

المطلب الأول: رد الأصالة والفرعيّة حملاً على شبه الجملة والإعراب المحليّ:

توافرت شبه الجملة على سمات تركيبية تشابه فيها الجملة إلى حد قد تغني فيه عن الجملة، بل قد تقوم مقامها[٢٢]، ويمكن رصد ملامح التشابه بينهما من حيث التركيب والعمل والدلالة[٢٣]، أما من حيث التركيب فهي لا بد لها من أن تتكوّن من جار ومجرور، وقد يكون الجارُّ ظرفاً، أو حرف جر، والجملة لا بد لها من مكونات تقوم بها، وهذا التشابه البنيويّ بينهما أحد العناصر التي كفلت لشبه الجملة محلًّا بارزاً في التحليل النحويّ، وأما التشابه في العمل فقد أقرّه ابن هشام؛ إذ ذهب إلى أنّ شبه الجملة ترفع فاعلاً بذاتها[٢٤]، أما من حيث الدلالة فإنها تدل على ما يدل عليه الفعل؛ إذ يدل على زمان حدوثه أو مكانه أو علته أو آلته[٢٥].

(٢١) انظر: محمد محاسنة، **وظيفية التفكير النحوي عند النحاة العرب**، جامعة اليرموك، الأردن، ٢٠١٥م، ص١٢.

(٢٢) انظر: فخر الدين قباوة، **إعراب الجمل وأشباه الجمل**، دار القلم العربي، حلب، ط٥، ١٩٨٩م، ص٢٧١. وانظر: عبده الراجحي (ت١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م)، **التطبيق النحوي**، دار النهضة العربية، بيروت، (د.ط)، ١٩٨٨م، ص٣٦١.

(٢٣) انظر: سعيد الكردي، **"شبه الجملة في النحو العربي: مفهومها وأقسامها وأهميتها في السياق"**، **مجلة التراث العربي**، ع١٢٨، شتاء ٢٠١٢م، ص٥٩.

(٢٤) انظر: عبدالله بن يوسف بن هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ/ ١٣٦٠م)، **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، ٢ج، تحقيق: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٦٤م، ج٢، ص٤٩٤.

(٢٥) انظر: الكردي، شبه الجملة في النحو العربي، ص٥٩.

تعدّ فكرة التعلّق واحدة من أهم الأسس الاعتباريّة التي تُؤوَّل بمقتضاها شبه الجملة، والتعلّق ارتباط معنويّ لشبه الجملة بالحدث، وهو ارتباط وثيق بين الجارِّ والمجرور وعاملِه المتعلَّق به، فهي علاقة تلازميّة بينهما(٢٦)، أي أن شبه الجملة مرتبطة بالتعلّق ارتباطاً وجودياً بحتاً؛ فالتعلّق هو المسوغ اللغويّ المنطقيّ لاعتبار صحة التأويل لشبه الجملة، ويعدّ وسيلة مثاليّة لكشف العلاقات بين الكلمات إسناديّاً أو تكميليّاً(٢٧).

وعلى الرغم من اختلاف النّحاة في طبيعة المتعلّق وفي تقديره، إلا أنه يعدُّ حقيقة ماثلة في شبه الجملة إبّانَ تأويلها وتقديرها، جرياً على سنن العربية في الكشف عن المواقع الإعرابيّة، من المُعرَب إلى الممتنع محلاً؛ فالتعلّق ضرورة متصورة نستطيعُ باستخدامها أنْ نحدد الموقع الإعرابيّ لشبه الجملة، والتعلّق يعني إمكانية تأويل شبه الجملة بمفردٍ تحلّ محله إعراباً ودلالة؛ فشبه الجملة تؤول على تقدير كائن أو استقر(٢٨).

وقد أشار ابن يعيش، أبو البقاء يعيش بن علي، (ت٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م) إلى أثر التعلق في توجيه الجملة العربية؛ إذ يرى أن الجارَّ والمجرور في التركيب يؤديان دوراً مساعداً، أي أنهما يكملان الأركان الكبرى للعمليّة الإسناديّة في التركيب،

(٢٦) انظر: سوزان محمد فهمي، **"شبه الجملة: دراسة تركيبية تحليلية مع التطبيق على القرآن الكريم"، مجلة كلية الآداب**، جامعة القاهرة، م٦١، ع١، ٢٠٠١م، ص٤٥. فخر الدين قباوة، إعراب الجمل وأشباه الجمل، ص٢٧٣، وأضاف عبده الراجحي إلى المفاهيم السابقة أنه يدل على الحيز الذي يقع فيه الفعل عدا عن أنه يدل على ارتباط شبه الجملة بالحدث. (عبده الراجحي، التطبيق النحوي، ص٣٦٢).

(٢٧) انظر، ابن عقيل، شرح ابن عقيل، ج١، ص٢٠٩-٢١٣. فائزة عباس حميدي، **"دلالة التعلق في اللغة العربية"، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية**، العراق، مجلد ١٥، عدد ٥، ٢٠٠٨م، ص١٥٩.

(٢٨) انظر: ابن عقيل، شرح ابن عقيل، ج١، ص٢١١.

ويظل هذا الدور محكوماً بحاجة التركيب إلى تعلق لفظيّ أو معنويّ يتمّمُ التركيبَ معنى بعد أن تمّ مبنى[٢٩].

وعليه؛ سأقول: إن التعلّق إجراءٌ ذهنيّ يلجأ له مُنشئ الخطاب أو متلقيه لملء الفراغات المُحتملَة التي قد تعيق تلقي المعنى المقصود على النحو المقصود، ومن خلاله يُزال الغموض المحتمل في التركيب؛ فشبه الجملة لا بد لها من التعلّق حتى تؤدي معنى كاملاً في تركيبها الكليّ، وإن كان المعنى الذي تؤديه معنى فرعيّاً متمماً للمعنى الذي يؤديه الفعل -في حال وجوده-[٣٠]؛ فإنّه من الممكن القول إنّها "عامل مُكمِّل" أو "مكمل وظيفي"[٣١]، أي أنَّ وجودها في التركيب وجودٌ اقتضائيٌّ[٣٢] حسب قوة الفعل[٣٣]، ولعل هذا ما يفسر تمسك النّحاة بتعلق شبه الجملة بمحذوف يُقدَّرُ حسب ما يقتضيه السياق[٣٤].

ومما تجدر الإشارة إليه أنّ فكرة التعلّق ليست وقفاً على شبه الجملة؛ فكل العلاقات النحويّة تقوم على فكرة التعلق -أو يجب أن تقوم-؛ فالتعلّق -على النّحو الموضَّح آنفاً- متلازمة ذهنية موجودة بالفعل أو بالقوة بين أجزاء الكلام،

---

(٢٩) أبو البقاء يعيش بن علي بن يعيش (ت٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م)، **شرح المفصل للزمخشري**، ٤ مجلدات، تحقيق: أحمد السيد سيد أحمد، المكتبة التوقيفية، مصر، (د.ط)، (د.ت)، المجلد ٣، ج٨، ص٤٨١.

(٣٠) انظر: فايزة حميدي، دلالة التعلق في اللغة العربية، ص١٥٥.

(٣١) انظر: محمد محاسنة، وظيفية التفكير النحوي عند النحاة العرب، ص١٤٠.

(٣٢) انظر: جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ/ ١٥٠٥م)، **الأشباه والنظائر في النحو**، ٩ج، تحقيق: عبدالعال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٥م، ج٢، ص٢٥١.

(٣٣) انظر: شرح المفصل للزمخشري، المجلد ٣، ج٨، ص٤٨٠، محمد خير الحلواني، **في أصول النحو العربي**، جامعة تشرين، د.ت، د.ط، ص١٥٠.

(٣٤) انظر: أبو الحسن علي بن مؤمن المعروف بابن عصفور الإشبيلي (ت٦٦٩هـ/ ١٢٧١م)، **المقرب**، ٢ج، تحقيق: أحمد عبدالستار الجواري وعبدالله الجبوري، د.ن، ط١، ١٩٧٢م، ج١، ص١٩٦.

كي ينسجم في تأليف معين لأداء معنى معين؛ فالتركيب العربيّ يستند إلى أسس ومسلمات نحويّة تعبر عن دقة في بنائه، مفضية إلى دقة في معناه(٣٥).

يتسع مصطلح التعلّق ليشمل الدّلالة على الإسناد والنسبة والتّقييد؛ فالتعلّق قد يكون إسناديًّا أو تقييديًّا، فإنْ كان بين أركان الجملتين الاسميّة والفعليّة فهو تعلّق إسناديّ، أيْ أنه يُشكِّلُ معنى في سياقه، وإنْ كان بين الجارِّ ومجروره فهو تعلّق تقييديّ(٣٦)، يحتاج إلى غيره ليتمّ معناه في المستوى الدلاليّ.

فمثل قولنا [الصدقُ منجاةٌ]، و[أفلحَ الصادقُ]؛ فإن التعلّق بين ركني التركيبين: (الصدق، منجاة)، و(أفلحَ، المسافر) على الترتيب تعلّق إسناديّ؛ إذ إنَّ المعنى في التركيبين قد تم لكل منهما في سياقه، فهما مكتفيان تركيبًا ودلالة -من حيث الركنية-، وأما مثلُ قولينا: [الإيمان في القلب]، و[العقلُ قبلَ الشجاعةِ]؛ فإن ما تحته خط (في القلب، قبل الشجاعة) على الترتيب يمثّلان التعلّق التقييديّ؛ ذلك أن العلاقة بين حرف الجرّ ومجروره، أو الظرف والمضاف إليه علاقة غير مكتفية بذاتها؛ فلا تستقل بمعنى تام بها تركيبًا ودلالة؛ لذلك كان لا بد لهما من متعلق يتمم لهما صائبيّة وجودهما في المستويين النحويّ والدلاليّ.

تعدُّ قضايا شبه الجملة -على النّحو الذي سلف- من أوضح القضايا النحويّة التي تعين على إعادة النظر في مسألة الأصالة والفرعيّة في المصدر المؤول؛ فعلى الرغم من توافر شبه الجملة على سمات تركيبيّة ودلاليّة تشترك فيها مع المصدر

(٣٥) انظر: محمد الإنطاكي، **المحيط في أصوات اللغة العربية ونحوها وصرفها**، ٣ج، دار الشرق العربي، بيروت، ط٣، ١٩٧١م، ج٣، ص ص٣٧٥-٣٧٧. عبدالوهاب حسن محمد، **"دلالة التعليق النحوي"، مجلة كلية التربية**، جامعة بابل، عدد٢، مجلد١، ٢٠٠٨م، ص٧٤، وص١٠٢.

(٣٦) انظر: السيوطي، الأشباه والنظائر، ج٤، ص٢٦٤.

المؤول بوصفهما تركيبًا مرة، وعدّ قابلية تأوليهما بمفرد مرة أخرى، إلا أنَّ أحداً من النحاة لم يقلْ إنّها فرع على المقدَّرة به أو على المتعلقة به.

يمكن تلخيص السمات المشتركة بين شبه الجملة والمصدر المؤول في أنهما مركبان (يتكونان من أكثر من مفردة)، كما أنّهما يتمتعان بقابلّية التأويل، ومن شأن هذا الاشتراك أن يكون وجهة علمية نلتمس بها الحجة لرد فكرة فرعية المصدر المؤول على الصريح؛ ففي مثل قوله تعالى: ﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ (البقرة:١٨٤)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ﴾ (العصر:٢)، نجد أنّ المصدر المؤول (أنْ تصوموا)، يتكون من حرف مصدري (أنْ) والفعل (تصوموا)، في حين أن شبه الجملة (لفي خسر) تتكون من حرف الجر (في) والاسم المجرور (خسر)، وهذه السمة المشتركة الأولى بينهما، أما السمة المشتركة الثانية بينهما فهي قابلية التأويل بمفرد؛ فالمفردُ المتأولُ في الآية الأولى هو [صومُكم]، والمفردُ المتأولُ في الآية الثانية هو [خاسر].

فشبه الجملة –بقابليتها للتأويل بمفرد– لا تعدُّ في عرف النّحاة فرعًا على ما تؤول به؛ ففي باب الخبر، يعدها النّحاة أحد أشكال الخبر الممكنة والمستخدمة، وهذا العرف يطّرد في كل المحالّ النّحوية التي يسوغ أن تكون فيها شبه الجملة تركيبًا ودلالة، وعلى الرغم من أن المصدر المؤول يتمتع بقابليةٍ للتأويل أكثر دقة من شبه الجملة، ويشغل محالَّ نحويةً أكثرَ مما تشغل شبه الجملة، إلا أنّه يعدُّ فرعًا على المصدر الصريح –المفترض تأويلاً–.

ويضاف إلى ذلك أيضًا أن قابلية التأويل النحويّ مرتبطة مباشرة بالمحلّ الذي تشغله، أو يجب أن تشغله، ولا ترتبط باللفظ المقدر؛ فاللفظ المقدر ما هو إلا تقريب وتوضيح للمحلّ، أو ما يجب أن يكون عليه المحلّ، أي أنه لفظ غير

مقصود لذاته، وإذا كانَ ذلكَ كذلك، فإن الإصرار على اعتبار التأويل قرينة دالّة على علاقة الفرع بأصله -وجوداً وعدماً- قول فيه نظر كبير على النّحو الذي أسلفنا، إلا إذا تبنينا مفهوم الأصل الافتراضيّ (أصل المُتصَوَّر)، وهذا المفهوم لا يعني أن المفترض فرعاً يعود للمفترض أصلاً.

يجد الناظر في احتمالات تأويل شبه الجملة غير احتمال لتأويلها، أي أنها تؤول بأشكال عديدة، عدا عن أنها قد تؤول بمشتق مباشرة -للإخبار-[٣٧]، أما تأويل المصدر المؤول فهو محدد بصيغة المصدر الصريح، ولعل هذه الحتمية هي التي قوّت ما ذهب إليه النّحاة في أصالة الصريح وفرعية المؤول، لكنها نفسها يمكن أن نحتج بها للرد على ما ذهبوا إليه.

إن تعدد الاحتمالات التقديريّة والمحلّ واحد يضعنا أمام **صيغة ذات طبيعة افتقاريّة وجوديّاً**، أي أنها صيغة محتاجة لغيرها لتكون، وهذه الافتقاريّة العالية هي ذاتها التي فتحت باب تعدد الاحتمالات التقديريّة، ويعكس تعدد الاحتمالات التقديريّة ترددها بين المعاني قبولاً أو رداً، في حين أنّ تأويل المصدر المؤول تأويلٌ حتميّ لا تعدّد فيه ولا احتمالات له، وهذه الحتميّة تنفي عنه أن يكون مفتقراً تركيبيّاً لغيره حتى يكون؛ فالمصدر المؤول هو جملة تامة إسناداً، أي أنه قائم بذاته تركيباً ودلالة، لكنّ علاقته في التراكيب التي يكون جزءاً منها علاقة تكميليّة للتركيب، وعلى هذا النّحو يزداد المصدر المؤول استقلاليّة عن المصدر الصريح؛ إذ إنّ كليهما يكمّل التركيب، لكنّ الصريح يكون في محله مباشرة، أما المؤولُ فيشغلُ المحلّ بعد التأويل.

(٣٧) ففي مثل قولنا: محمد في البيت، يحتمل تأويل شبه الجملة (في البيت) بالاحتمالات: مستقرٌ، كائنٌ، كائناً، وفي قولنا: محمدٌ على حق، يمكن أن نتأوّل شبه الجملة بقولنا: محمد محقٌّ.

المطلب الثاني: ردُّ الأصالة والفرعيّة حملاً على أصل العمل:

تنبّه النّحاة في مسيرتهم لتأصيل الظاهرة النّحويّة إلى ضرورة تحديد الأصل في العمل، منطلقين من حتميّة انتظام المفردات في مواقعها النّحويّة وفق نماذج نحويّة منسجمة مع سنن العربية إنشاءً وتفسيراً، واستقر إجماع النّحاة على أنّ الفعل هو أصل العمل، وكل عامل عداه هو فرع عليه(٣٨)، وأشار الجرجانيّ، عبدالقاهر بن عبدالرحمن بن محمد (ت٤٧١هـ/ ١٠٧٨م) صراحة إلى أنَّ المصدر فرع على الفعل في العمل(٣٩).

وفي الوقت نفسه، لم يغبْ عن اللغويّين ضرورة التأصيل للظواهر الصرفيّة؛ فَشغلتْ قضية أصل الاشتقاق حيزاً كبيراً في تفكيرهم وتجلّتْ في مصنفاتهم، وكان المصدر والفعل مدار الخلاف في أصل الاشتقاق، وأقرّ جمهور اللغويّين أنّ المصدر هو أصل الاشتقاق في اللغة، وكلُّ الكلام فرع عليه، وعدُّ الفعل –وجوداً– فرعاً على المصدر أحدُ الأصول التي اجتهدوا في إثباتها –كما سلف–؛ فالمصدر في عرفهم أصل الكلام، ومنه يتفرع.

يجد المدقق في مقولات النّحاة عن أصل الاشتقاق وأصل العمل تماسّاً دقيقاً بينهما؛ إذ يتقاطعان عند المصدر والفعل؛ فالمصدرُ أصلٌ من جهةٍ فرعٌ من أخرى؛ فهو أصلٌ في الاشتقاق، فرعٌ في العمل، والفعلُ عكسه؛ إذْ إنّه أصلٌ في العمل فرعٌ في

(٣٨) انظر: السيوطي، همع الهوامع، ج١، ص١٠٩، الأشباه والنظائر، ج١، ص٤٣٦. أبو القاسم عبدالرحمن الزجاجي (ت٣٤١هـ/ ٩٥٢م)، **الجمل في النحو**، تحقيق: علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٤م، ص١٠. أبو الحسن علي بن مؤمن المعروف بابن عصفور الإشبيلي (ت٦٦٩هـ/ ١٢٧١م)، **شرح جمل الزجاجي**، ٣ج، تحقيق: فواز الشعّار، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، ١٩٩٨م، ج٢، ص٣.

(٣٩) عبدالقاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ/ ١٠٧٨م)، **العوامل المائة النحوية في علم أصول العربية**، تحقيق وتقديم وتعليق: البدراوي زهران، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٨٨م، ص٢٨٣، وص٢٨٨.

الاشتقاق، وقد اختزل النّحاة هذه المعادلة في حدّها الأول فقط (المصدر أصل الاشتقاق)، وبنوا عليها تصورهم النّظريّ لاعتبار أصالة المصدر الصريح في مقابل فرعية المصدر المؤول.

يبدو جليًا أنَّ النّحاة قد جمعوا بين مستويين لغويّين في موضع لا يصحُّ فيه الجمع، فعدُّ المصدر أصلاً يصحُّ في المستوى الصرفيّ من اللغة، وعدُّه فرعًا يصحُّ في المستوى النّحويّ منها، وكذلك الفعلُ؛ فهو فرع في المستوى الصرفيّ، أصل في المستوى النّحويّ، والذي عليه المعوّل في فكِّ هذا الاشتباك هو **المستوى اللغويّ الذي يقع فيه المصدر المؤول**.

تناولَ النّحاة المصدر المؤول في المستوى النحويّ؛ إذ حفلت مظانُ كتب النّحو متقدمِه ومتأخره ومحدثه بقضاياه وتفاصيله؛ فارتبط ارتباطًا مباشراً بتفاصيل الإعراب المحليّ(٤٠)، وإذا كان الأمر كذلك؛ فإنه ينبغي لنا إعادة النظر مسألة الإصرار على جعله فرعًا على الصريح؛ فمقام المصدر المؤول النّحو، أي أننا في حال تأويله نتحدث عن تأويل نحويّ، تأويل يكون فيه الفعل أصلاً والمصدر الصريح فرعًا عليه.

المبحث الرابع: ماهيّة المصدر المؤول وحقيقته:

تعد الفروق بين المصدرين: الصريح والمؤول من أهم السمات المائزة لهما؛ إذ تنطوي على قيم معياريّة تفريقيّة بينهما، أي أنها -بمستوى من المستويات تُعَدُّ

(٤٠) ينظر للتمثيل: سيبويه، الكتاب، ج٣، ص١٥٣، ابن هشام، المغني، ج١، ص ٢٤، وص٢٥. أبو حيان الأندلسي، ارتشاف الضرب، ج٤، ص١٦٣٧. طه الجندي، المصدر المؤول: بحث في التركيب والدلالة، ص ٧ وما بعدها. (الكتاب كاملاً يتناول المصدر المؤول تناولاً نحويًا صِرفًا).

محاولة جادة –وإن كانت غير مقصودة– لتحديد ماهيّة المصدر المؤول وحقيقته؛ فالفروق تبيّن الحدود ونقاط الاختلاف التي يستقل بها نوع عن الآخر، أو يجب أن يستقل، وقد اجتهد النّحاة في رصد هذه الفروق وتوثيقها، وفي تصنيفها من حيث الإعراب والدلالة وآلية التأويل والمحالّ التي يستقلُّ بها كل نوع(٤١).

تعد قصديّة الخطاب واحدة من أهم الملامح عبر اللغوية التي تصلح لتقديم وجهة نظر مختلفة في الكشف عن ماهيّة المصدر المؤول وحقيقته؛ ذلك أن الاستخدامات اللغويّة –تعدداً وتنوعاً– محكومة، أو يجب أن تكون محكومة، بقصديّة تحكمُ المتكلم فالمخاطب(٤٢)؛ فاستخدام صيغة ما في سياق ما لا يكون إلا وفق سيرورة خطابيّة تعبر عن المخاطِب وغايته من المُرسلَة اللغوية –قصد ذلك أم لم يقصد–، غايتها تحقيق العمليّة التواصليّة(٤٣)؛ فبنية اللغة ليست اعتباطيّة، بل تخضع لنظام وظيفيّ تواصليّ إنتاجاً وتلقياً(٤٤).

لم يغب هذا الملمح عن أذهان النّحاة المتقدمين؛ إذ تضمّنت مصنفاتهم إشارات إلى هذه الفكرة، وإن لم تلقَ التعميق الكافي لتكون منطلقاً وظيفياً صِرفاً للتفريق بين المصدرين الصريح والمؤول؛ فقد أشاروا إلى أثر المتكلّم في استخدام صيغة المصدر المؤول مقابل المصدر الصريح؛ فقد تنبّه ابن هشام مبكراً إلى فرق سياقيٍّ بين المصدرين الصريح والمؤول؛ ففي معرض تفسيره سر إطلاق الزمن في

(٤١) انظر: عباس حسن، النحو الوافي، ج١، ص ص٣٧٧–٣٨٠. فاضل السامرائي، **معاني النحو**، ٤ج، دار الفكر، عمّان، ط١، ٢٠٠٠م، ج٣، ص ص١٤٦–١٥٣، وليس هنا مجال سرد تلك الفروق.

(٤٢) انظر: عبدالهادي الشهري، **إستراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية**، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، ط١، ٢٠٠٤م، ص ص٤٥–٤٧.

(٤٣) انظر: ماري آن بافو وجورج إليا سرفاتي، **النظريات اللسانية الكبرى**، ترجمة: محمد الراضي، المنظمة العربية للترجمة، لبنان، ط١، ٢٠١٢م، ص٢٢٢.

(٤٤) انظر: أحمد المتوكل، **الوظيفية بين الكلية والنمطية**، دار الأمان، الرباط، ط١، ٢٠٠٣م، ص٦٠.

الصريح، وتخصيصه في المؤول، يقرّ أن الغاية من التعبير هي سر استخدام الصريح دون المؤول أو العكس، فإذا قصدنا التعبير عن حدوث الحدث فإن الصريح مظنة الاستخدام، وإن قصدنا التعبير عن حدوث ما يدل عليه الحدث فإن المؤول هو مظنة الاستخدام(٤٥).

يجد المدقق في كلام ابن هشام أنه جعل من المتكلم أساسًا في استخدام أي من الصيغتين، حسب ما يقتضيه المعنى المراد التعبير عنه؛ فالمسألة عند ابن هشام ليست مسألة إمكانيّة الاختيار، وإنما يعبر عن حتميّة الاختيار، على أنها حتميّة مشروطة بالمعنى في ذهن المتكلم، وبما أراد أن يوصله للمتلقي.

لقد تجاوز ابن هشام مقولات النّحاة التي يُفهم منها أن العدول من صيغة إلى أخرى عدول اختياريّ، تقتضيه الدلالات أو الأحياز التركيبيّة فحسب؛ إذ جعل من العمليّة التخاطبيّة والهدف منها الأساس الحقيقي الذي يكون بموجبه الاختيار أو نفي الاختيار، أيْ أنّها أشبه ما تكون بعملية احتمال مشروط، إنْ لم تكنْ كذلك.

تابع السهيليّ، أبو زيد بن عبدالرحمن بن عبدالله (ت٥٨١هـ/ ١١٨٥م) ابن هشام في منطلقه؛ إذ جعل من إرادة المتكلم سببًا في تفضيل استخدام المؤول على الصريح، منطلقًا من ضرورة أمن اللبس في بناء المعنى وتلقيه، فأنْ تقصد للتعبير عن الحدث مجرداً من أي معنى آخر يختلف بالكلية عن التعبير عن الحدث مقترنًا بمعاني أخر قد يقصدها المتكلم(٤٦)؛ فالمصدر الصريح باقتصاره على الدلالة على الحدث بمطلقه مجرداً من أي معنى آخر، قد يحدث لبسًا، للحد

(٤٥) انظر: ابن هشام الأنصاري، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ج٣، ص ص٢٠١-٢٠٢.

(٤٦) انظر: عبدالرحمن بن عبدالله السهيلي (ت٥٨١هـ/ ١١٨٥م)، **نتائج الفكر في النحو**، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، ١٩٩٢م، ص٩٧.

الـذي لا يفهـم منه القصـد الحقيقـيّ مـن المرسـلة، فكـان لا بـد مـن ضبـط المعنـى المقصود بضبط البناء الدالّ عليه.

وبناءً على ذلك كله؛ يمكـن القـول إن وجـود المصـدر المـؤول في اللغـة وجـود أصيل كوجود المصـدر الصـريح، فهمـا خيـاران لغويّـان متاحـان للمسـتخدم، يعـبر بأيّهمـا شـاء، وفـق السـياق اللغـويّ، محكومـاً بوظيفيّـة اللغـة برمّتهـا، وبسـياقاتها التداوليّة؛ فالمصدر المؤول يشكل خياراً مثالياً للمستخدم حين يقصد التعبير عـن الحـدث مطلقـاً دون أي ملابسـة، أو حـين يقصـد معـاني مرافقـة للمعنـى الـرئيس المستكنّ في استخدام المصدر المؤول.

الخلاصة:

على الرغم من تناول عديد من الدراسـات مسألة المصـدر الصـريح والمصـدر المؤول على نحو تفصيليّ، إلا أنها اتفقت في قضية أصالة الصريح وفرعية المؤول، وتعاملتْ معها على أنها مُسلّمة لا يمكن نقضها، بل لا يمكن محاورتهـا، ولـم تتعـدَ الدراسات المحدثة –على تنوعها وكثرتها– إعـادة كـلام النّحـاة المتقـدمين في هـذه النقطـة (الأصـالة والفرعيـة)، وسـرعانَ مـا غادرتهـا لتسـتكملَ مفـردات البحـث في المصدر الصريح والمصدر المؤول والعلاقة بينهما.

تبنّى هذا البحث وجهة نظر مغايرة لما سبقه مـن دراسـات وأبحـاث؛ إذْ عكـف على ردّ مقولـة الأصـالة والفرعيّـة بـين المصـدرين: الصـريح والمـؤول، وفي سـبيل ردّها عمدَ إلى مناقشة هذه المقولة بإجراءِ مقاربات تركيبيّـة دلاليّـة وظيفيّـة، انتهـتْ إلـى تقـديم أدلـة علميّـة تتجـاوزُ مقولـة ردّ فرعيّـة المصـدر المـؤول علـى الصـريح لتؤسس لإعادة دراسة المصدرين وفقَ نظر لسانيّ وظيفيّ يثبـتُ لكـلٍّ منهمـا منزلتـه التي يجبُ أنْ يستقلَّ بها في الفضاءِ اللغويّ الذهنيّ والناجزِ.

النتائجُ والتوصيات:

انتهت الدراسة إلى نتيجة رئيسة، ونتائج فرعيّة، أما النتيجة الرئيسة فهي:

– إن المصدر المؤول ليس فرعـًا على المصدر الصريح، بل إنّه شكل تركيبيّ أتاحه النظام اللغويّ لمستخدمه، وفق أطر استعماليّة تقتضيه بالقوة وبالفعل.

وأما النتائج الفرعيّة فهي:

١- يعد المصدران: الصريح والمؤول خيارين متاحين للمستخدم حسب السياق والقصد، وفق عملية الاختيار أو نفي الاختيار، فهما يعبران عن عملية احتمال مشروط.

٢- إنّ تحديد المستوى اللغويّ الذي يكون فيه المصدر المؤول هو عامل الحسم في اعتبار الأصالة والفرعيّة فيه؛ إذْ يمكن عدُّ المصدر الصريح فرعـًا على المؤول في المستوى النحويّ، في حين أنَّ المؤول فرعٌ على الصريح في المستوى الصرفيّ.

٣- إن الغاية من التعبير هي سر استخدام الصريح دون المؤول أو العكس.

٤- يتفق البحث مع المصطلح الذي اقترحه الدكتور كريم الخالدي (ما يؤولُ بالمصدر)، ويقترح تعميمه على طلبة الدراسات العليا والبحثين.

ولنْ يأخذ البحث مكانه في الدراسات النّحويّة إلا إذا أردف بدراسات تقف على القيمةِ الوظيفيّة للمصدر المؤول (ما يؤول بالمصدر)، تعملُ على الكشف عن أثر المكوّن الوظيفيّ في البناء اللغويّ الخاص بالمصدرِ الصريح أو ما يؤولُ به.

التَّكثيف النَّعتيّ في شعر المُرقِّش الأكبر

دراسة نحويّة دلاليّة

رائد طافش(*)

الملخّص

يسعى البحث إلى استبصار أهمية النعت في شعر المرقش الأكبر بصفته مرتكزاً أساسيـاً في إنتاج البنى النحوية التي تكشف اتجاهات النص وتبتكر جمالياته؛ لذا فقد تقصّى البحث حضور النعت في شعر المرقش الأكبر. وتتبع مظاهره، وتدبر وظائفه المختلفة.

استنتج البحث أن للنعت في شعر المرقش مكانة رفيعة؛ فقد تكثّف حضوره في شعره، وكان لهذا الحضور الكثيف أثر فنيّ وأسلوبيّ ودلاليّ؛ فقد أسهم النعت في البناء الفني للقصيدة، وساعد في رسم الصورة الشعرية بما قدّمه من دلالات ضافية رسمت صورة المكان والإنسان؛ ولا يخفى ما كان له من أثر جمالي تجلى في بلاغة الأسلوب وبراعة التصوير.

وقد حضر النعت في شعر المرقش الأكبر بأشكاله المعروفة في النحو العربي، ولكن بوظائف تعبيرية ودلالية وأسلوبية، فزاد حضوره على (١٦٠) مرة فيما وصل إلينا من شعر المرقش الذي لا يزيد على (١٩١) بيتـاً من الشعر، في (٨٠) بيتـاً من مجموع شعره. وقد تمثّل ذلك في استعمال النعت المفرد (٩٦) مرة، والنعت الجملة الفعلية (٣٨) مرة، والنعت الجملة الاسمية (٩) مرات، والنعت شبه الجملة (١٩) مرة.

الكلمات المفتاحية: النعت، الدلالة، المرقش الأكبر.

(*) قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الأميرة عالية الجامعية، جامعة البلقاء التطبيقية، المملكة الأردنية الهاشمية. تاريخ تسلّم البحث ١٢/ ٢/ ٢٠٢٢م وتاريخ قبوله للنشر ١٠/ ٥/ ٢٠٢٢م.

Intensive Use of Adjectives in the Poetry of al-Muraqqish al-Akbar: A Grammatical-Semantic Study

By Raid Tafish

Abstract

This paper explores the importance of adjectives in the poetry of al-Muraqqish al-Akbar as a basic element in constructing grammatical structures and producing aesthetic effects. It traces the presence of adjectives in the poet's poems as well as its various functions.

The paper has come to the conclusion that adjectives have a crucial function in al-Muraqqish's poetry artistically, stylistically, and semantically. Adjectives contribute to the artistic structure of poems and to poetic imagery by what they add to the significance of both man and the environment. The aesthetic impact of the adjectives is, thus, a major contributor to poeticality and its effective imagery.

Adjectives can be found in their various constructions known in Arabic, contributing to the expressive, semantic, and stylistic functions in the poems of this poet. There are 160 places in which adjectives are used in the poems that have survived, which add up to no more than 191 lines. Pure adjectives occur 96 times, phrasal adjectives 38 times, adjectival nominal phrases 9 times, and semi-sentential adjectives 19 times.

Key terms: Adjective, Significance, al-Muraqqish al-Akbar.

النّعت: مفهومه، وأنواعه، ودلالاته:

النَّعْتُ هو أحدُ التّوابع الأربعة: النّعت والعطف والبدل والتوكيد، وهو عند النّحويين تابعٌ يكمل متبوعه ببيان صفة من صفاته، نحو: مررت برجلٍ عالمٍ، وهو ما يُطلق عليه النعت الحقيقي، ونحو: مررتُ برجلٍ كريمٍ أخوه، وهو النّعتُ السببي[1].

والنّعت والصِّفة مصطلحان استعملهما النّحاة، في الغالب، بمعنى واحد، يقول ابن يعيش: "الصفة والنعت واحد، وقد ذهب بعضهم إلى أنّ النعت بالحِلْيَة نحو: طويل وقصير، والصفة تكون بالأفعال نحو: خارج وضارب"[2].

والنّعت في المفهوم النّحوي، بأقسامه: المفرد والجملة وشبه الجملة، يتضمّن وظيفة دلاليّة تتمثّل في الوصفية التي تُحدِّد المعنى وتخصِّصه في جميع الخطابات اللغويّة المتنوعة ضمن السياقات التركيبيّة التي يرد فيها. فهو يخصِّص معنى في موصوف نكرة، نحو: هذا رجلٌ عالمٌ، ورأيتُ رجلاً عالمًا، ومررتُ برجلٍ عالمٍ؛ فرجل عالم أخص من رجل، فهو يقلّل من إبهام الموصوف ويقرِّبه من الوضوح، أو أنّه يزيل اشتراكًا عارضًا في معرفة، نحو: جاءني زيدٌ العاقلُ، ورأيتُ زيداً العاقلَ، ومررتُ بزيدٍ العاقلِ؛ فالصفة فصلته من زيد آخر ليس بعاقل، وأزالت عنه هذه الشركة العارضة؛ فصفةَ المعرفة للتوضيح والبيان، وصفة النكرة للتخصيص، وهو إخراج الاسم من نوع إلى نوع أخصّ منه[3].

---

(١) انظر: عبدالله بن عبدالرحمن، ابن عقيل (ت٧٦٩هـ/ ١٣٦٧م) **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك**، ٤ج، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٧٩م، ج٣، ص١٩٠. وأبو الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ/ ١٠٠٢م)، **اللمع في العربية**، تحقيق: حامد المؤمن، مطبعة العاني، بغداد، ط١، ١٩٨٢م، ص١٦١.

(٢) موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش (ت٦٤٣هـ/ ١٢٤٦م)، **شرح المفصّل**، ٦ج، عالم الكتب، بيروت، د.ت، ج٣، ص٤٧.

(٣) انظر: ابن يعيش، شرح المفصل، ج٣، ص٤٨.

يؤدي النعت وظيفة أساسية تتمثل بتطويل الجملة وتوسيعها لتعبر عن مواقف متنوعة وأحوال متعددة؛ فالنعوت "تُدَعِّم الأسماء في توسيع معانيها، تلوِّنها وتبرز ألقها وتنوعها إبرازاً رائعاً"(٤). وتتعدد الوظائف الدلالية للنعت بحسب السياق الذي يرد فيه، وقد وقف النحاة على عدد من هذه الوظائف وحددوها تبعاً للسياق الذي يرد فيه النعت. ولا غرابة في ذلك فالوظيفة النحوية الواحدة يمكن أن تتعدد دلالاتها بحسب السياق الذي ترد فيه؛ لأن الوظيفة النحوية تجريدية يمكن أن تُشغل بكل ما يقبل أن يكون فيها من كلمات، ويمكن أن توضع في ما لا يحصى من أنواع السياقات(٥).

وأما أشهر الدلالات التي ذكرها النحاة للنعت فيمكن تلخيصها بما يأتي(٦):

ـ التوضيح: ويأتي لإزالة الاشتراك في المعارف نحو: جاءني زيدٌ التاجر، فقد يكون أكثر من شخص اسمه زيد، فبذكر (التاجر) يتعيّن المقصود ويُزال الاشتراك.

– التخصيص: وذلك لتقليل الاشتراك الحاصل في النكرات: نحو: هذا رجلٌ عالمٌ؛ فكلمة (رجل) عامّة تشمل كلّ واحد من أفراد الجنس، فإن قلت: (عالم) فقد قللت الاشتراك بإخراجك مثلاً الجاهل.

---

(٤) فهد عكام، **"اللغة في شعر أبي تمام"**، **مجلة عالم الفكر**، الكويت، العدد ٥، المجلد ١٩، ١٩٨٦م، ص٩٣٤.

(٥) محمد عبداللطيف حماسة (ت١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م)، **الجملة في الشعر العربي**، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٠م، ص٧٩.

(٦) انظر: أبو البركات عبدالرحمن بن محمد الأنباري (ت٥٧٧هـ/ ١١٨١م)، **أسرار العربية**، دراسة وتحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٧م، ص١٥٥. أبو محمد عبدالله ابن يوسف بن هشام (ت٧٦١هـ/ ١٣٦٠م)، **شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠١م، ص ص٢٢٢– ٢٢٣. وفاضل صالح السّامرّائي، **معاني النّحو**، ٤ج، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط١، ٢٠٠٠م، ج٣، ص ص١٨١–١٨٢.

– المدح: وذلك عندما يكون الموصوف معلومـاً عند المخاطب ولا يحتاج لتوضيح: نحو: الحمدُ لله ربِّ العالمين.

– الذّم والتحقير: وذلك نحو: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

– التّرحم، نحو: اللهمّ أنا عبدُك المسكينُ.

– التعميم، نحو: يرزق الله عباده الطائعين والعاصين.

– التوكيد: ويأتي النّعت هنا لتوكيد المعنى الّذي عُلِمَ من المنعوت، نحو: أمسِ الدّابرُ المنقضي لا يعود.

– التفصيل: نحو: مررتُ بثلاثة رجال: كاتبٍ، وشاعرٍ، وفقيهٍ.

النّعت أكثر استعمالاً في الشعر وهو وسيلة الشاعر للتعبير عن مواقفه وأغراضه:

الناظر للشعر عامة، والجاهلي خاصة يلاحظ أنّ الجملة تطول وتتسع، فتشمل أبياتاً كثيرة، وأحد أسباب اتِّساعها هو تتابع النعت بأشكاله: (المفرد والجملة وشبه الجملة) "فالنّعت أحد عناصر استطالة الجملة العربية، أي اتّساع مداها الصوتي والدلالي لتعبّر عن مواقف متنوعة وأحوال متعدّدة"[٧] وهو من الوسائل اللغوية التي يستطيع من خلالها الشاعر نقل أفكاره وأوصافه دون مشقة؛ فيكون النعت في ذلك ظاهرة أسلوبيّة في الشعر، وبخاصة إذا كان استخدامه مكثّفاً.

ولبيان قدرة النعت على نقل الأفكار والصور لدى الشاعر الجاهلي، اخترتُ ديوان المرقّش الأكبر نموذجاً؛ لأنّ قصائده تتضمّن نعوتاً كثيرة، استطاع الشاعر من خلالها نقل أفكاره وما يختلج في نفسه من صور ومعانٍ متنوعة، فجاءت

(٧) السّيّد علي خضر، "**التركيب النعتيّ في العربيّة: دراسة في القرآن والشعر**"، **مجلة كلية الآداب**، جامعة المنصورة، العدد ٢٧، أغسطس ٢٠٠٠م، ص٦٨.

الجمل في الديوان متّسعة، وكان تكثيف النعت في قصائد الشاعر البالغ عدد أبياتها -تقريبـًا- (١٩١) بيتـًا سببـًا في توسعة الجملة من الناحية التركيبيّة، وأمّا على المستوى الدّلاليّ فكان للتكثيف النّعتيّ دورٌ في بناء الصورة الشِّعريّة بحيث أعطت الشاعر مجالاً للتعبير عن أفكاره وصوره.

أهمية البحث:

يأخذ النعت قيمته الفنية في الشعر الجاهلي من حيث حاجة الشاعر إلى التوصيف لإثبات أهمية الموصوف وإبراز جمالياته معـًا، وبمقدار تكثيف تلك الأهمية وكشف محاسنها يطمئن الشاعر إلى علوِّ مكانته وسموِّ خصوصيته وتلامع كبريائه ليُبِينَ عن تفرُّد شخصيته وممتلكاته على غرار ما فعل امرؤ القيس حين قدم صوراً فريدة في وصف فرسه، وهي صور تمثل نعوتـًا في الدرجة الأولى بعيداً عن الأشكال النحوية لتلك النعوت. وكذلك مثلما وصف الأعشى هريرته في معلقته بأبيات متتالية تُجسِّد فيها الرائحة العطرية لتلك الحبيبة. وكذلك مثلما فعل أغلب الشعراء الجاهليين الذين وصفوا الناقة ولا سيما المثقب العبدي الذي جعلنا نشعر أن ناقته طائرة نفاثة.

وهكذا بمقدار ما يكون الموصوف عظيمـًا جليلاً تكون شخصية الشاعر المتباهي بذاته عظيمة. ولتحقيق هذا الغرض لجأ الشعراء الجاهليون بالضرورة إلى تكثيف النعوت بصفتها صفاتٍ تُنْبِئ عن أهمية الموصوف وجمالياته. كما لجأ الشعراء إلى مثل هذا التكثيف المعتمد على تتابع النعوت حينما قدموا مشهديَّات درامية في قصائدهم، فكانت النعوت شبيهة بما يضعه كتاب الأفلام السينمائية من سيناريوهات مساعدة ومؤثرة في الوقت نفسه.

وسنجد عن المرقش الأكبر ما هو مثيل لهذه اللمع السينمائية لوصف ثلاثية الحركة واللون والصوت، وما يليق بهذه الثلاثية من تموجات نفسية عميقة. ذلك

هو ما يتغيَّاه البحث حين يتجه إلى كشف مواطن الكثافة النعتية في شعر المرقش الأكبر، وهي سمة فنية جمالية تقود الشاعر إلى نجاح مهم في الإضاءة على نواياه الدلالية ومقاصده الخفية.

الدِّراسات السابقة:

هناك دراسات كثيرة تناولت التوابع بوجه عام، وهناك دراسات متخصِّصة اقتصرت على النّعت: مفهومه وأنواعه ودلالاته طُبِّقت على نصوص قرآنية وشعرية، منها:

- النّعت في الشِّعر الجاهليّ، المعلّقات السبع دراسة تطبيقيّة (رسالة ماجستير) تأليف: عثمان محمد أحمد أبو صيني، جامعة اليرموك، ١٩٩٩م، بيَّن فيها مفهوم النّعت، وأقسامه، وأنواعه، وأحكامه، وأغراضه الدِّلاليّة والبلاغيّة، ووظيفة النّعت بين النّحو والبلاغة، والفرق بين النعت والخبر والحال، وتناول النّعت في المعلّقات، وأشكاله، وأنواعه، والقيمة الجماليّة والبلاغيّة للنّعت في المعلّقات.

- التوابع في شعر جرير (رسالة ماجستير) تأليف: آدم بخيت مبروك، جامعة أم درمان الإسلاميّة، السودان، ٢٠٠٦م.

- التوابع في شعر صريع الغواني (رسالة ماجستير) تأليف يوسف عبدالله إبراهيم، جامعة أم درمان الإسلاميّة، السودان، ٢٠١٠م.

- التوابع في شعر المتنبيّ (رسالة دكتوراة) تأليف: فضل ضحية محمد بحر، جامعة أم درمان الإسلاميّة، ٢٠١٠م.

- النّعت في سورة الكهف: أنواعه ودلالاته، دراسة وصفيّة تحليليّة، (رسالة ماجستير) تأليف: محمد هاشم محمد عثمان، جامعة السودان للعلوم

والتكنولوجيا، كليّة اللّغات، ٢٠١٧م، بيّن فيها الباحث مفهوم النّعت ودلالاته وأقسامه وأغراضه والرُّتبة بين النعت والمنعوت، والفرق بين النعت والحال، وطبّق ذلك في سورة الكهف.

أمّا هذا البحث فعنوانه: التّكثيف النّعتيّ في شعر المُرقِّش: دراسة نحوية دلالية، ولم يجد الباحث من تناوله بهذا العنوان، وعند هذا الشاعر على وجه الخصوص، وقد استخدم الباحث مصطلح (التكثيف النعتي) لأن الشاعر يكثر من استعمال النعت في شعره، ممّا شكّل عنده ظاهرة تستحق الدراسة.

التعريف بالشاعر:

المرقش الأكبر شاعر متقدم، أخباره قليلة، وقد اختلف القدامى في اسمه، فهو عَمْرو بن سَعْد بن مالك بن ضبعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة[٨]. واسمه فيما ذكر أبو عمرو الشيباني عمرو، وقال غيره عوف بن سعد، وزعم قوم أنه كان يسمى قبل ذلك ربيعة بن سعد بن مالك. والمرقش لقب غلب عليه بقوله (السريع):

الـــدَّارُ قَفْـــرٌ والرُّسُـــومُ كَمَـــا رَقَّـــشَ في ظَهْـــرِ الأَدِيْـــم قَلَـــمْ

البعد الزمني بينه وبين المؤرخين كان سببًا من الأسباب التي أدت إلى هذا الاختلاف في اسمه؛ فقد ذكر الأصمعي أن المرقش الأكبر عاش قبل الإسلام بثلاثمئة سنة[٩].

---

(٨) عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ/ ٨٩٩م)، **الشعر والشعراء**، ٢ج، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣هـ، ج١، ص٢٠٥.

(٩) عبدالقادر بن عمر البغدادي (ت١٠٩٣هـ/ ١٦٨٢م)، **خزانة الأدب**، ١٣ج، تحقيق وشرح: عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤، ١٩٩٧م، ج٨، ص٣١٣.

وُلد في اليمن، ونشأ في العراق، وكانت مساكن قومه بنواحي هجر في شرقي شبه الجزيرة العربية، وهو ينحدر من عائلة لها مكانتها الحربيّة، وارتبط اسمه بحرب البسوس، كان فيها ذا بأس وشجاعة، وكان والده سيّد قومه في الحرب، واشتهر المُرقّش بحبه لأسماء ابنة عمّه عوف، فعاش ومات من أجل هذا الحبّ، وكان من المتيّمين، وله فيها أشعار خالدة. ابتعد في شعره عن التّكسُّب، وهو من الشعراء المعرقين في الشعر؛ فهو عمّ المرقّش الأصغر، والأصغر عمّ الشاعر طرفة بن العبد(١٠).

وقد حضر النعت في شعر المرقش الأكبر بأشكاله المعروفة في النحو العربي، ولكن بوظائف تعبيرية ودلالية وأسلوبية، فزاد حضوره على (١٦٧) مرة فيما وصل إلينا من شعره الذي لا يزيد على (١٩١) بيتًا من الشعر. وقد توزع ذلك باستعمال النعت المفرد (٩٩) مرة، والنعت الجملة الفعلية (٤٠) مرة، والنعت الجملة الاسمية (٩) مرات، والنعت شبه الجملة (١٩) مرة. وتجدر الإشارة إلى أن الباحث تجاوز في هذا الإحصاء النعوت التي حذف منعوتها، إذ تقوم في الجملة مقام منعوتها فتعرب فاعلاً أو مفعولاً أو مبتدأً أو غير ذلك. ولا يخفى أن هذه النعوت وإن تغيرت وظيفتها النحوية في السياق إلا أن وظيفتها الدلالية باقية أصيلة.

(١٠) أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني (ت٣٥٦هـ/ ٩٦٧م)، **كتاب الأغاني**، ٢٥ج، تحقيق: إحسان عباس وآخرون، دار صادر، بيروت، ط٣، ٢٠٠٨م، ج٦، ص ص٩٢-٩٨.

وهذا جدول يبين كثافة حضور النعت في شعر المرقش الأكبر بأنواعه القارة في الدرس النحوي:

البحر الشعري	البيت	المنعوت	النعت	نوعه
الطويل	أَغَـالِبُكَ القَلـبُ الـلَّجـوجُ صَبَـابَةً وشَوْقًا إلى أَسْمَاءَ أَمْ أَنْتَ غَالِبُه	القلب	اللجوج	مفرد
الطويل	أَيُلْحَى امْرُؤٌ فِي حُبِّ أَسْمَاء قَدْ نَأَى بِغَمْزٍ من الوَاشِينَ وَازْوَرَّ جَانبُه	غمز	من الواشين	شبه جملة
الخفيف	وإِذَا مَـا رَأَيْـتِ رَكْبًـا مُـخِـبِّيـ ـنَ يَقُـودُونَ مَـقْرُبَـاتٍ جِيَادا	ركبًا	مخبين	مفرد
الطويل	سَتَبْلُـغُ هِـنْدًا إِنْ سَـلِـمْنَا قَـلَائِـصٌ مَهَارَى يُقَطِّعْنَ الفَلَاةَ بِنَا وَخْدا	قلائص	مهارى يقطعن	مفرد جملة فعلية
الطويل	فـمَدَّتْ يـدًا في حُسْـنِ كُـلِّ تناوُلًا إليه وقالت: ما أرى مِثْلَ ذَا يُهْدَى	يداً	في حسن كل	شبه جملة
الطويل	تَعَـرَّضُ لِلـحَيِّ الَّذِيـن أُرِيـدُهُـم ومَـا الْتَمَسَتْ إلا لِتَقْتُلَنِي عَمْدا	الحي	الذين	مفرد

الطويل	فَمَـا شِبْـهُ هِنْـدٍ غَيْرُ أَدْمَـاءَ خَـاذِلٍ من الوَحْشِ مُرتاعٍ تُرَاعِي طَلًا فَرْدا	أدماء	خاذل من الوحش مرتاع تراعي	مفرد شبه جملة مفرد جملة فعلية
الطويل	وَمَـا نُطْفَةٌ مِـنْ مُـزنَةٍ فـي وَقِيـعَةٍ على مَتْنِ صَخْرٍ في صَفًا خَالَطَتْ شَهْدا	نطفة	من مزنة في وقيعة على متن في صفا خالطت	شبه جملة شبه جملة شبه جملة شبه جملة جملة فعلية
الطويل	بِـأَطْيَبَ مِـنْ رَيَّا عُـلَالَـةِ رِيقِـهَا غَدَاةَ هِضَابِ الطَّلِّ في رَوْضَةٍ تَنْدَى	روضة	تندى	جملة فعلية
الوافر	عـلى أَنْ قَـدْ سَمَـا طَـرْفِي لِـنَارٍ يُشَبُّ لـها بِـذِي الأَرْطَى وَقُـودُ	نار	يشب	جملة فعلية
الوافر	حَـوَالَـيْهَا مَـهًـا جُـمٌّ الـتَّرَاقِـي وأَرْآمٌ وغِـــزْلَانٌ رُقُـــودُ نَـوَاعِمُ لا تُـعَـالِجُ بُؤْسَ عَيْـشٍ أَوَانِـسُ لا تُـــرَاح وَلَا تَـرُودُ	مها أرآم أرآم	جم رقود نواعم لا تعالج أوانس لا تراح	مفرد مفرد مفرد جملة فعلية مفرد جملة فعلية

	يَزُحْـــنَ مَعـًا بِـــطَاءَ الـمَشْيِ بُدًّا		يزحن	جملة فعلية
	عَلَيْهِـنَّ المَـجَاسِـدُ والـبُرُودُ			
	سَكَـنَّ بِبَلْـدَةٍ وسَكَـــنْتُ أُخْـــرَى		سكنَّ	جملة فعلية
	وقُطِّعَتِ الـمَـوَاثِقُ والعُهُـودُ			
الوافر	ورُبَّ أَسِيلـةِ الـخَـدَّيْـنِ بِـكْـرٍ	أسيلة	بكر	مفرد
	مُنَعَّمَـةٍ لَهَـــا فَـــرْعٌ وَجِـــيدُ		منعمة	مفرد
			لها فرع	جملة اسمية
الوافر	وذو أُشُـرٍ شتيـتُ النَّبْتِ عـذبٌ	ذو أشر	شتيت	مفرد
	نـقيُّ اللـــون بَـرَّاقٌ بَـــرُودُ		عذب	مفرد
			نقي	مفرد
			براق	مفرد
			برود	مفرد
الوافر	أُنَـــاسٌ كـلـمـا أخْـلَقْتُ وَصْـــلًا			
	عَنَـانِي منهـــم وَصْـــلٌ جَـــدِيدُ	وصل	جديد	مفرد
المتقارب	بِـأَنَّ بـني الـوَخْـــمِ ســـاروا معـًا			
	بجيشٍ كَضَـوءِ نُجـومِ السَّحَر	جيش	كضوء	شبه جملة
	بـكـلِّ نَسـولِ السُّـــرَى نَـهْـــدَةٍ	نسول السرى	نهدة	مفرد
	وكـلِّ كُمَـيْتٍ طُـوَالٍ أَغَـرّ	كميت	طوال	مفرد
			أغر	مفرد

المتقارب	فـيـا رُبَّ شِـلْـوٍ تَـخـطْـرَفْـنَـهُ كـريمٍ لـدى مَزْحَـفٍ أو مَكَرّ وآخـرَ شَـاصٍ تَـرَى جِـلـدَهُ كقِشْـرِ القَتَـادةِ غِـبَّ المَطَـر	شلو آخر	كريم شاص ترى	مفرد مفرد جملة فعلية
المتقارب	وكـائِنْ بِجـمْـرَانَ مـن مُـزْعَـفٍ ومـن رجـل وجـهُـهُ قَـدْ عُفِر	رجل	وجهه قد عفر	جملة اسمية
الطويل	أمِـن آل أسْـمَاءَ الطُّـلُـولُ الـدَّوارسُ يـخطِّطُ فيها الطَّيْرُ قَفْرٌ بَسَابِسُ	الطلول	الدوارس	مفرد
الطويل	لتُبْصِـرَ عَـيْنِي، أَنْ رأتْـنِي مَـكَـانَـهَا وفي النَّفْسِ إنْ خُلِّي الطريقُ الكَوَادِسُ	الطريق	الكوادس	مفرد
الطويل	ودَوِيَّـةٍ غَـبْـراءَ قـد طَـالَ عَـهْدُهَا تَهَالَكَ فيها الوِرْدُ والمَرْءُ نَاعِسُ قَـطَعْتُ إلى مَـعْرُوفِـها مُنْكَرَاتِـها بـعيهامةٍ تَنْسَلُّ والليلُ دَامِـسُ تَرَكْتُ بِهَا ليلًا طـويـلاً ومَـنْزِلًا ومُـوقَدَ نارٍ لم تَرُمْهُ القَوَابِسُ	دوية عيهامة دوية ليلاً موقد	غبراء قد طال تهالك قطعت تنسل تركت طويلاً لم ترمه	مفرد جملة فعلية جملة فعلية جملة فعلية جملة فعلية جملة فعلية مفرد جملة فعلية
الطويل	وتصـبحُ كـالـدَّوْدَاةِ نـاطَ زمـامُـها إلى شُعَبٍ فيها الجواري العوانس	شعب الجواري	فيها الجواري العوانس	جملة اسمية مفرد

الطويل	وقِـدْرٍ تـرى شُمْـطَ الـرجالِ عِيَالَها			
	لَهَا قَيِّمٌ سَهْلُ الخَلِيقةِ آنسُ	قيم	سهل	مفرد
			آنس	مفرد
	ضَحُوكٌ إذا ما الصَّحْبُ لم يَجْتَوُوا له		ضحوك	مفرد
	ولا هو مِضْبابٌ على الزادِ عابسُ		عابسُ	مفرد
الطويل	ولـمّـا أضـأْنا الـنَّار عِـنْدَ شِـوَائنا			
	عَرَانا عليها أَطْلَسُ اللَّونِ بَائِسُ	أطلس	بائس	مفرد
	نـبـذتُ إليـه حُـزَّةً مـن شـوائـنـا	حزة	من شوائنا	شبه جملة
	حياءً، وما فُحْشِي على من أُجَالِسُ			
	فتآَضَ بهـا جَـذْلان يَنْفُـضُ رأسَــهُ			
	كما آبَ بالنَّهْبِ الكَمِيُّ المُحُالس	الكمي	المحالس	مفرد
الطويل	وأَعْـرَضَ أَعْـلَامٌ كَأَنَّ رُؤوسَـهَـا	أعلام	(كأن رؤوسها رؤوس جبال)	جملة اسمية
	رُؤُوسُ جِبَالٍ فِي خَلِيجٍ تَغَامَسُ			
		جبال	تغامس	جملة فعلية
	إذا عَـلَـمٌ خَـلَّفْتُهُ يُـهْتَـدَى بِـــهِ	علم	خلفته	جملة فعلية
	بَدَا عَلَمٌ في الآلِ أغبرُ طامسُ		يهتدى	جملة فعلية
		علم	في الآل	شبه جملة
			أغبر	مفرد
			طامس	مفرد

	تَعَـــالَلْتُهَا ولـــيس طِبِّي بِـــدَرِّها وكيف التماسُ الدَّرِّ والضَّرْعُ يابس بأسْمَرَ عارٍ صدرُهُ من جِلَازِه وســـائرُهُ مـــن العِلَاقـــة نـــائس	أسمر	عار	مفرد
الطويل	وفـي الـحيِّ أبكـارٌ سَبَيْنَ فـؤادَهُ عُلَالـةَ مـا زَوَّدْنَ والحـبُّ شـاعِفِي دِقاقُ الخُصُورِ لم تُعَفَّرْ قُـرونُهـا لشجوٍ ولم يَحْضُرْنَ حُمَّى المَزَالِفِ نـواعـمُ أبـكـارٌ سـرائِـرُ بُـدَّنُ حِسانُ الوجوه لِيِّنَاتُ السَّوَالِفِ يُهَدِّلْنَ في الآذان مـن كلِّ مُذْهَبٍ لـه رَبَـذٌ يَعْيَـا بـه كـلُّ واصـف إذا ظَعَنَ الحيُّ الجميعُ اجْتَنَبْتُهُم مكانَ النديمِ للنَّجِيِّ المُسَاعِف نَشَـرْنَ حـديـثًا آنِسًـا فـوضعْنَهُ خفيضًا فلا يَلْغَى به كلُّ طائف	أبكار مذهب الحي النجي حديثًا	سبين دقاق لم تعفر نواعم أبكار سرائر بدن حسان لينات يهدلن له ربذ يعيا الجميع المساعف آنسًا	جملة فعلية مفرد جملة فعلية مفرد مفرد مفرد مفرد مفرد مفرد جملة فعلية جملة اسمية جملة فعلية مفرد مفرد مفرد

الطويل	تَنَزَّلْـنَ عـتـن دَومٍ تَهـفُّ مُتُـونـهُ مُزَيَّنَـةٍ أكنافُهَـا بالزَّخَـارف	دوم	تهف مزينة	جملة فعلية مفرد
الطويل	وكـان الرِّفـادُ كلَّ قِدْحٍ مُقَرَّمٍ وعاد الجميعُ نُجْعَةً للزَّعَانف	قدح	مقرم	مفرد
الطويل	إذا يَسرُوا لم يُورِث اليَسْرُ بينهم فواحشَ يُنْعى ذِكرها بالمصايف	فواحش	ينعى	جملة فعلية
الطويل	فهـل تُبْلِغَنِّي دارَ قـومـي جسرةٌ خَنُوفٌ عَلَنْدًى جَلْعَدٌ غيرُ شارف سَدِيسٌ عَلَتْهَا كَبْـرَةٌ أو بُـوَيْزِلٌ جُمَالِيَّةٌ في مَشْيِهَا كالتَّقَاذف	جسرة	خنوف علندى جلعد غير شارف سديس علتها بويزل جمالية	مفرد مفرد مفرد مفرد مفرد جملة فعلية مفرد مفرد
المتقارب	أَبَـأْتُ بـثعـلـبةَ بـنِ الـخُـشا م عمروَ بنَ عوفٍ فَزَاحَ الوَهَل	ثعلبة عمرو	ابن الخشام ابن عوف	مفرد مفرد
الكامل	فـلعـلَّ بُـطْـأَكـمـا يُفَرِّطُ سَـيِّئًا أو يسبِقُ الإسـراعُ سَيْبًا مُقْبِلا	سيبًا	مقبلا	مفرد
الكامل	يـا راكـبًا إمَّـا عـرضتْ فَبَلِّغَنْ أنسَ بنَ سعدٍ إنْ لقيتَ وحرملا	أنس	ابن سعد	مفرد
الكامل	مـنْ مُبْلِغُ الأقـوامِ أنَّ مُـرَقَّشًـا أَمْسى على الأصحابِ عِبْئًا مُثْقِلا	عبئًا	مثقلا	مفرد
المتقارب	وفـيهـنَّ حُـورٌ كـمثـلِ الظِّبَـاءِ تَقَرَّوا بـأعـلى السَّلِيـلِ الهَـدَالا	حور	كمثل الظباء	شبه جملة

مخلع البسيط	مـــاذا وقـــوفي عـــلى ربـعٍ عَفَـــا مُخْلَوْلَـــقٍ دارسٍ مُسْـــتَعْجَم	ربع	عفا مخلولق دارس مستعجم	جملة فعلية مفرد مفرد مفرد
السريع	ديـــارُ أســـمـــاءَ الـــتـــي تَبَـــلَـــتْ قـــلبي فـعينِي مـــاؤُهـــا يَسْجُـــمْ	أسماء	التي تبلت	مفرد
السريع	لـــمْ يُشْـــجِ قـلبـي مِلْحَوَادِثِ إِ لَّا صاحبي المتروكُ في تَغْلَمْ ثَعْلَبُ ضَرَّابُ القَوَانسِ بالـ ـسَّيفِ وهادي القومِ إذْ أَظْلَمْ	صاحبي ثعلب	المتروك ضراب	مفرد مفرد
السريع	لـو كـــانَ حـيٌّ نـاجـيًا لنـَجَـا مـن يومِـهِ المُـزَلَّمُ الأَعْصَـمْ	المزلم	الأعصم	مفرد
السريع	مـا ذَنْبُنَـا فـي أَنْ غَـزَا مَـلِـكٌ مِنْ آلِ جَفْنَةَ حازِمٌ مُرْغِم	ملك	من آل حازم مرغم	شبه جملة مفرد مفرد
	مُـقَابَلٌ بـيـــنَ الـعَـــوَاتِـكِ والـ ـــغُلَّفِ لا نِكْـسٌ ولا تَـوْءَمْ		مقابل لا نكس	مفرد مفرد
	حَـارَبَ واسْتَـعْـوَى قَـرَاضِـبَةً لـيس لهـم ممَّـا يُحَـازُ نَعَـم		حارب (ليس لهم نعم)	جلة فعلية جملة اسمية
السريع	فـانقـضَّ مـثلَ الصـقرِ يَـقْدُمُـهُ جـيشٌ كَغِـلَّانِ الشُّـرَيْفِ لِهَـمّ	جيش	(كغلان الشريف) لِهَمّ	شبه جملة مفرد

السريع	لسنا كأقوامٍ مَطَاعِمُهُم كَسْبُ الخَنَا ونَهْكَةُ المَحْرَمْ	أقوام	(مطاعمهم كسب الخنا)	جملة اسمية
السريع	وَيَخْرُجُ الدخانُ مِنْ خَلَلِ الـ ـسِّتْرِ كَلَوْنِ الكَوْدَنِ الأَصْحَمْ	الكودن	الأصحم	مفرد
السريع	فهل تُسَلِّي حُبَّها بازلٌ ما إنْ تُسَلَّى حبَّها من أُمَمْ عرفاءُ كالفحلِ جُمَاليَّةٌ ذاتُ هِبَابٍ لا تَشَكَّى السَّأَمْ	بازل	عرفاء كالفحل جمالية ذات هباب لا تشكى	مفرد شبه جملة مفرد مفرد جملة فعلية
	لم تقرأِ القَيْظَ جنينًا ولا أَصُرُّها تحمل بَهْمَ الغَنَمْ تعدو إذا حُرِّكَ مِجْدَافها عدو رَبَاعٍ مُفْرَدٍ كالزُّلَمْ	رباع	لم تقرأ مفرد كالزلم	جملة فعلية مفرد شبه جملة
	كأَنَّهُ نِصْعُ يَمَانٍ وبال أَكْرُعِ تَخْنِيفٌ كَلَونِ الحُمَمْ باتَ بغيبٍ مُعْشِبٍ نبتُهُ مختلِطٍ حُرْبُثُهُ باليَنَمْ	تخنيف غيب	كأنه نصع يمان كلون الحمم معشب نبته مختلط حربثه	جملة اسمية شبه جملة مفرد (سببي) مفرد (سببي)

مجزوء الكامل	قـد خُـطَّ ذلك فـي الـزُّبُـو رِ الأَوَّلِيَّـــاتِ القَـــدَائِمْ	الزبور	الأوليات القدائم	مفرد مفرد
الخفيف	رافـعـاتٍ رَقْمًا تُهَـالُ لـه العَيْـ ـنُ عـلى كـل بـازلٍ مُستكيـنِ أو عـلاةٍ قـد دُرِّبَتْ درجَ الـمِشْـ ـيَةِ حـرفٍ مثـلِ المهـاةِ ذَقُـونِ	رقمًا بازل علاة	تهال مستكين قد دربت حرف مثل المهاة ذقون	جملة فعلية مفرد جملة فعلية مفرد مفرد مفرد
الخفيف	لاتَ هـنَّا ولـيتني طـرفُ الـزُّ جِّ وأهلي بالشأْمِ ذاتِ القرونِ بـامـرئٍ مـا فَعَلْتَ عَفٍّ يؤوسٍ صَـدَقَتْهُ المُنَـى لِعَـوْضِ الحـينِ	الشأم امرئ	ذات القرون عف يؤوس صدقته	مفرد مفرد مفرد جملة فعلية
الخفيف	يُعْمِـلُ البـازلَ المُجِدَّةَ بـالـرحْـ ـلِ تَشَكَّـى النِّجَادَ بعد الحُزونِ بـفـتًى نـاحِـفٍ وأمـــرٍ أَحَـذٍّ وحسامٍ كـالملحِ طوعَ اليمينِ	البازل فتى أمر حسام	المجدة ناحف أحذ كالملح	مفرد مفرد مفرد شبه جملة
البسيط	إنـا لَمِنْ مـعـشرٍ أفـنى أوائلَهُمْ قيلُ الكماةِ: ألا أين المحامونا	معشر	أفنى	جملة فعلية

الكامل	يـا خـولَ مـا يُدريكِ رُبَّتَ حُـرَّةٍ خَـوْدٍ كـريـمةٍ حيِّهَا ونِسَائِهَا	حرة	خود كريمة	مفرد مفرد
الكامل	بمُحَالةٍ تَقِصُ الـذبـابَ بـطـرفِهَا خُلِقَتْ مَعَاقِمُهـا علـى مُطْوَائهـا كسـبيةِ السِّيــرَاءِ ذاتِ عُـلَالــة تهدي الجيادَ غداةَ غِبِّ لقائِها	محالة	تقص خلقت كسبيبة ذات علالة تهدي	جملة فعلية جملة فعلية شبه جملة مفرد جملة فعلية

الأبعاد الدلالية للنعت في شعر المرقش الأكبر:

وبعد تأمّل حضور النّعت في الجدول السابق يتبيّن ما يلي:

١- كانت نسبة حضور النّعت في جميع شعر المرقّش كبيرة، وهذا يشير إلى حاجة المرقّش لضروب التّوصيف التي تؤازر مخياله، وتعبِّر عن الفائض الانفعالي في مقاصده، وتوضِّح مظهريَّة الشيء الموصوف ومكنوناته غير المرئيّة معًا. فلم تكن عينه باصرة فحسب، وإنّما بصيرة حَدَّاسة متوهِّجة تشرح ما ظهر وما بطن من أحاسيسه، فقد كان مُكْثراً في النُّعوت ليُفْضي بما يستطيع من ذات وجدانه الشجاع من دهشة أو حنين أو إعجاب ليصل إلى أقصى غايته من التّصوير الخارجي المُعايَن، وأعلى أهدافه من التصوير النّفسيّ الخفي؛ فوفرة النعوت -فيما أرى- جاءت مُتمِّمة لِمَا تبقّى في نفسه من شغف ساخن متوثِّب، ولا سيِّما في مكابدة الوجد، فصفة (اللجوج) مثلاً في قوله يخاطب نفسه (الطويل):

أَغالِبُــكَ القلــبُ اللجــوجُ صــبابةً وشوقًا إلى أسماءَ أم أنت غالبُهْ؟(١١)

تشير إلى شدّة القلق والاضطراب والنّبض العنيف الذي يعانيه الشاعر في شوقه لأسماء، فقد جرد من نفسه شخصاً يخاطبه، وجعل قلبه هازماً لإرادة الإنسان فيه، مع أنّ ظاهر البيت يبدو تساؤلاً، لكنّه استفهام كنائيّ، فهو يُكنّي عن هزيمته أمام لجاجة القلب العاشق الذي يذوب صبابة والتياعاً.

واللجوج صفة مشبّهة تحمل معاني الديمومة والقوة والإصرار، وهي معانٍ توازي حِدّة الاشتياق عند الشاعر، فكأنّ القلب مخلص في مهمته العاشقة لأسماء، ومستقلّ بحريته في حنينه الجارف؛ فالشاعر يُسوِّغ ضعفه تجاه المحبوبة بلجاجة قلبه. إنّه مستسلم استسلاماً عذباً لهذا الضعف. وليس أحبّ للحبيبة من أن ترى حبيبها متذلّلاً لها متذاوباً في حبِّها هازماً عقله وناصراً قلبه. غير أنّ المرقّش قد جعل البيت سؤالاً ليحافظ على كبريائه، فهو الفارس الكبير الّذي لا يضعف في الحرب، إنّما الحبّ غالبه؛ فالشاعر في موقف المباهاة الضمنيّة بانتصار قلبه، على الرغم من غمْز الواشين له، ولذلك أتبع السؤال الكنائيّ بسؤالٍ إنكاريّ تعجبيّ (الطويل):

أَيُلْحَى امْرؤ في حبّ أسماء قد نأى بِغِمْزٍ من الواشين وازوَرّ جَانِبُهْ؟!(١٢)

كأنّه يقول: كيف تلومون عاشقاً أحبّ أسماء وتحمّل ما تحمّل من لَمْز العُذّال والحَسَدة؟!

---

(١١) المُرقِّش الأكبر عمرو بن سعد (ت٥٧ق.هـ/ ٥٦٨م)، والمُرقِّش الأصغر عمرو بن حرملة (ت٥٠ق.هـ/ ٥٧٤م)، **ديوان المرقِّشَيْن**، تحقيق: كارين صادر، دار صادر، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٨م، ص٤٣.

(١٢) المصدر السابق، ص٤٣.

٢ـ النّعت والصورة الحركيّة:

يقول الشاعر (الخفيف):

وَإِذَا مَـــا رَأَيْـــتَ رَكْبَـــاً مُخِبِّيْـــ ـــنَ يَقُـــودُونَ مُقَرَّبَـــاتٍ جِيَـــادَا (١٣)

فالخَبَبُ ضربٌ من مشي الخيل، وهو كالْهَرولة عند الرجل، مع الإسراع، وإنزال اليدين لتُقابلا الساقين، والخَبَبُ صفة في الأحصنة الجياد؛ فكلُّ جواد حصان، وليس كلُّ حصان جواداً، والرّكب هم مجموعة من المسافرين على ظهور الخيل. فمنح الشاعر صفة الخبب للرجال، وهي في الأصل للخيل. وظهرت الصورة الحركيّة أنّ الفرسان يخبّون وهم على ظهور جيادٍ تخبّ كذلك؛ فاجتمع الخبب في الراكب والركوبة؛ وفي ذلك إيماء إلى ثقة الرّكب بأنفسهم وبجيادهم ثقة مشوبة باستمتاع وازدهاء، فمخبّون جزء من توصيف الرّكب، ويقودون (الجملة الفعلية) هي الجزء الثاني المُكمِّل، و(جيادا) هي الجزء الثالث من توصيف الخبب لدى الرّكب المسافرين.

٣- النّعت ومتابعة التوصيف:

يقول الشاعر المُرقّش (الطويل):

سَـــتَبْلِغُ هِنْـــدَاً إِنْ سَـــلِمْنَا قَلائِـــصُ مَهَـــارى يُقَطِّعْـــنَ الفَـــلاةَ بِنَـــا وَخْـــدَ (١٤)

فالمَهَارى جمع مَهْريّة، وهي من نجائب الإبل، وهي منسوبة إلى مهرة بن حيدان مثلما نقول: السيف اليمانيّ أو سيوف الهند، كناية عن جودتها، فالنوق القلائص: قلائص جمع قلوص، أصيلات مهارى خبيرات بقطع الفلوات فَيَعْدِين

(١٣) ديوان المرقشين، ص٤٧.

(١٤) المصدر السابق، ص٤٩.

وَخْدَا؛ أي كالنعام، حيث تطول مسافة الخُطْوَة الرّاكضة؛ فالصِّفة (الجملة الفعلية: يُقَطِّعْنَ) والفعل مشدَّدٌ مضعَّفٌ، للدلالة على المثابرة الجادة في الرّكض دون شكوى؛ فلم يكتف الشاعر بصفة المهارى للإبل بل أتبعها بتفصيل ينبئ بطبيعة حركة الأقدام عند الرّكض، وذلك يتلاءم مع قصد الشاعر في أنّ قلائصه المهارى هي خير الإبل التي تصل هنداً، وخير الإبل لا تكون إلا لخير الفرسان، والشاعر خير الفرسان في المَقْصَدِ المُضْمَر. ولا شكّ أنّ هذا التّفصيل والتّخير منسجم مع الأبيات السابقة التي تخيّر فيها المُرقّش أفضل عود أراكةٍ يهديه إلى هند، وأفضل سيف، وذلك عندما قال (الطويل)[١٥]:

تَخَيَّرْتُ مِنْ نُعْمَانَ عُودَ أَرَاكَةٍ لِهِنْدٍ فَمَنْ هَذَا يُبَلِّغُهُ هِنْدَا
وَأَنْطَيْتُهُ سَيْفِي لِكَيْمَا أُقِيْمَهُ فَلَا أَوَدَاً فِيْهِ اسْتَبَنْتُ ولا خَضْدَا
سَتَبْلِغُ هِنْدَاً إِنْ سَلِمْنَا قَلائِصٌ مَهَارى يُقَطِّعْنَ الفَلاةَ بِنَا وَخْدَا

٤ - النّعت والصورة النّفسيّة والذّوقيّة:

يقول المرقّش (الطويل)[١٦]:

وَأَقْبَلْتُ كَالْمُجْتَازِ أَدَّى رِسَالَةً وَقَامَتْ تَجُرُّ المَيْسَنَانِيّ والْبُرْدَا
تَعَرَّض لِلْحَيّ الّذِيْنَ أُرِيْدُهُمْ وَمَا الْتَمَسَتْ إلّا لِتَقْتُلَنِي عَمْدَا
فَمَا شِبْهُ هِنْدٍ غَيْرُ أَدْمَاءَ خَاذِلٍ مِنْ الْوَحْشِ مُرْتَاعٍ تَرَاعي طَلاً فَرْدَا
وَمَا نُطْفَةٌ مِنْ مُزْنَةٍ فِي وَقِيْعَةٍ عَلَى مَتْنِ صَخْرٍ فِي صَفَا خَالَطَتْ شَهْدَا
بِأَطْيَبَ مِنْ رَيَّا عُلَالَةِ رِيْقِهَا غَدَاةَ هِضَابِ الطّلّ في رَوْضَة تَنْدَى

(١٥) ديوان المرقشين، ص٤٩.

(١٦) المصدر السابق، ص٥٠.

فالصورة النّفسيّة هي في البيت الثالث، فقد شبّه الشاعر رغبة هند في قتله المعنويّ بحرصِ وحشٍ جريح مخذولٍ جائعٍ خائفٍ، يشاهد بالقرب منه ظبياً صغيراً منفرداً، فهكذا تعاقبت أربعة نعوتٍ لتصف الحالة النفسيّة المستَفَزّة عند هند، وهي: (خاذل، ومرتاع، وتراعي) أمّا صفة الطلا فقد كان منفرداً (وهو الشاعر) كأنّ الشاعر يودّ القول إنّ هنداً كانت مُتعطّشة لي تعطّشَ وحش جائع خائف لظبي صغير ليس حوله ظباء أخرى. فكأنّ الشاعر هنا يُعلي من قدره في عيني الحبيبة التي تكاد تَهُمُّ به، ورُبّما هَمَّت بدليل توصيفه لمذاق ريقها الأطيب من قطرة من ماء غيمة سقطت على ظهر صخرة ملساء ممزوجة بالعسل، فعبارة خالطت شهدا صفة للنطفة، وهذه النطفة ليست بأطيب من الطلّ الذي صار ندى في روضة؛ فمزج الشاعر الصورة البصريّة لنطفة الغيمة الممزوجة بالعسل فوق صخرة ملساء ناعمة بالصورة البيولوجيّة الذوقيّة في الفم.

٥- النّعت والصورة المشهدية:

سأتوقف عند آخر قصيدة كتبها المرقّش، وقد قالها بين يدي حبيبته أسماء قبل أن يموت، ومنها (الوافر)[١٧]:

سَــرَى لَــيْلاً خيَــالٌ مِــنْ سُــلَيْمى فَــأَرَّقَنِي وَأَصْــحَابِي هَجُــودُ
فبِــتُّ أُدِيْــرُ أَمْــرِي كُــلَّ حَــالٍ وَأَرْقُــبُ أَهْــلَهَا وهُــمُ بَعِــيْدُ
عَلَــى أَنْ قَــدْ سَــمَا طَرْفِــي لِنَــارٍ يُشَــبُّ لَهَــا بِــذِي الأَرْطِــي وَقُــودُ
حَوَالَيْهَــا مَهَــاً جُــمُّ التَّــرَاقِــي وَأَرْآمٌ وَغِــزْلانٌ رُقُــودُ
نَــوَاعِمُ لا تُعَــالِجُ بُــؤْسَ عَــيْش أَوَانِــسُ لا تُــرَاحُ وَلا تَــرُودُ
يَــزُحْنَ مَعَــاً بِطَــاءَ المَشْــيِ بُــدَّا عَلِــيْهِنَّ المَجَاسِــدُ والبُــرُودُ
سَــكنَّ بِبَلْــدَةٍ وَسَــكَنْتُ أُخْــرَى وَقُطِّعَــتِ المَوَاثِــقُ والْعُهُــودُ

(١٧) ديوان المرقشين، ص ص٥١-٥٢.

فالتوصيف المشهدي يبدأ من لحظة الحلم أو التّخيُّل بأن طيف حبيبته زاره فارتبك ولم يُصدّق نفسه، وصار يتفقد المكان من عيون الرُّقباء البعيدين. اللقطة الثانية عندما شاهد أو تراءى له أنّه شاهد ناراً مشبوبة من حطب شجر الأرطى وهو في الجودة مثيل لشجر الغضا. أمّا اللقطة الثالثة فهي لقطة شاملة للنار ومن حولها نساء جميلات سمينات مترفات بالنعمة، ولكنهنّ نائمات بالكاد يتحرّكنَ؛ فهنّ نواعم في رفهنية وهناء، ويلبسن فاخر الثياب، ومع كل ذلك لم أنتبه لهنّ، فثمّة بيني وبينهنّ مسافة بعيدة من الشعور، إنّهنّ حولي وفي متناول بصري ولكنّي أعفّ عنهنّ وفاءً لسُلَيمى، في حين أنّ سُلَيمى غير وفيّة لي، وحالي كحال الصيّاد الذي ذهب ليصيد فاصطيد.

لنا أن نتخيّل مستويات الضوء حول النار، وهو يكشف عن حال الأوانس النواعم في جوٍّ رومانسيّ بديع يتمنّاه كلّ رجل، في حين يتخيّل المُرقّش حبيبته ولا يُعنى بما يرى من إغواء عظيم.

فالتوصيف الأول يبدأ بالنّار المشتعلة من شجر الأرطى وحولها مها نائمات، وهي جمع مهاة؛ أي صبايا جميلات كالغزلان والآرام. فجملة يُشبّ لها هي النعت الأول، ثم (حواليها مها) هي النعت الثاني، وهذا النعت الثاني يتقاطر إلى نعوت أخرى: جمّ التّراقي، رقود، نواعم، لا تعالج، أوانس، لا تراح ولا ترود، يَزُحْنَ معًا، سكَنَّ ببلدة.

وفي المفهوم السينمائي فإنّ النعوت هنا هي ما يصفه السيناريو للحدث لحظة التصوير.

إنّ هذا التوصيف المشهدي حدث في مخيلة الشاعر وليس على أرض الواقع، وسبب هذا التّخيّل كلّه عائد إلى حرص الشاعر على أن يؤكّد لحبيبته في لحظة موته أنّه لم يحب سواها؛ فعندما تشعر هذه الحبيبة بهذا الإخلاص والوفاء ستندم لعدم إخلاصها له في حياته. إنّه هنا يُجَسِّد ما يمكن أن نسميه الحبَّ المُطْلَق

الخالي من شوائب المصلحة والمنفعة، الحبّ السامي النّقي الذي لا نستبعده عند المُرقّش صاحب الفروسيات المتعدّدة، فهو فارس في الحرب، وفارس في الكرم، وفارس في الحبّ.

٦- النّعت والصورة اللونيّة:

ورد كثيرٌ من شعر المرقّش في هيئة صورة لونيّة تكشف البياض اللامع، على غرار قوله (الوافر)[١٨]:

وَذُو أُشْرٍ شَتِيْت النَّبْتِ عَذْبٌ نَقِيُّ اللّونِ بَرَّاقٌ بَرُودُ

فالشاعر يصف الفم الجميل، بحيث أصبح المبتدأ في البيت صفةً رئيسة لذلك الفم (ذو أشر) وكذلك الخبر الذي قام مقام النّعت (شتيت)، ثم أربع صفات أخرى: عذب، نقي، برّاق، برود؛ فالفم لامع الأسنان ذو طعم باردٍ عذبٍ، فأصبحت النّعوت هنا مجدولة بتعبير لوني مذاقيّ في آنٍ معًا، فقد تكاثفت النّعوت مجتهدةً في إبراز تميّز ذلك الفم طيّب المذاق واللون، جميل التّشكيل بالأسنان البيضاء المتفرِّقة بانتظام.

وعندما يقول الشاعر (المتقارب)[١٩]:

بَأَنّ بَنِي الْوَخْمِ سَارُوا مَعًا بِجَيْشٍ كَضَوءِ نُجُومِ السَّحَرْ

فإنّما يصف رجال بني الوخم بالنجوم المتلألئة لمعانًا صافيًا رائقًا واثقًا من جماله.

(١٨) ديوان المرقشين، ص٥٢.

(١٩) المصدر السابق، ص٥٣.

وعندما يقول (الطويل)[٢٠]:

قَطَعْتُ إِلَى مَعْرُوفِهَا مُنْكَرَاتِهَا بِعَيْهَامَةٍ تَنْسَلُّ واللَّيْلُ دَامِسُ

فإنّ الوصف (دامس) كناية عن شدة سواد الليل وما يظهره من غموض وخوف ورهبة؛ فليست (دامس) وصفًا عاديًا، إنّما حملت معها فضاء دلاليًا آخر وهو أنّ تلك الناقة القوية تحدّت الليل الحالك الّذي لا يكشف عن شيء، واقتحمته بخفة ورشاقة؛ فالليل في تلك القصيدة ليل مخيف طويل يتخلّله موقد نار محطّم لا يكاد يبين، يقول الشاعر (الطويل)[٢١]:

تَرَكْتُ بِهَا لَيْلاً طَوِيْلاً وَمَنْزِلاً وَمَوْقَدَ نَارٍ لَمْ تَرُمْهُ القَوَابِسُ

لكأنَّ الشاعر يقصد القول إنّني دمّرتُ النهار والبياض معًا.

٧ـ النّعت واللّوحة التشكيليّة:

وفي القصيدة السابقة صور وتشبيهات كان للنعت فيها دور رئيس في إبرازها كما لو أنّها لوحات تشكيليّة، أو ضروب من الرسم المعاصر، كقوله[٢٢] (الطويل):

وَأَعْرَضَ أَعْلَامٌ كَأَنَّ رُؤُوسَهَا رُؤُوسُ جِبَالٍ فِي خَلِيْجٍ تَغَامَسُ

فـ(تغامس) أي تتغامس: جملة فعلية في محلّ رفع صفة لرؤوس جبال، وهي كلمة تحمل معنى الهبوط إلى أسفل تدريجيًا؛ فرؤوس الجبال تظهر من بعيد وحولها السماء الضبابية كأنّها تتحرك إلى الأسفل رويداً رويداً؛ فالنعت بكلمة واحدة هي "تغامس" قدّم صورة حركيّة ولونيّة في وقت واحد، وهي صورة تبدو كأنّها تشكيليّة.

(٢٠) ديوان المرقشين، ص٥٦.

(٢١) المصدر السابق، ص٥٦.

(٢٢) المصدر السابق، ص٥٨.

ومثلما تكاثف النّعت في وصف جماليّات المحبوبة، تكاثف أيضـاً في وصف الرّكوبة (الناقة)، وهو تكاثف يرينا مدى حرص الشاعر على المبالغة في التوصيف ليبدو الموصوف خارقـاً للمألوف، لا مثيل له في الجمال والقوّة والمزايا؛ فوصف الناقة (الجسرة) بأنّها: خنوف، وعَلَنْدى، وجَلْعَد، وغير شارف، سيركبها لتوصله إلى الديار المرومة.

وأحسب أنّ الشاعر كثّف النعوت لكي يبرز الناقة العظيمة التي تليق بعظمته ومكانته، كأنّها شبيهة المزايا بالشاعر نفسه. غير أنّ الشاعر لم يكتفِ بأربعة نعوت في البيت، فأتبعها بنعوت أخرى في البيت الّذي يليه، يقول (الطويل)[٢٣]:

فَهَـــلْ تُبْلِغَنِّـــي دَارَ قَـــومِيَ جَسْـــرَةٌ خَنُـوفٌ عَلَنْـدًى جَلْعَـدٌ غَيْـرُ شَـارِفِ
سَـــدِيْسٌ عَلَتْهَـــا كَبْـــرَةٌ أَوْ بُـــوَيْزِلٌ جُمَالِيَّـــةٌ فِي مَشْـــيِهَا كَالتَّقَـــاذُفِ

لقد جعلت النعوت الثمانية في البيتين تلك الناقة دبابة عسكرية حديثة وفق أعلى طراز من الخفّة والقوة والفاعليّة.

ويبدو أنّ الشاعر مسكون بهاجس التميّز والقوة الاستثنائية في كلّ شيء، ولعلّ هذه الميزات هي التي دعت الأصمعي ليعدّه شاعراً فحلاً ضمن معيار الفحولة عند الأصمعي. فإذا وَصَفَ كَثَّفَ النعوت لتؤدّي دلالات أعمق تأثيراً في النفوس، وهذا العمق يوازي الروح العالية عند الشاعر؛ لذا نراه يكثّف النعوت في أيٍّ موصوف يتّجه إليه، على غرار كثافة النعوت في وصف الطلل (مجزوء البسيط):

مَـــاذَا وُقُـــوفِي عَلَـــى رَبْـــعٍ عَفَـــا مُخْلَوْلَـــقٍ دَارِسٍ مُسْـــتَعْجَمِ[٢٤]

فإذا كانت النعوت الثلاثة (عفا ومخلولق ودارس) تؤدّي إلى صفة القدم، فإنّ النعت (مستعجم) منح الطلل (الربع) صفة الشخصنة؛ أي أنّ الطلل كالإنسان الأعجم المُبْهَم الساكت غير القادر على الكلام.

(٢٣) ديوان المرقشين، ص٦١.

(٢٤) المصدر السابق، ص٦٦.

ورُبّما من المستطاع القول: إنّ كثافة النعوت في شعر المُرقّش مُتأتية من كثافة اعتداده بنفسه؛ فهو فارس باسل، وسيّد في قومه، وشاعر كبير، فلا غروَ أن يضع في شعره من النعوت ما يقارب كثافة المزايا في شخصيته الاستثنائيّة. كأنّ هذه الكثافة معادل موضوعيّ لشدّة اعتزازه بنفسه.

نتائج البحث:

حضر النعت في شعر المرقش الأكبر بأشكاله المعروفة في النحو العربي، ولكن بوظائف تعبيرية ودلالية وأسلوبية؛ فزاد حضوره على (١٦٠) مرة فيما وصل إلينا من شعر المرقش الذي لا يزيد على (١٩١) بيتاً من الشعر في (٨٠) من مجموع شعره. وقد توزع ذلك باستعمال النعت المفرد (٩٦) مرة، والنعت الجملة الفعلية (٣٨) مرة، والنعت الجملة الاسمية (٩) مرات، والنعت شبه الجملة (١٩) مرة. وقد توصل الباحث إلى عدد من النتائج هي:

أولاً: في المستوى الدلالي:

١. حضر النعت في شعر المرقش الأكبر، وكان لهذا الحضور أثر في بناء الصورة الشعرية لديه بما قدمه من دلالات ضافية رسمت صورة المكان والإنسان.

٢. ساعد النعت الشاعر على التوسع في بناء الجملة الشعرية الوصفية؛ فامتدت النعوت وتتابعت لتُصَفِّي ما نفسه من هواجس وانفعالات.

٣. استطاع الشاعر أن يرسم بالنعت صوراً لونية وذوقية وحركية أضفت على قصائده مظاهر جمالية متنوعة.

٤. جاء التكثيف النعتي مُصَوَّراً بتتابع النعوت لموصوف واحد كثيراً في شعر المرقش، ولعل ذلك يتيح للشاعر المبالغة في توصيف الأشياء والتعبير عن فيض انفعالاته تجاهها.

ثانيـًا: في المستوى التركيبي:

١. جاءت النعوت المفردة عند الشاعر متسقة مع ما ذكره النحاة من أشكال النعت المفرد وصوره، فقد كانت هذه النعوت في معظمها أسماء مشتقة كاسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة وصيغ المبالغة. ويلاحظ إكثار الشاعر في النعوت المفردة من أوزان الصفة المشبهة مثل (لَجُوج وشَتِيت وبِكْر وعَذْب ونقيّ) وهذا يتسق مع إرادته معنى الثبوت والاستمرار في الصفات التي يكسوها للأشياء من حوله.

٢. جاء النعت الجملة الفعلية أكثر استعمالاً عند الشاعر من النعت الجملة الاسمية؛ فقد استعمل النعت الجملة الفعلية (٤٠) مرة تقريبـًا، في حين كان استعمال النعت الجملة الاسمية (٩) مرات فقط. ويمكن تفسير ذلك بأن الجمل الفعلية تدل على التجدد والحدوث؛ فكثير من النعوت التي جاء بها الشاعر على صورة الجملة الفعلية جاءت لهذا الغرض وهو إرادة معنى الأوصاف المتجددة في خيال الشاعر للأشياء التي تتراءى له من حوله. وقد ساعدته هذه النعوت في رسم الصورة الحركية لكثير من الموصوفات من حوله.

مجلة مجمع اللّغة العربيّة الأردني
مجلة متخصّصة محكّمة

قواعد النشر:

١. تعنى المجلة بالبحوث التي تعالج الأفكار والقضايا الآتية:

- اللّغة العربية هُويةُ الأمةِ وركيزةُ وَحدتِها ووعاءُ ثقافتِها وحضارتِها ووسيلةُ التواصلِ بين أبنائِها.
- تعميم استخدامِ اللغةِ العربيةِ السليمةِ في سائرِ مناحي الحياة.
- الحفاظ على سلامة اللغة العربية، والعمل على أن تواكب متطلبات الآداب والعلوم والفنون الحديثة.
- النهوض باللغة العربية لمواكبة متطلبات مجتمع المعرفة.
- معاجم مصطلحات العلوم والآداب والفنون، والسعي إلى توحيد المصطلحات.
- إحياء التراث العربي الإسلامي.

٢. يكون البحث المقدم للمجلة مستوفيًا شروط البحث العلمي من حيث الإحاطة والاستقصاء والإضافة المعرفيّة والمنهجيّة والتّوثيق وسلامة اللّغة ودقّة التّعبير.

٣. يشترط في البحث أن يكون خاصًّا بمجلة المجمع، ولم يسبق نشره، وأن يكون غير منظور فيه، حين تقديمه، لدى أيّة جهة أخرى، ويقدم الباحث تعهدًا خطيًّا بذلك (وفق النموذج المعتمد)، ولا مانع من أن يكون البحث جزءًا من رسالة علمية غير منشورة.

٤. أن تتسم البحوث النّقدية بأسلوب المنهج العلمي الموضوعي.

٥. يصبح البحث بعد قبوله للنشر حقًّا لمجلة المجمع، ولا يجوز النقل عنه إلا بالإشارة إلى مجلة المجمع.

٦. لا يجوز لصاحب البحث أو لأيّ جهة أخرى إعادة نشر ما نشر في المجلة أو ملخص عنه في أيّ كتاب أو صحيفة أو دوريّة إلا بعد مرور ستة أشهر على تاريخ نشره في المجلة، وأن يحصل على موافقة خطيّة من رئيس التحرير.

٧. يرسل الباحث نسخة إلكترونية من بحثه باستخدام البرنامج الحاسوبي (MS-Word) بحجم خط (١٤) للمتن و(١٢) للحواشي على وجه واحد من الورقة حجم (A 4).

٨. ألّا يقلّ عدد صفحات البحث عن (٢٤) صفحة وألّا يزيد على (٣٠) صفحة، بواقع (٢٥٠) مئتين وخمسين كلمة للصفحة الواحدة، وللهيئة استثناء بعض الأبحاث من هذا الشرط إن رأت أن طبيعة البحث تستلزم زيادة عدد صفحاته. وهيئة تحرير المجلة لا تحتسب قائمة المصادر والمراجع ضمن العدد الإجمالي لكلمات البحث، ولا تثبتها في نهايته.

٩. يجب أن يشتمل البحث على ملخص باللّغة العربيّة في حدود (١٠٠-١٥٠) كلمة، يتضمن الفكرةَ الرَّئيسة للبحث، وأهدافه، ومشكلته، وجسمه، ومنهجه، وأهم نتائجه، والكلمات الدالة وعددها من ثلاث إلى خمس. ويجب أن يشتمل البحث على ملخص باللّغة الإنجليزيّة في حدود (١٠٠-١٥٠) كلمة، يتضمن عنوان البحث، والكلمات الدالة، وعددها من ثلاث إلى خمس.

١٠. إذا كان البحث مستلًّا من رسالة علميّة غير منشورة، يجب أن يوضح الباحث تفاصيل هذا الأمر بذكر اسم المشرف وتاريخ المناقشة إن تمّت، وإذا كان البحث المستلّ مشتركًا بين الطالب ومشرفه؛ فإن اسم المشرف يُذكر عند نشر البحث في المجلة بوصفه مشرفًا على الرسالة، لا بوصفه باحثًا مشاركًا، ويكون هذا في حاشية الصفحة الأولى من البحث.

١١. يتولّى تحكيم البحث محكمان أو أكثر حسب ما تراه هيئة التّحرير، ويلتزم الباحث بدفع النفقات الماليّة المترتبة على إجراء التّحكيم في حال سحبه بحثه أو الرّغبة في عدم متابعة إجراءات التّحكيم وفق ما يقدره رئيس التحرير.

١٢. يكون قرار هيئة التحرير بإجازة نشر البحث أو الاعتذار عن عدم نشره نهائيًّا، وتحتفظ هيئة التحرير بحق عدم إبداء الأسباب، ويجوز في حال الاعتذار أن يزوّد الباحث بالملاحظات والمقترحات التي يمكن أن يفيد منها في إعادة النظر ببحثه.

١٣. يلتزم الباحث بإجراء التّعديلات التي يطلبها المحكّمون إذا كان قرار هيئة التحرير بإجازة نشر البحث مشروطًا بذلك.

١٤. البحوث غير المجازة لا ترد لأصحابها.

١٥. البحوث المنشورة في المجلة تعبر عن آراء أصحابها، ولا تعبر عن هيئة التّحرير أو المجمع.

١٦. يخضع ترتيب البحوث عند النّشر في المجلة لمعايير فنيّة تراها هيئة التحرير.

١٧. يكون التوثيق من الكتاب الأصلي، خصوصًا إذا كان مترجمًا، على النحو الآتي:

أ. المصادر:

يوثق المصدر عند ذكره أول مرة على النحو الآتي:

يذكر اسم المؤلف كاملًا، وتاريخ وفاته بالهجري والميلادي بين قوسين، إن كان قد توفى، واسم المصدر كاملًا بالحرف الغامق، إذا كان عربيًّا، وبحروف مائلة إن كان بلغة أجنبية، وعدد الأجزاء أو المجلدات وأقسامها، واسم المحقق، ودار النّشر، ومكان النّشر، ورقم الطّبعة، وسنة النّشر، ورقم الصفحة أو الصفحات.

مثال:

السّرقسطي، أبو عثمان سعيد بن محمد (ت٤٠٠هـ/١٠١٠م)، **كتاب الأفعال**، ٣ج، تحقيق: حسن محمد محمد شرف، الهيئة العامّة لشؤون المطابع الأميريّة، القاهرة، ١٩٧٥م، ج١، ص١٨٥.

ب- المراجع:

يذكر اسم المؤلف كاملًا، وتاريخ وفاته بالهجري والميلادي بين قوسين، إن كان قد توفى، ثم اسم المرجع كاملًا بالحرف الغامق إن كان عربيًّا وبحروف مائلة إن كان بلغة أجنبية، وعدد الأجزاء أو المجلدات وأقسامها، إن وجدت، ودار النّشر، ومكان النّشر، ورقم الطبعة، وسنة النّشر، ورقم الصفحة أو الصفحات.

مثال:

الكرمي، حسن سعيد (ت ١٤٣٨هـ/٢٠٠٧م)، **الهادي إلى لغة العرب**، ٤ج، دار لبنان للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩١م، ج١، ص٢٣٩.

ج- محاضرات المؤتمرات:

يذكر اسم المحاضر كاملًا، وعنوان بحثه أو مقالته بالحرف الغامق بين علامتي تنصيص، هكذا " " ويذكر عنوان الكتاب كاملًا، واسم المحرر أو المحررَيْن ويضاف إليه/إليهما كلمة "رفاقه/رفاقهما" إن كانوا أكثر من اثنين، واسم دار النّشر، ومكان النّشر، وسنة النّشر، ورقم الصفحة أو الصفحات.

مثال:

خربوطلي، شكران، **"أوقاف دمشق وأثرها على الحركة العلميّة فيها في العصر الأموي"**، المؤتمر الدّولي السّابع لتاريخ بلاد الشّام: الأوقاف في بلاد الشّام، تحرير الدكتور محمد عدنان البخيت، مطبعة الجامعة الأردنيّة، منشورات لجنة تاريخ بلاد الشام، عمان، ٢٠٠٩م، ص ص١٣-٢٧.

د- المجلات:

يذكر اسم صاحب البحث أو المقالة كاملًا، وعنوان بحثه أو مقالته بالحرف الغامق بين علامتي تنصيص هكذا " " ويذكر اسم المجلة بالحرف الغامق للمجلات العربية، وبحروف مائلة للمجلات الأجنبيّة، ورقم المجلد والعدد، ورقم الصفحة أو الصفحات.

مثال:

حمزة، حسن، **"الوضع والاشتقاق والدلالة"**، مجلة **المعجميّة**، تونس، العدد ١٨، ٢٠٠٢م، ص ص٨١-٩٨.

١٨. يراعى عند الإشارة إلى الصفحة أو الصفحات المأخوذ عنها في الحواشي ما يأتي: يوضع الرمز (ص) للدلالة على الصفحة المأخوذ عنها والرمز (ص ص) لغير صفحة؛ إذا كان المصدر أو المرجع عربيًّا، ويوضع الرمز (p) للدلالة على الصفحة الواحدة والرمز (pp) لغير صفحة؛ إذا كان المصدر أو المرجع أجنبيًّا.

١٩. يذكر اسم السورة ورقم الآية أو الآيات في متن البحث برسمها القرآني.

٢٠. يذكر الحديث النبوي الشريف ومظانه ومصادر تخريجه من كتب الحديث النبوي الأصول، ويوثق كل مصدر منها توثيقًا كاملًا.

٢١. يذكر اسم المؤلف كاملًا عند الاستشهاد بمخطوط، ويذكر عنوان المخطوط كاملًا، ومكان وجوده، وتاريخ النّسخة، وعدد أوراقها، ورقم الورقة.

٢٢. حين ورود بيت أو أبيات من الشّعر، يذكر اسم الشّاعر والبحر ومصادر تخريجه.

٢٣. تكتب أسماء أعلام التراث العربي الإسلامي في متن البحث كاملة مع ذكر تاريخ الوفاة بالهجري والميلادي بين قوسين للأعلام، وتعرف المواقع في ضوء المراجع الحديثة.

٢٤. تكتب أسماء الأعلام الأجنبيّة في متن البحث بحروف عربية، على أن يذكر الاسم كاملًا عند وروده أوّل مرّة بالحروف اللاتينية.

٢٥. تكون أرقام التّوثيق متسلسلة من أوّل البحث إلى آخره.

٢٦. يقدّم كلّ صاحب بحث قبل النشر سيرته الذاتيّة في حدود (٥٠) خمسين كلمة تقريبًا، تتضمن أعلى مؤهل علمي، والجامعة التي تخرج فيها، ومكان عمله، ومركزه الوظيفي واهتماماته العلميّة، وعنوان بريده الإلكتروني.

٢٧. يقدّم المجمع إلى صاحب البحث نسخة من العدد المنشور فيه بحثه و(٢٥) خمسًا وعشرين مستلة من بحثه.

ص.ب (١٣٢٦٨) عمان (١١٩٤٢) الأردن
هاتف ٠٠٩٦٢٦٥٣٤٣٥٠٠
ناسوخ (فاكس) ٠٠٩٦٢٦٥٣٥٣٨٩٧
البريد الإلكتروني: almajmajournal@ju.edu.jo
موقع المجمع على شبكة المعلومات (الإنترنت:www.arabic.jo)

مجلة مجمع اللغة العربية الأردني

قسيمة اشتراك

أرغب في الاشتراك بمجلتكم بدءاً من.....

الاسم:.....

عدد النسخ:.....

العنوان:.....

.....رقم الهاتف:.....

مرفق شيك مصرفي:.....على بنك:.....بمبلغ:.....

التوقيع:

أسعار الاشتراكات:

في الأردن: ستة دنانير سنوياً

في الخـــارج: أربعـــة عشـــر دولاراً سنوياً أو ما يعادلها

تضاف إلى ذلك أجرة البريد

يرسل إلى: مجمع اللغة العربيـــة الأردنـــي، ص.ب١٣٢٦٨ عمـــان (١١٩٤٢) الأردن.

إشعار بالتسلم

تسلمت العدد ☐ **من مجلة مجمع اللغة العربية الأردني**	
عدد النسخ ☐	
إهداء ☐ تبادل ☐ اشتراك ☐	

الاسم:

المؤسسة:

العنوان:

التاريخ: **التوقيع:**

يرسل إلى: مجمع اللغة العربية الأردني، ص.ب١٣٢٦٨ عمان (١١٩٤٢) الأردن.

الناسوخ (الفاكس) ٥٣٥٧٠٦٤ البريد الإلكتروني: Jaa@Ju.Edu.Jo